# الشافي في شرح الأحاديث الأربعين في ذم اليهود



جمعها ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العايش آل عجلة

سنة الأرض المقدسة

رؤية واعية... لأرض واعدة

# الشافي في شرح الأحاديث الأربعين في ذم اليهود

هيئة الأرض المقدسة

حقوق الطبع مبذولة لكل محب للأرض المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

حسابات هيئة الأرض المقدسة على وسائل التواصل الاجتماعي

holylandd48

holyland_48

+905318366657

holyland_48

pholyland.com

holy0land@gmail.com

هيئة الأرض المقدسة

# الشافي في شرح الأحاديث الأربعين في ذم اليهود

جمعها ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العايش آل عجلان

هيئة الأرض المقدسة


بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة الكتاب

اليهود أمةُ السُّحت والبُهت، مصاصو الدماء وقتلةُ الأطفال، ناشرو الفساد، تاريخهم بالرذيلة مليءٌ، كرِهتهم الشعوبُ، وعافتهم النفوسُ المستقيمةُ، هم وراء كلِّ رذيلة، قتلةُ الأنبياء والأولياء، صدورُهم موغِلَةٌ، وأخلاقهم نتنة، وقلوبهم عفنة، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، شُذَّاذُ الآفاق، مُزوِّرو التوراة والتاريخ والأنساب، خالفوا هديَ موسى، وزعموا قتل عيسى، وبهتوا محمدًا، وقتلوا وضربوا واتهموا وطعنوا غيرَهم من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حرَّموا الحلال وأحلُّوا الحرام، تجرؤوا على التوراة التي فيها هدًى ونورٌ؛ فأصبحت مليئة بالكذب والزور.

ولما كانت هذه أخلاقُهم، وتأكدت بذلك مواصفاتهم، فإنك بالكاد تمر على جزء من القرآن ليس فيه ذكرٌ لبني إسرائيل وأحوالِ اليهود، فليس من العبث أن يأتيَ الله على ذكر اليهود في خُمُس القرآن، وما لا يقل عن خمسِمائة موضع كلُّها تتحدث عنهم والمراحل التي مروا بها.

أما نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد جاء ذكره في القرآن أكثر من مئة وثلاثة وثلاثين مرة، جلُّها تتحدث عن حياته بينهم ومعهم وما لاقاه منهم، ومع هذا رسولُ الإسلام محمد ﷺ وخاتم الأنبياء المنزَّلُ عليه القرآن لم يُذكر اسمُه صراحةً في القرآن إلا أربعَ مرات، ألا يدعونا ذلك إلى التعرف والغوص في مراد الله من الإكثار من ذكر القوم وسبب الدعوة للحذر منهم.

إنهم أمةٌ صعبةُ المِراس، غليظةُ الرقاب، سليلةُ الأفاعي، لم تُرسَل الرسلُ تَتْرى إلا لهم، ولم تُعدَّد الكتبُ المنزلةُ من الله إلا عليهم؛ ومع هذا سنرى في طي شرح هذه الأحاديث كيف ذم اللهُ ورسولُه اليهودَ! وكيف كشف سوءَ طباعهم وتلونَهم وتَمَرُّسَهم الكفرَ بأنواعه.

وحتى نضبط العبارة؛ أسمينا المتن «ذم اليهود»، وليس ذم بني إسرائيل، وفي ذلك حكمةٌ وفائدة سنأتي عليها في مضامين هذا الكتاب.

وهذا يعني أنه ليس كلُّ بني إسرائيل كانوا على الضلالة، فمنهم من حدَّث عنهم القرآن والسنة النبوية، وهم في أحسن أحوال الطاعة والهداية والاستقامة، لكنا هنا نتحدث عن أمةٍ من بني إسرائيل كفرت وانحرفت عن منهج الله.

قد يخلط البعض بين الصهيونيةِ والجماعاتِ اليهوديةِ المتباينة، وبين بني إسرائيل، فهذا الخلط والخليط من الجماعات، هي في حقيقتها كياناتٌ مختلفة، كلٌّ منها يحمل عقائدَ وفلسفاتٍ متناقضةً جذريًّا عن الأخرى.

وبعد دراسة أحاديث ذمِّ اليهود من منطلق شرعي، وإسقاط الواقع عليها، سنلحظ بوضوح أن هذه الأمة اليهودية لا دين لها ولا أخلاق، وليست هي من الأمم التي خلفت حضارة تذكر، أو سعت إلى مستقبل آمن تنعم به البشرية.

يقول غوستاف لوبون الطبيب والفيلسوف الفرنسي: «إن تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفرٌ» (١).

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات (ص ١٨).

والعارف بنفوس القوم وطباعهم يدرك تمامًا أنهم مجموعاتٌ من المرضى النفسيين، لا بِقِيَم يُعرفون ولا سيرةٍ حسنة عليها يُحمدون، الناقمين على أنفسهم وكل من حولهم؛ لأن الأسْوِياءُ تظهر حكمتُهم في سلامة صدورهم، وعدم الانشغال بغيرهم.

لقد خلط كثير من الناس، وظن أن اليهود أذكى البشر، لكن الحقيقة أنهم أخبث البشر، لم تُعرف لهم حضارة ولا حسن ديانة.

طفيلياتٌ عاشت على إنجازات الآخرين، معبدُهم المزعوم آشوري الطراز، لغتهم خليط من اللغات، كتابهم قد ملؤوه بالتخاريف والسخافات والوحشية المفرطة مع غيرهم، وأسفار كاملة تتحدث عن الدعارة والعشق والهُيام، والغريب أن نجومها أنبياء!!

مالهم-وبتشريعهم- من حرام وفي حرام، همُّهم الدنيا والمادة، وليس للآخرة كثيرُ ذكرٍ في توراتهم وحياتهم، «لم يأتوا قطُّ بأية مساعدة مهما صغرت في تشييد المعارف البشرية» ولم يؤلفوا كتابًا غير التوراة التي حرفوها وملؤوها بالزندقة [١].

كل ما مضى من مواصفاتٍ ستكون معنا في هذا الشرح لهذا الجزء الحديثي الفريد من نوعه، الذي أسميناه «الأربعون في ذم اليهود»، جاءت الحاجة الماسَّة لمثل هذه الموضوعات التي تحذر من أكبر خطر حل على الأمة الإسلامية والبشرية بعامة في وقتنا المعاصر بخاصة وفي كل وقت بعامة، وفي كل وقت عاشوه ومكان سكنوه، نعم هو الخطر اليهودي الذي حذر منه كل عاقل، خطر انسلَّ إلى كثير من جوانب حياتنا، بل أحيانا إلى تفاصيل كثير منها.

---

(١) المصدر السابق (ص١١).

والتحذير منهم وكشف عَوَارِهم واجبُ الوقت الذي ينبغي أن لا نحيد عنه وننشغل عنه بسواه، ونوليه أولوية النذير العُريان، وذلك بسبب الفساد العظيم الذي حلَّ بالبشرية في زمن علوهم الكبير والذي أظن أننا نعيش مخاضه، كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

يقف المصلح الحَصِيف متحيرًا! عن أي فسادهم يحذِّر أو يقمع، لا ندعي أننا نحن المسلمين فقط من اكتوى بنار فسادهم، وتدهورت أخلاق أبنائهم ونسائهم، وسلب اقتصادهم، بل جائحة الصهيونية العالمية في بلاد الغرب بدأت، وعليهم قضت، وفي ديارهم باضت وفرَّخت، ومن عندهم إلينا انطلقت تنشر الرذيلة، تؤسس لها وتحميها قوانين محلية ودولية.

ومع عظم خطرهم وتأثيرهم واختراقهم؛ فإن الممانعةَ والحصانةَ الفكريةَ في الأمة معدومةٌ، بل لا تُوَلِّي لذلك أيَّ اهتمام، فأصبحت حصون الأمة مخترقة؛ بل قل: لم يعد لها حصون تحميها، إلا حفظ الله ورعايته.

إننا مدعوون بأن نأخذ الأمور على عاتقنا حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، نقرع الجرس لننبه الغافلين، ونأخذ بيد الرحمة الغارقين بأوحالهم، لا بدَّ للعالم أن يسمع منا -بكل جرأة ومن غير وجل ولا خوف- صوت الرفض والإنكار لأفعالهم؛ كشفًا لعوارهم وسوء أفعالهم.

لسنا بدعًا من القول أو الفعل، فقرآنُ ربنا أكثرَ من ذكرهم، ونادى بالتحذير منهم وأفعالهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

أمَّا نبيُّنا فقد أُثر عنه ﷺ أنه كان يقضي كثيرًا من ليله أو نهاره محذرًا منهم، مستحسنًا بعضَ أفعالِ صالحيهم، كما قال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يُحدِّثُنا اليومَ واللَّيلَةَ عن بني إسرائيل ما يَقومُ إلاَّ لحاجة[١]. وفي رواية: «إِلاَّ إِلَى عُظْمِ صَلَاةٍ»[٢].

وعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَامَّةَ لَيْلِهِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَقُومُ إِلَّا لِعُظْمِ صَلَاةٍ يَعْنِي: الْمَكْتُوبَةَ الْفَرِيضَةَ. قَالَ عَفَّانُ: «عَامَّةً يُحَدِّثُنَا لَيْلَهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَقُومُ إِلَّا لِعِظَمِ صَلَاةٍ»[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَحَدَّثُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: **نَعَمْ، تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ** »[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٩٢٢)، و أبو داود (٣٦٦٣)، واللفظ لابن حبان (٦٢٥٥)، وصححه ابن خزيمة (١٣٤٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩١): رواه البزار وأحمد والطبراني في «الكبير» وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٩٢٢)، وأبو داود (٣٦٦٣) من حديث ابن عمرو، وصححه ابن حبان (٦٢٥٥)، والهيثمي في المجمع (١/ ١٩١)، وتقدم قبله.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٩٢٠) من حديث عمران بن حصين، وسنده ضعيف، قد انفرد أبو هلال -وهو محمد بن سليم الراسبي- عن قتادة، فجعله من حديث عمران، وهو لين الحديث، وخالفه هشام الدستوائي وسعيد بن أبي هلال عن قتادة، فجعلاه من حديث عبد الله بن عمرو كما في الرواية السابقة وهو الصواب. قال البزار (٩/ -البحر الزخار٦٧): وهذا الحديث لا نعلم يروى عن النبي ﷺ إلا برواية عمران بن حصين وعبد الله بن عمرو، واختلف في إسناده عن قتادة، فقال أبو هلال: عن قتادة، عن أبي حسان، عن عمران بن حصين، وقال معاذ بن هشام: عن أبيه، عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، وهشام أحفظ من أبي هلال.

(٤) أخرجه أحمد (١١٠٩٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٥١): رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «... **وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ**»(١).

ومن غريب حال كثير من الدعاة والمربين والمعلمين، أنني عشت دهرًا من عمري بين بعضهم، فلم أجد من خصص جزءًا من وقته وزكاةَ علمه في التحذير من اليهود، وبيان عَوارهم، وخطورةِ معتقدهم، والانجرار وراءهم في مشاريع التطبيع بأنواعها!

## هذا الكتاب

- محاولة جادة تجمَعُ وتحلِّلُ بعضَ ما جاء في مأثورِ النبي ﷺ عن اليهود، وأحوالهم، وربطٍ بين تاريخهم العقائدي والاجتماعي القديم والحديث والرد على ترَّهاتهم.
- جاءت هذه الأحاديث بأبوابها المختلفة لترسم صورةً أو قصةً متكاملةَ الأركانِ عن المشهد اليهودي الذي حذر منه النبي ﷺ.
- وفي ثنايا الكتاب شرحٌ لأحاديثَ نبويةٍ تَنبُّؤيَّةٍ وقعت، وأخرى لم تقع محلُّها آخر الزمان، وهي من أشرط الساعة الكبرى.
- كما كشفت وفضحت أحاديثُ النبي ﷺ كذبَ اليهود وتناقضهم، وتحريفهم لكتبهم وأقوال أنبيائهم.
- وهي مادةٌ علمية، ومنهجٌ تربوي تحسيني يعمل على التعبئة المعنوية ضد الغزاة، تم اختياره بعناية؛ لتربى عليه الأجيال، يدرّس في المدارس والأكاديميات، والجامعات، وحلق العلم بأنواعها؛ لتسري في جموع الأمة ثقافة ممانعة اليهود، ومدافعة شبهاتِهم وأكاذيبهم وتُرَّهاتِهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

❁ تبصيرُ عامة المسلمين وغيرهم بعقيدة اليهود وسلوكهم المشين مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكتبه، ورسله، وعامة خلقه.

❁ وتنبيهُ المؤمنين بخطر اليهود المعتدين، وكشفُ حقيقتهم في زمن أصبح فيه فسادُهم ظاهرًا وطاغيًا ومؤثرًا على المعمورة كلها.

❁ باختصار هي مادةٌ علمية نضعها بين يدي كل من صدَّر نفسه للدعوة والعلم والتربية، يستعين بها لكشف عوار اليهود، وتبيان حقيقتهم، والتحذير من خطرهم وسوء طويتهم.

## عملنا في هذا الكتاب

١ شرحٌ سلَّط الضوء على بعض الآيات المتعلقة باليهود، وبيَّن المأثور عن النبي ﷺ.

٢ استعراضُ بعض النصوص التوراتية والتلمودية، أو أقوال كبارهم من ساسة أو حاخامات، وبيان أخطائهم وتناقضاتهم.

٣ كما حاولنا ربطَ بعضِ الأحاديث النبوية بالواقع المعاصر، دون تكلف أو ليٍّ للنصوص.

٤ نقلنا تخريجاتِ أئمةِ علمِ الحديثِ وحكمَ الأولين منهم والمتأخرين على الأحاديثِ.

٥ في بعض الأحاديث تجاوزنا شرحَ ما ليس من أهداف مادة الكتاب وجوهره، وهو كل ما ليس له علاقة باليهود أو بني إسرائيل قديمًا أو حديثًا من قريب أو بعيد.

٦ التزمنا بكتابة نص الحديث، ثم مقدمة مختصرة مركزة، ثم شرح الحديث، وأخيرًا الفوائد المتعلقة بالحديث.

٧ لم نلتزم بعدد معين من الصفحات لشرح الحديث الواحد، فكانت الحاجة هي من تحدد ذلك.

٨ حاولنا جاهدين تبسيطَ العبارة والمعلومة؛ ليتمكن الجميع من الاستفادة من الكتاب.

**وفي الختام:** أسأل ربي جلَّ في عُلاه أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله سهمًا من سهامنا في محاربة اليهود المعتدين على الأرض المباركة «فلسطين» وسائر بلاد المسلمين والعالمين.

ونحن على يقين أن هذه المادةَ وأمثالَها سببٌ في تبصير المسلمين بخطورة اليهود ودسائسهم، وستسهم -بلا شك- في مدافعة مشاريع اليهود التطبيعية والاختراقية للأمة، لترسم طريق التحرير إن شاء الله تعالى تحقيقًا لا تعليقًا.



# الحديث الأول

## اليهودُ يستهزئُونَ بأوامِرِ اللهِ تعالى

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]. **فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ! وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**»(١).

### مقدمة

لما امتن الله على بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة بقيادة يُوشَعَ بنِ نون فتى موسى، وانتصارهم على القوم الجبارين والأمةِ الكافرة في فلسطين، يوم أن أكرمه الله بمعجزة لم تكن لغيره، أن أوقف له الشمس عن مغيبها ليتمكن من دخول الأرض المقدسة، فكانت المعجزاتُ والكراماتُ تَتْرى لبني إسرائيل، ولما كان الفتح المبين ودخولهم الأرض المقدسة آمنين، طلب منهم المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يدخلوا المسجد خاشعين متواضعين، متذكرين فضل الله عليهم بعد مسيرة طويلة من العناء والتعب، والهجرة والشتات، وتيه مدة أربعين سنة، حتى تحقق لهم النصر والتمكين في فتح الأرض المقدسة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

## شرح الحديث

**قوله: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيل»:** وهذا بعد زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يدخل الأرض المقدسة ومات دونها رميةَ حجرٍ، وقد قاد ما تبقى من جموع بني إسرائيل في فتح بيت المقدس من بعده فَتَاهُ يُوشَعُ بن نون الذي تحقق على يديه الفتح المبين، حتى إن الشمس وبأمر الله وبعد دعاء وتضرع من يوشع تتوقف عن الغروب؛ ليتمكن من فتح بيت المقدس قبل غروب شمس يوم الجمعة.

فكانت الأوامر الربانية -لمعرفة مدى ما عندهم من إنابة وشكر لله تعالى- أن يدخلوا الباب ساجدين معترفين بخطئهم بقولهم: «حطة»، أي حطَّ عنا ذنوبنا يا الله.

### من هو إسرائيل:

هو نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: إسرال: هو مخفف عن إسرائيل، ومعناه: صفوة الله، وقيل عبد الله وهو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ [١].

### أصل التسمية بإسرائيل في نظر اليهود:

من غريب القوم وتناقضهم وخسة عقولهم وتدينهم التطاول على ربهم، وجعلِ أحدٍ من خلقه يصارعه ويتغلب عليه، جاء في «سفر التكوين»: «ثم قام (يعقوب) في تلك الليلةِ، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولادَه الأحد عشر، وعَبَر مَخَاضَةً يبوق أخذهم وأجازهم

---

(١) تاج العروس، الزبيدي(١٠/ ٥٢)، قال السدي: إن معناه: سري الله. تاريخ الطبري(١/ ١٩٢)، ونقل الطبري في تفسيره، عن عبد الله بن الحارث قال: «إيل: الله بالعبرانية». تفسير الطبري (١/ ٢٤٧)، وعن ابن عباس «... لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل يعقوب، وعيسى المسيح». أخرجه الحاكم(٣٤١٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١): رواه الطبراني موقوفًا، ورجاله ثقات.

الوادي، وأجاز (يعقوبُ) ما كان له (أي أملاكَه)، فبقي يعقوبُ وحدَه، وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر! ولما رأى (إنسان) أنه لا يقدر عليه (على يعقوب) ضرب (إنسان) حُقَّ فخذه (عظم ورك يعقوب)، فانخلع حُقُّ فخذِ يعقوبَ في مصارعته معه! وقال (إنسان ليعقوب): أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال (يعقوب): لا أطلقك إن لم تباركني! فقال (إنسان ليعقوب): ما اسمك؟ فقال: يعقوب فقال (إنسان): لا يُدْعَى اسمُك فيما بعد يعقوبَ بل إسرائيلَ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك! فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك؛ فدعا يعقوبُ اسم المكان فينئيل (أي: وجهَ الله) لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجَّيتُ نفسي»[١].

كيف لإنسان غريب لم يعرف أنه نبيٌّ ولا مَلَك يبارك يعقوبَ ويمنحه اسم إسرائيل؟ فهل هذه القصة كفيلة بهذا اللقب ليعقوب؟!

وأما الإشارة بأن المصارع ليعقوب هو رب إسرائيل فكيف ليعقوب أن يصارع الربَّ ثم ينتزع هذا الشرف منه رغمًا عنه بالخلاص من قبضة يعقوب؟!

لكن في موضع آخرَ من التوراة يبدو أن كاتبها -أو من جاء بعد الكاتب الأول- أراد أن يعالجَ تناقضات القصة الأولى، فحاول علاجها بصياغة الرواية التالية كما في سفر التكوين[٢]: «ظهر الله ليعقوب أيضًا حين جاء من فدان آرام وباركه. وقال له اللهُ: اسمُك يعقوبُ! لا يُدْعَى اسمُك فيما بعد يعقوبُ بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمهُ إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير. أثمِرْ وأكثِرْ. أمةٌ وجماعةُ أمم تكون منك. وملوكٌ سيخرجون من صلبك. والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولِنَسْلِكَ من بعدُ أعطي الأرض».

---

(١) سفر التكوين (٣٢: ٢٢-٣٢).

(٢) الإصحاح (٣٥: ٩ - ١٢).

### اسم إسرائيل شرف لا يستحقه اليهود:

عرفنا فيما سبق أن اسمَ إسرائيلَ هو مصطلحٌ نبيل، وتسميةٌ سماها الله تعالى نبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي نحن أَوْلَى به، أما يهود فقد اتهموه وطعنوا به.

ولشرف هذه التسمية سمَّى الله تعالى سورة في القرآن باسم سورة بني إسرائيل، وهو الاسم الآخر لسورة الإسراء.

ومن لطائف القرآن حينما فرَّق بين كلمتَي بني إسرائيل ويهود، ويظهر معنا ذلك جليًّا في السياق القرآني، فحينما نقرأ مثلًا قولَه تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣] وقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] نجد أن السِّيَاقَ القرآنيَّ يتحدث عن بني إسرائيل وهم في حالة الإنعام عليهم والرضى عنهم دونما غضب منه تعالى ولا سخط، وهذا على عكسه تمامًا حينما يذكر الله تعالى كلمة «اليهود» تجدها غالبًا في سياق الغضب والتهديد، ومن جانبهم تكون في سياق الكفر والتعدي على جناب الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨].

إذًا هناك تفريقٌ واضحٌ بين المصطلحين، فكلٌّ منهما له دلالة خاصة، فليس كل بني إسرائيل يهودًا، وكذلك ليس كل يهودي من بني إسرائيل، فاسم إسرائيل شرف لا

يستحقونه، وليس يتصل نسبُ يهودِ اليوم إلى بني إسرائيل، وقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة[١]: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: نصارى العرب؟ قال: لا ينكح المسلمون نساءهم، ولا تؤكل ذبائحهم، وكان لا يرى يهود إلى بني إسرائيل قط، وإذا سئل عن النصارى فكذلك، وإذا سألته عن صدقات أموالهم كيف تؤخذ؟ أنزلهم منزلة أهل الكتاب، وسنناقش هذه المسألة بتفصيل أوسع في أبواب متقدمة من هذا الكتاب.

**قوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾**: يميل كثير من المفسرين إلى أن الباب الذي طلب الله تعالى من بني إسرائيل دخولَه هو باب مدينة بيت المقدس، جاء ذلك بروايات منها كما جاء عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [النساء: ١٥٤]، قال: كنا نحدّث أنه باب من أبواب بيت المقدس[٢]. وقيل: باب إيلياء[٣].

وربَّما وجودُ بابٍ من أبواب المسجد الأقصى بهذا الاسم -وخاصة أنه أقدم الأبواب- يجعل الباحث يميل إلى القول بأن المراد بالباب هنا هو أحد أبواب المسجد الأقصى الحالي والمعروف بـ «باب حطة» فِي جِهَة الشمَال من المَسجِد، وقيل في سبب تسميته بـ «حطة»: لِأَن الله تَعَالَى أَمر بني اسرائيل أَن يدخلُوا مِنهُ ويقولوا: حطة.

**قال مجاهد وقتادة:** «هُوَ بَاب حطة من بَيت الْمُقَدّس، طُؤْطِئَ لَهُم الْبَاب ليخفضوا رؤوسهم فَلم يخفضوا...»[٤] وهو أحد الأبواب التي تقع على السور الشمالي: باب الأسباط، وبابُ حطة، وباب العتم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٠٠٣٢).

(٢) يقول أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري: هذا الأثر لم يذكر في تفسير «الباب» فيما سلف (٢/ ١٠٣-١٠٩)، وهو أحد الأدلة على اختصار أبي جعفر تفسيره، ومنهجه في الاختصار. تفسير الطبري (٩/ ٣٦١).

(٣) التفسير الوسيط (٢/ ٩٦٢).

(٤) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أبو اليمن، مجير الدين (٢/ ٢٩).

يلي باب الأسباط حيث يقع في الواجهة الشمالية ضمن رواق المسجد الشمالي، ويكون موضعه في السور الشمالي بين مئذنة باب الأسباط وباب فيصل، ويقع بين المدرسة الكريمية والتربة الأوحدية.

يفتح باب حطة إلى حارة السعدية وهي حارة عربية إسلامية، ويسمح الاحتلال بفتحه للصلوات الجهرية، تعلوه مجموعة من العلاقات الحجرية كانت تستخدم فيما مضى لتعليق القناديل.

وهو من أقدم أبواب المسجد الأقصى، ولا يعرف من بناه، وجُدِّدَ سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) في العهد الأيوبي زمن الملك المعظم شرف الدين عيسى، ويبدو أن أصل هذا الباب كان مزدوجًا، وأن القسم الغربي قد أغلق على الأغلب حينما تم بناء التربة الأوحدية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) المجاورة لمدخل الباب الحالي من جهة الغرب [١].

**قوله: ﴿سُجَّدًا﴾:** قَالَ ابْن عَبَّاس: منحنين رُكُوعًا. وَقيل: خضوعًا وشكرًا لتيسير الدُّخُول[٢] منحنين كهيئة من يريد السجود استجابةً لأمر الله تعالى، خاضعين شاكرين معترفين بكرم الله وفضله على ما أنعم به عليهم.

**قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾:** فِعْلة من حَطَّ، وهي مرفوعة على معنى: أَمْرُنا حِطَّةٌ، أي: اللهم حُطَّ عنَّا ذنوبنا.

---

(١) انظر: (أطلس معالم المسجد الأقصى المبارك، عبدالله معروف ورأفت مرعي (٨٥)، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ) وانظر: (القدس الأطلس التعليمي المصور، حسن خاطر (٢٥٢)، مركز القدس الدولي للإعلام والتوثيق بيت المقدس ٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ)، وانظر: (دليل أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، أحمد فتحي خليفة (٢٠)، مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات ٢٠٠١م).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١٥/ ٢٠٠).

**قال محمد فؤاد عبد الباقي**: أي: مسألتُنا حِطَّةٌ، وهي أن تحط عنا خطايانا. لكن كان ردهم كبراً منهم واستهزاءً بأوامر ربهم، فزادوا على كلمة حطة حرف النون فأصبحت حنطة.

**قوله: «فبدلوا»**: فغيروا بالقول وبالفعل، غيروا لفظةَ حطَّة فقالوا حنطا سمقاتا، أي: حنطة حمراء استخفافًا بأمر الله تعالى. أضافوا حرف النون، وهذا ديدنهم وهذا هو إعلامهم. وَقَالَ أَسْبَاطٌ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ مُرَّةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] قال: قالوا: (هطى سقاثا ازمة مزبا) فهي في العربية: (حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَمْرَاءُ مَثْقُوبَةٌ فِيهَا شَعْرَةٌ سَوْدَاءُ)، للكشميهني: «في شعيرة». وقيل: إنهم تكلموا بكلام بالنبطية على جهة الاستهزاء والخلاف [١].

اليهود لم يُغيروا شيئًا كثيرًا سوى حرفٍ واحدٍ، وهو حرف النون فقط، ومع هذا قال الله تعالى في حقهم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]. إذًا التبديل بدأ في يهود من حرف النون حتى تعداه إلى التوراة بأكملها، وشريعة بجملتها، وديانة برمتها، وهذا طَبَعِيٌّ من يهود الذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة ٩٣- النساء٤٦].

ومثلهم (الجهمية) إحدى الفرق الإسلامية المبتدعة والمنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة فعلوا ما فعله اليهود من إضافة حرف في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فكان من «استوى» فأصبح معناها عندهم «استولى»، ولهذا شبهها بعض العلماء بزيادة بني إسرائيل[٢]. وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن نفسه في سبعةِ مواضعَ أنه مستوٍ على العرش.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، القرطبي (١/ ٢٨١).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

ومعنى استوى كما فسرها السلف: أي علا وارتفع وصعد، وهي صفة الاستواء الدالة على صفة علو الله تعالى، وإثبات هذه الصفة من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

لكن جاء الجهمية ومن وافقهم من المتكلمين وفسروا استوى بمعنى استولى، فوافقوا بذلك فعلَ اليهود في إضافةِ حرفٍ ليَصْرِفوا الكلامَ عن معناه.

وكما حرف اليهود أمرَ الله لفظًا، وقع تحريفهم لكتاب الله كتابةً، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

**قوله: «نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ»**: أي إن طلبتم من الله تعالى المغفرةَ بقولكم حطة غفرها الله تعالى لكم.

**قوله: «فَدَخَلُوا الباب»**: يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ: جَمْع اِسْت، وَهِيَ الدُّبُر[١] مقعدة الإنسان.

وإذا كانت تحريفاتهم مع وحي ربهم غضًّا طريًّا، وبوجود نبيهم -تعاملوا مع أوامره بهذا الصلف والعناد والكبر وقلة الأدب، وأدخلوا في كلامه ما ليس منه حتى صرفوه عن معناه- فكيف بهم مع كلام البشر، هل لنا أن نثقَ بالعهود والمواثيقِ ومشاريع التطبيع مع من درجوا على أن يتحايلوا على كلام الله تعالى.

إن دخولهم يزحفون على مقاعدهم مدعاةٌ للضحك عليهم، ودلالة لسخافةِ عقولِهم.

وفي أمة محمد ﷺ من اتبع سنة اليهود في استبدال الخير بالشر وسلوك مسالكه بكل دقة، كما أخبر في الحديث: «**لَتَتبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى**

(١) شرح النووي على مسلم (٩ / ٣٩٣).

**لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُم**. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فَمَنْ»**[١]، استبدلوا ما هم فيه من خيرٍ عظيم إلى ما دونه وبشكل حقير مُخْزٍ ومضحك في آن واحد، ولنا في قومنا هذا الزمان ما يندى له الجبينُ في اتباع أعمى لليهود والنصارى.

**وقوله: «وقالوا: حبةٌ في شعرة»**: قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والاستخفاف بالأوامر الشرعية، وهو كلامٌ خَلْفٌ لا معنى له، وهو خالٍ عن الفائدة تتميما للاستهزاء وزيادة في العتو، فعاقبهم الله بالرِّجز وهو العذاب المقترن بالهلاك[٢]. ليس لهم غرضٌ من هذا الكلام لأنه لا معنى له، وإنما قالوه استهزاءً ومخالفةً[٣].

أَيْ إِنَّهُمْ أُمِرُوا بِالسُّجُودِ عِنْدَ اِنْتِهَائِهِمْ شُكْرًا للهِ تَعَالَى، وَبِقَوْلِهِمْ: حِطَّة، فَبَدَّلُوا السُّجُود بِالزَّحفِ، وَقَالُوا: حِنطَةٌ، بَدَلَ حِطَّةٌ، أَوْ قَالُوا: حِطَّةٌ، وَزَادُوا فِيهَا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ[٤]. واختُلف فيما قالوا، والظاهر أنه باختلاف القائلين[٥]، لكن ربما يسأل سائل: هل الكلمةُ التي ذكروها وعبَّر عنها القرآن باللغة العربية «حطة» كانت بلغتهم ذاك الزمان؟ وأظن أنه لا داعي للانشغال عن صرف هذه الكلمة عن معناها الذي ذكره الله وبينه بشكل واضح، فكثير من كلام بني إسرائيل في زمانهم -بغض النظر عن اللغة التي كانوا يستعملونها- نقله الله لنا بلغة نفهمها تفصح عن مراده.

وإن اليهودَ لما بدَّلوا وحرَّفوا في كلام المولى بدَّل في حالهم، وبقدر ما أعطاهم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: طرح التثريب (٨/ ١٦٦-١٦٧).

(٣) مصطفى البغا، في تعليقاته على البخاري (٤/ ١٥٦و٦/ ١٩).

(٤) فتح الباري (١٣ / ٦٣).

(٥) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٦٤٨)، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

وأكرمهم من معجزات وأُعْطِيات -لم يعطَها أحدٌ من قبلهم ولا من بعدهم- كان الحرمان والعقوبة، وأثر هذه المعاصي عليهم بقدر ما أُعطوا حتى عاشوا ردحًا من الزمن أذلة بين الأمم، فضربت عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة، وهذا حالُ مَن لم يشكر النعم، فيتعرض لزوالها وغضب الرب عليه.

## حطة بين سورتي البقرة والأعراف:

ذكرت هذه القصة في موضعين في القرآن الكريم: في سورة البقرة وسورة الأعراف، وبينهما تفاوتٌ في بعض الألفاظ:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة ٥٨-٥٩].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١].

أمّا **الأول**: وهو أنه قال هناك: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] وقال هنا: ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾ [الأعراف: ١٦١] فلا منافاة بينهما؛ لأنّ كل ساكن في موضع فلا بدَّ له من الدخول فيه.

**الثاني**: وهو قوله هناك: ﴿فَكُلُوا۟﴾ بالفاء، وقال هنا: ﴿وَكُلُوا۟﴾ بالواو فالفرق بينهما أنّ للدخول حالة مقتضية للأكل عقب الدخول؛ فحسُن دخول الفاء التي هي للتعقيب، ولما كانت السُّكْنى حالةَ استمرار؛ حسُن دخولُ الواو عقب السكنى، فيكون الأكل حاصلًا متى شاءوا، فظهر الفرق.

وأمّا **الثالث**: وهو أنه ذكر هناك: ﴿رَغَدًا﴾ وأسقطه هنا؛ فلأنَّ الأكل عقب الدخول ألذ وأكمل، والأكل مع السكنى والاستمرار ليس كذلك؛ فناسب دخول لفظ ﴿رَغَدًا﴾ هناك: دون هنا.

وأمَّا **الرابع**: وهو قوله هناك: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقال هنا على التقديم والتأخير، فلا منافاة في ذلك؛ لأنَّ المقصودَ من ذلك تعظيمُ أمر الله تعالى، وإظهارُ الخضوع والخشوع له، فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتأخير، وقولوا (بواو الجمع المطلق) وهو طلب الدعاء من المذنب وغيره.

**الخامس**: وهو أنه قال هناك: ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ وقال هنا: ﴿خَطِيٓـَٔتِكُمۡ﴾ فهو إشارة إلى أنّ هذه الذنوب سواء أكانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرّع.

**السادس**: وهو قوله تعالى هناك: ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ بالواو، وقال هنا بحذفها، فالفائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد بشيئين: بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب، وإسقاط الواو لا يُخِلُّ بذلك المعنى؛ لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: ماذا حصل بعد الغفرانِ؟ فقيل: إنه سيزيد المحسنين.

وأما **السابع**: وهو الفرقُ بين أنزلنا وبين أرسلنا، فلِأنَّ الإنزال لا يشعر بالكثرة، والإرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل ثم جعله كثيرًا.

**الثامن**: وهو الفرق بين قوله تعالى: ﴿يَفۡسُقُونَ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿يُظۡلَمُونَ﴾ فلأنهم لما ظلموا أنفسهم فيما غيروا وبدّلوا فسقوا بذلك، وخرجوا عن طاعة الله، فوُصفوا بكونهم ظالمين لأجل أنهم ظلموا أنفسَهم، وبكونهم فاسقين لأنهم خرجوا عن طاعة الله،

فالفائدةُ في ذكر هذين الوصفين التنبيهُ على حصول هذين الأمرين.

وفي تكرار ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ووضع المُظْهَر موضع المضمر، زيادةٌ في تقبيح أمرهم، وإيذانٌ بأن إنزال الرِّجز عليهم لظلمهم، وهو أنْ وُضعوا غيرَ ما أُمروا به مكانَ ما أُمروا به، ولا منافاة بين هذه الألفاظِ المختلفة، هذا ملخص كلام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم قال: وتمام العلم بذلك عند الله تعالى[١].

## تحريف الكلم عن مواضعه سبب العذاب والهوان:

وجاء في الأثر أن عذاب الله تعالى كان لهم بالمرصاد، فعن ابن عباس: مات بالفجأة منهم أربعة وعشرون ألفًا في ساعة واحدة. وقال ابن زيد: بعث الله عليهم الطاعون حتى مات من الغداة إلى العشي عشرون ألفًا. وقيل: سبعون ألفًا[٢].

ومن جميل ما قال العلامة ابنُ الجوزي تمييزًا بين اليهود والمسلمين حينما يذنبون: «من تأمل هذا الحديث، علم فرق ما بين أمتنا وبني إسرائيل، فإن أولئك لما أذنبوا دُلوا على طريق التوبة وأتوها متلاعبين بالدين! وهذا يدل على أن الذنوب ما آلمتهم، ولا دخل خوف الجزاء عليها في قلوبهم، ولا اكترثوا بالتحذير من عواقبها، ولا سُروا بالدلالة على طريق النجاة من شرها، ومن كان تلاعبه في أصل دينه ومع نبيه وفي باب توبته فهو في غاية البعد.

وهذه الأمة إذا أذنب مذنبُهم انكسر وبكى واعتذر، ثم لا يزال ينصب ذنبه بين عينيه، ويود أن لو مُحِي بكل ما يقدر عليه، فالحمد لله الذي جعلنا من هذه الأمة» اهـ[٣].

أما أصحاب النبي محمد ﷺ فكانوا يتسابقون في تنفيذ أوامره مع ما فيها من مشاق وخطورة كما في غزوة الحديبية، وهناك فرق بينهم وبين عصاة بني إسرائيل، كما جاء في

---

(١) تفسير الرازي (١٠/ ١٨١).
(٢) غرائب القرآن، النيسابوري (١/ ٢٩٥).
(٣) كشف المشكل، ابن الجوزي (٣/ ٤٩٥).

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: **إِنَّ عُيُونَ الْمُشْرِكِينَ الآنَ عَلَى ضَجْنَانَ، فَأَيُّكُمْ يَعْرِفُ طَرِيقَ ذَاتَ الْحَنْظَلِ**؟ فقال رسول الله ﷺ حين أمسى: **هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَنْزِلُ فَيَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ الرِّكَابِ**؟، فقال رجل: أنا يا رسول الله. فنزل: فجعلت الحجارة تنكبه[١]، والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: **ارْكَبْ**، ثم نزل آخر، فجعلت الحجارة تنكبه، والشجر يعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: **ارْكَبْ**، ثم وقعنا على الطريق حتى سرنا في ثنية[٢] يقال لها الحنظل، فقال رسول الله ﷺ: **مَا مِثْلُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ إِلا كَمَثَلِ الْبَابِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، قِيلَ لَهُمْ: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾** [البقرة: ٥٨]، **لا يَجُوزُ أَحَدٌ اللَّيْلَةَ هَذِهِ الثَّنِيَّةَ إِلا غُفِرَ لَهُ**، فجعل الناس يسرعون ويجوزون، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم، قال: فجعل الناس يركب بعضهم بعضًا حتى تلاحقنا، قال: فنزل رسول الله ﷺ ونزلنا»[٣].

## لماذا تجرأ اليهود على الاستهزاء بالله وأوامره:

١- النظرة الاستعلائية على العالمين، فظنوا أنفسَهم أنهم سرُّ الله بقولهم إنهم «شعب الله المختار»، كما أن الولد سِرُّ أبيه، وأن دين الله نزل لهم وفيهم دون غيرهم، لهذا بقيت اليهودية حصرًا عليهم وليست دعوة تبشيرية.

---

(١) تناله وتصيبه.

(٢) هي ثنية المرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٣) أخرجه البزار (١٨١٢- كشف الأستار)،وقال: لا نعلم أحدًا رواه هكذا إلا محمد بن إسماعيل. قال الحافظ في مختصر زوائد مسند البزار (٢/ ٧١): هو ثقة يحتمل له التفرد، وشيخه (يعني هشام بن سعد) أخرج له مسلم، والإسناد كله على شرطه، إلا أن هشامًا فيه لين. قلنا: لكن احْتجَّ بِهِ مُسْلِمٌ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ: البُخَارِيُّ، كما في السير (٧/ ٣٤٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤٤): رواه البزار ورجاله ثقات.

٢- ثم تطورت زمانيًّا مع بروز وسيطرة الحاخامية التَّلْمُودِيَّة التي أباحت لنفسها أن تكون ندًّا لله في تفسيرها الشريعةَ اليهوديةَ.

٣- وإن الصفاتِ البشريةَ التي ألصقوها في التوراة على ربهم، جرَّأتهم على التعامل مع الله تعالى كواحد من البشر.

٤- لأنهم شبهوا اللهَ تعالى بصفاتِ النقص عند البشر، فهو يتعب ويندم، ويبكي وينسى، ويمكن استغفالُه والتحايلُ عليه، ويجهل ويصارع فيغلب من الانسان، ويدرس التوراةَ والتلمودَ، وله أنثى، ويحتاج المكانَ الذي يأوي إليه، وغير ذلك من الصفاتِ التي لا تليق بصاحب الجلالة والكبرياء رب والسموات والأرضين وما بينهما.

## من فوائد الحديث

١- العبرةُ من هذا الحديث أن من أمره المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأمر من قول أو فعل وأتى بغيره على غير مراد الله تعالى، دخل في زمرة المبدِّلين المعاندين لأمر الله، واستحق عقوبةَ الدنيا والآخرة.

٢- يستعرضُ الله لعباده عنادَ بني إسرائيل للمولى جل في علاه، وكبرهم وغطرستهم وتعاليهم عليه سبحانه، فكيف بحالهم مع عباده وعامة خلقه، لا شك أنه أشد وأنكى.

٣- كل ما جاء عن بني إسرائيل في علاقتهم بالأرض المقدسة ومسجدها يظهر معنا أنها علاقةُ تضادٍ وعنادٍ ونفورٍ، إن العبد الطائع العارف بأحكام الله وشرائعه ومقدساته معظمٌ لها قائمًا مستبشرًا بها، وليس مستهزئًا متكبرًا نافرًا منها.

٤- هذا الفعلُ المَشينُ منهم يذكره اللهُ في موضعين من القرآن بألفاظٍ وتفاصيلَ مختلفةٍ ومتنوعةٍ؛ لفضحهم وتعرية سلوكهم والتحذير من أفعالهم.

٥- هل هؤلاء القوم يستحقون حيازة المدينة المقدسة أو مسجدها المبارك الذي دخلوه مستهزئين يزحفون على مقاعدهم، يُهَرْطِقون بكلمات الاستهزاء التي حار في تفسير معناها بعض أهل التأويل!

٦- إن هذه الأفعالَ والأقوالَ -التي صدرت من يهود- هي ضربٌ من ضروب التشريع والابتداع في الدين، فقد جرت عادة اليهود أن يُدخِلوا في دينهم ما ليس في شريعة أحد من أنبيائهم: كالرقص والغناء الذي أصبح جزءًا من عبادتهم، وطقسًا من طقوسهم يتعبدون الله بها.

٧- إن أَوْلى الناس بهذا المسجد المبارك من أقام شريعته وعظم شعيرته وحفظ عقيدته، وليس من دخله متكبرًا مستهزئًا معاندًا.



## الحديث الثاني

# محمدٌ يجدونَهُ في توراتِهم ولا يُؤمنونَ به!

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. قال في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»(١).

## مقدمة

إن التوراة التي بيد يهود جاء فيها ذكرُ محمدٍ ﷺ وصفتُه ودعوتُه، وهذا الحديث يستعرض بعضَ نصوص التوراة قبل تحريفها، وما جاء فيها من صفات الرسول ﷺ، وكعبُ الأحبار كان يهوديًا فأسلم، وأقر بما جاء نصُّه عن النبي ﷺ بصفته في توراة يهود، قَالَ عَطَاءٌ: لَقِيتُ كَعْبًا فَسَأَلْتُهُ، فَمَا اخْتَلَفَا فِي حَرْفٍ، إِلَّا أَنَّ كَعْبًا يَقُولُ بِلُغَتِهِ: أَعْيُنًا عُمُومَى، وَآذَانًا صُمُومَى، وَقُلُوبًا غُلُوفَى.

قال عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، لَقِيتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ...»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، وتقدم قبله.

لماذا سَأَلَ عَطاءُ بن يسار عبدَ الله بن عمرو عن صفة رَسُول الله ﷺ فِيهَا؟ هل كان يهوديًّا، أم أنه قرأ التوراة وعرف ما فيها؟

نعم، قرأها كَمَا فِي حَدِيث ابْن لَهِيعَةَ عَن واهب عَنهُ: أَنه رأى فِي الْمَنَام كَأَن فِي إِحْدَى يَدَيْهِ عسلًا، وَفِي الْأُخْرَى سمنًا، وَكَأَنَّهُ يلعقهما، فَأصْبح فَذكر ذَلِك للنَّبِي ﷺ، فَقَالَ: «**تقْرَأ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةَ وَالْقُرْآنَ**»، فَكَانَ يقرؤهما[١].

## شرح الحديث

**قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»**: يا محمد.

**قوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا»**: على أمتك بإبلاغك الرسالةَ لهم والدعوةِ إليها.

**قوله: «وَمُبَشِّرًا»**: بالجنة إنْ هم صدَّقوك واتبعوك وعمِلوا بما جئتهم به.

**قوله: «وَنَذِيرًا»**: من النار أن يدخلوها إن خالفوا أمرَك وكذَّبوا دعوتَك.

**قوله: «قَالَ فِي التَّوْرَاةِ»**: أي إن الذي قال هو الله تعالى، منزِّلُ التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن هذه الآياتِ من كلام الله تعالى كان من المفترض أن تكون في التوراة، لكننا إذا بحثنا عنها في توراة يهود اليوم لا نجد شيئًا منها، وهذا دليل على أنَّ في التوراة آياتٍ انتُزعت كليًّا منها.

وقوله تعالى في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، وتقدم قبله.

ما سبق هو آيات بينات في التوراة المنزلة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل تحريفها، أو مسحها من التوراة على يد يهود، لم يصلنا رقمُ آيِها، أو اسمُ السورة التي هي منها هذه الآيات التوراتية الكريمة، وهو موافق لما جاء مثله فِي القُرآن فِي سُورَة الْأَحْزَاب، وَتَمام الآيَة ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

كان اليهود يبشرون ببعثة محمد ﷺ قبل أن يُبعث، وأنهم سيتبعونه بعد بِعثته، فلما جاءهم وكان من غيرهم كفروا به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وعن أبي صخر العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: **أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ، هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي**؟ فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: **أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَخِيكُمْ**، ثم وَلِيَ كفنه وجنَنَه والصلاةَ عليه»[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٩٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٣٤): رواه أحمد، وأبو صخر لم أعرفه،

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم النبيَّ فمرض، فأتاه رسولُ الله يعودُه، فوجد عند رأسِهِ يقرأُ التوراةَ فقال رسولُ الله ﷺ: **يا يهُودِيُّ، أَنشُدُكَ باللهِ الذِي أنزَلَ التَّوراةَ على موسى، هل تَجدُ في التَّورَاةِ صِفَتِي ومَخرَجِي؟** قال: لا. قال الفتى: بلى واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنَّا نجدُ في التَّورَاةِ نَعتَكَ ومَخرَجَكَ، وإنِّي أَشهَدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّكَ رسولُ اللهِ، فقالَ النبيُّ: **أَقِيمُوا هذا مِن عندِ رأسِهِ، وَلُوا أخَاكُم**»(١).

**وقَوْله:** ﴿شَٰهِدًا﴾ أَي: لأمتك الْمُؤمنِينَ بتصديقهم وعَلى الْكَافرين بتكذيبهم، أَي: مَقْبُولًا قَوْلُك عِنْد الله لَهُم وَعَلَيْهِم، كَمَا يقبل قَول شَاهد العدل فِي الحكم.

**وقوله:** ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أَي: للمُؤمِنين. ﴿وَنَذِيرًا﴾ للْكَافِرِينَ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَي: إِلَى توحيده.

**وقَوله:** ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أَي: بأَمره لَك بِالدُّعَاءِ. وَقيل: بِإِذْنِهِ بتوفيقه.

**وقوله:** ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ جلى بِهِ الله ظلمات الكفر فاهتدى بِهِ الضالون، كَمَا يجلى ظلام اللَّيل بالسراج الْمُنِير ويهتدى بِهِ، وَصفه بالإنارة، لأَن من السراج مَا لَا يضيء إِذا قل سليطه، أَي: زيته، ودقت فتيلته.

**قَوْله: «وحِرزًا»:** بِكَسْر الحَاء الْمُهملَة، أَي: حَافِظًا، والحرز فِي الأَصْل الموضع الحصين، فاستعير لغيره. وسمى التعويذ أَيضا حرْزا، وَالمعنَى: حَافِظًا لدين الأُمِّيين، يُقَال: حرزت الشَّيْء أحرزه حرْزا: إِذا حفظته وضممته إِلَيْك وصنته عَن الْأَخْذ، والأميُّون: الْعَرَب، لِأَن الْكِتَابَة كَانَت فيهم قَليلَة.

**وقوله: «سميتك المتَوَكل»:** متوكلٌ على الله في جميع أحواله في رزقه وفي بذل الأسباب في دعوته وجهاده.

---

وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٢)، وضعفه الأرناؤوط في تخريج المسند تحت رقم (٢٣٤٩٢).

**وقَوْله: «لَيْسَ بِفَظٍّ»**: أَي: ليس بسيئ الْخلق.

**وقَوْله: «وَلَا غليظ»**: أَي: أنه يتلطف بالقول.

**وقَوْله: «وَلَا سَخَّاب»**: وهو حال أهل الأسواق وما يكونون عليه من صراخ.

**وقَوْله: «وَلَا يدْفع بِالسَّيِّئَةِ السَّيئَة»**: أَي: لَا يتعامل بالمثل بل يرد السيئة بالإحسان.

**وقَوْله: «حَتَّى يُقيم بِهِ»**: أَي: حَتَّى ينقى بِهِ الشّرك وَيثبت التَّوْحِيد.

**وقَوْله: «الْملَّة العوجاء»**: أي جاء ليقيم ما اعوج وانحرف من ملة الإسلام.

**قَوْله: «أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا»**: أي: برسالة محمد ودعوته النقية الصافية، فهي سبب في إبصار وسماع للحقيقة وتجلية لها.

**وقَوْله: (وَقُلُوبًا غلفًا»**: أي: مغشاة مغطاة، مفردها أغلف[١].

**التوراة تبشر بمحمد ﷺ:**

جاء في التوراة أن موسى بارك بني اسرائيل قبل موته، فقال: «جاء الربُّ من سيناء، وأشرق له من سعير، وتلألأ من جبال فاران»[٢]، وفاران: هي جبال مكة، وأعلى جبالها حراء، الذي نزل فيه الوحي على رسول الله ﷺ.

وجاء في الإصحاح الثالث من سفر حبقوق: «وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، ملك بيمينه رقاب الأمم»[٣].

لم تكن هذه الآيةُ هي الوحيدةَ في التوراة التي تشير إلى بَعْث محمد ﷺ، فبين أيدينا

---

(١) كل ما سبق بتصرف واختصار من عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٤٣).

(٢) التثنية، الإصحاح (١/ ٣٣).

(٣) كذا في الجواب الصحيح (٣/ ٣١٣)، والنص من الترجمة المعاصرة: «اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ... نَظَرَ فَرَجَفَ الأُمَمُ وَدُكَّتِ الْجِبَالُ الدَّهْرِيَّةُ وَخَسَفَتْ آكَامُ الْقِدَمِ»، حبقوق (٣: ٣-٦).

آياتٌ أُخَرُ جاء فيها التبشير بقدوم محمد ﷺ، ومنها كما جاء في توراة اليهود، واسم الرب: هو محمد الآتي باسم الرب، لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال عنه: إنه سيأتي باسم الله. «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه...»(١).

وجاء في كتابهم ما يشير إلى نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي ﷺ وهو في الغار، آمرًا له بالقراءة: «يدفع الله الكتابَ لمن لا يعرف الكتابة، ويقال له هذا فيقول: لا أعرف الكتابة... من أجل الحق والدعة والبر... شعوب تحتك تسقط»(٢). ومما جاء ما يشير إلى مكان مبعث النبي ﷺ الذي وصف في التوراة: «الله جاء من تمان والقدوس من جبل فاران»(٣).

وأما صفة القوم الذي سيبعث فيهم النبي الجديد، فلهم صفات تختلف عن الصفات التي يتبجح بها اليهود: «أصغيت إلى الذين لم يسألوا، وجدت من الذين لم يطلبوني، قلت: هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي»(٤).

وكما جاء في إثبات بعث محمد ﷺ ما جاء.

وجاء كذلك: «أنت أبرع جمالًا من بني البشر، انسكبت النغمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار»(٥).

## لقد بشر بالنبي ﷺ بعض من كانوا على غير دين محمد وأقروا برسالته:

١- هرقل الروم قال لأبي سفيان بن حرب: «إن يكُ ما تقول فيه حقًّا، فإنه نبيٌّ، وقد كنت

---

(١) تث (١٨: ١٨- ١٩).
(٢) مزامير (٤٥: ٢-٥).
(٣) حبقوق (٣: ٣).
(٤) إشعياء (٦٥: ١).
(٥) إشعياء (٢٢: ١١-١٢).

أعلم أنه خارجٌ، ولم أكُ أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي» [١].

٢- نجاشي الحبشة: أعطى الأمان لأصحاب محمد الذين هاجروا إليه، وقد أرسلت قريش له تطلبهم وتحرِّض عليهم، فقال لهم «اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي -والسيوم: الآمنون- من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم»[٢].

٣- ورقة بن نوفل، قال: «هذا الناموسُ الذي نزَّل اللهُ على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قال: نعم، لم يأت رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلا عُودِي، وإن يدركني يومُك أنصرْك نصرًا مؤزرًا» [٣].

## والنصارى يبشرون بمحمد في إنجيلهم:

كما جاء في إنجيل برنابا: «قال الله: اصبر يا محمد؛ لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم، وجمًّا غفيرًا من الخلائق التي أهبها لك، حتى إن من يباركك يكون مباركًا، ومن يلعنك يكون ملعونًا، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص، وتكون كلمتُك صادقةً حتى إن السماءَ والأرضَ تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبدًا، إن اسمه المبارك محمد، حينئذ يرفع الجمهورُ أصواتَهم قائلين: يا اللهُ أرسل لنا رسولَك، يا محمدُ تعال سريعًا لخلاص العالم»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٠)، وابن خزيمة (٢٢٦٠)، وشرح معاني الآثار (٥٥٩٨)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢/ ٣٥٤)، وحسنه الأرناؤوط في تخريج المسند (٣/ ٢٦٨)، والحاشدي في تخريج الأسماء والصفات للبيهقي (٤٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣).

(٤) برنابا (٩٧).

### لماذا الحقد اليهودي على نبينا محمد ﷺ وعلى دعوته:

١- لأنهم كانوا يترقبون نبيًّا منهم ومن نسل نبيهم إسحاقَ، فتفاجئوا أنه ليس منهم، وأنه من نسل نبي الله إسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٢- لأنهم كانوا يتفاخرون بين القبائل أنهم أصحابُ كتاب سماوي منزَّل، وأن مَن حولهم من قبائل لا كتاب لهم، فنسخ الله كتابهم وأنزل كتابًا وأرسل نبيًّا من أمة العرب المعروفة بأُمِّيَتِها، فشعروا أنه قد انتهى مجدهم بين الأمم بعد أن نسخ الله تعالى كتابهم واستبدل بهم غيرهم.

## من فوائد الحديث

١- كشف لنا النبي ﷺ آيةً في التوراة لا نجدها اليوم في توراة اليهود، وهذا دليل على تحريف اليهود لتوراتهم.

٢- الآيات في التوراة لم تبشر فقط بمحمد ﷺ، بل عرّفت بمكارم أخلاقه، وجميل صفاته.

٣- آياتُ القرآن والتوراة المبشرة بمحمد ﷺ حجةٌ داحضةٌ بذاتها حاضرة على يهود كل زمان ومكان لا عذر لهم بجهلها.

٤- حقدُ اليهود على رسول الله محمد ﷺ لا مثيل له في العالمين، مع أنهم مبشَّرون به وأدرى الناس بدعوته.

## الحديث الثالث

# يعرفون الحقَّ ولا يؤمنون به

عن ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنَّ اسمي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أسمعُ بِأُذُنَيَّ، فَنكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: **سَلْ** فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ** قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ** قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: **زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: **يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا** قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا** قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: **يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟** قَالَ: أسمعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: **مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ.** قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ)**[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

## مقدمة

كان أحبار اليهود يتغشَّون أحيانًا مجالسَ النبي محمد ﷺ، يسألونه عن بعض ما وافق شريعتُنا شريعتَهم؛ ليتأكدوا من صدق دعوى النبي ﷺ، ثم يتركون مجلسَه ويتداولون بينهم ما جاء في كلامه.

وكانوا فيما بينهم يعترفون بصدقه، وصدق ما جاء به، ومع هذا يصرون على تكذيبه وعِناده.

## شرح الحديث

**قوله: «فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ»:** لم يَرِد في هذا الحديث اسمُ الحِبر، والحِبر: هو العالم، بفتح الحاء وكسرها كلاهما صحيح، وهو بالكسر أصح.

**مصدر كلمة يهودي:**

اختلفت آراء اللغويين والمفسرين في تفسير أصل الكلمة التي اشتقت منها كلمة يهود، وسبب تسمية اليهود بهذا الاسم، وهي على النحو التالي:

**أولًا:** أنها من (هاد) بمعنى رجع، سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل، وقالوا: (إنا هدنا إليك، أي: تبنا ورجعنا).

**ثانيًا:** إنها مشتقة من هاد يَهُودُ، فالهَوْد: هو الميلُ والرجوعُ، لأن اليهودَ كانوا كلما جاءهم نبيٌّ أو رسولٌ هادوا إلى ملكهم ودلوه عليه ليقتلوه.

**ثالثًا:** أن أصل كلمة يهود من (التهوّد) وهو الصوت الضعيف اللين الفاتر، وسُمُّوا بذلك لأنهم يتهودون عند قراءة التوراة.

**رابعًا**: نسبة إلى (يهوذا) – وهو رابع أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ – فعُرِّب هذا الاسمُ بقلب الذال دالًا فقيل يهود، وأدخلت الألف واللام على إرادة النسب فقيل (اليهود).

**خامسًا**: هم الذين هادوا، أي مالوا عن دين موسى، أو هم الذين تهودوا، ويقول عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة [١].

وجاء في «مفصل العرب واليهود في التاريخ»[٢]: «أنهم يرجعون إلى بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نَبُوخَذْ نَصَّر إلى بابل في القرن السادس ق.م، وهؤلاء سموا كذلك نسبة إلى مملكة ومنطقة يهوذا (٩٣١-٥٨٦ ق.م)، و لم تستعمل هذه التسمية إلا في عهد مملكة يهوذا، لذلك فهي تسمية متأخرة ولا صلة لها بيهوذا ويعقوب، اللذَين عاشا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، و لعل (يهوذا) كانت اسم مدينة في فلسطين منذ عهد الكنعانيين، فبعد أن نزحت جماعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فلسطين تكونت مملكة يهوذا بعد عصر يعقوب وابنه (يهوذا) بحوالي ألف عام في منطقة يهوذا الكنعانية، فسميت باسمها، ثم انتشر استعمال اسم اليهود بعد السبي البابلي منذ القرن السادس للميلاد».

## كيف تحولوا من بني إسرائيل إلى يهود:

نبه الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في رسالة له باسم «الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل» وفيها تحقيق بالغ أن «يهود» انفصلوا بكفرهم عن بني إسرائيل زمن بني إسرائيل، كانفصال إبراهيمَ عن أبيه آزر، والكفر يقطع الموالاة بين المسلمين والكافرين كما في قصة نوح مع ابنه. ولهذا فإن الفضائل التي كانت لبني إسرائيل ليس ليهود فيها شيء، ولهذا فإن إطلاق اسم بني إسرائيل على يهود يكسبهم

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٣، ٢/ ٨، ٣/ ٢١) – مجمع البيان في تفسير القرآن (١/ ١٢٥).
(٢) (ص ٥٢٩).

فضائلَ ويحجب عنهم رذائلَ، فيزول التمييز بين «إسرائيل» وبين يهود المغضوب عليهم، الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة.

ولهذا يرى البعض أن لفظ يهود هو اسم خاص بالمنحرفين من بني إسرائيل، لكن لم أجد تحقيقًا دقيقًا يجزم -بشكل دقيق- بتحديد التاريخ الذي أطلق فيه تسمية يهود.

وعلى صعيد الاستنتاج والاستنباط القرآني، فإننا نجد في السياق القرآني عند استعمال كلمة يهود أنها أطلقت بعد تجاوزهم حدود الله، وانحرافهم عن منهجه سبحانه، وأنها لم ترد في سياق المدح، بل حين الغضب عليهم والتنديد بكفرهم.

### من هو اليهودي؟!:

لم تتفق الجماعات والكيانات اليهودية -إلى الآن- على تعريف دقيق يحدد اليهودي من غيره!

فمفهوم «اليهودي» من أكثر المصطلحات إشكالية بين الجماعات اليهودية، قد يظن البعض أنها أمة متماسكة في شكلها ومضمونها، والحقيقة غير ذلك، فالخلاف مُحْتَدِم حول تعريف مَن هو اليهودي، حتى ظهرت بينهم ظاهرةُ «ادعاء اليهودية» ممَّن لم تعترف بهم الكثير من الجماعات اليهودية، أما الجهةُ الرسميةُ في الكيان اليهودي وهي المحكمة الإسرائيلية العليا تقرر أن تعريف اليهودي: «هو مَن يرى نفسَه أنه يهوديٌّ»، وإن لم يعتقد باعتقاداتِهم، ولم يتعبد بطقوسهم، ولم يتقيد بشريعتهم!

أما بحسب المفهوم الشرعي التقليدي لتعريف اليهودي، هو: من ولد لأم يهودية.

وبحسب قانون دولة الكيان المغتصب، فإن اليهودي مَن كانت والدته أو جدته أو جدته لأمه أو جدته لجدته يهودية في ديانتها.

وترى بعض الجماعات اليهودية أن الإناث إذا أردن أن يتهودن: فيجب معاينتهن من ثلاثة حاخامات وهن عاريات في(حمام التطهير) ويقول بعضهم: «إن وسائل الإعلام باللغة الانجليزية يحجمون عن نقلها، لأنه موضوع مثير للاهتمام» [١].

الذين يعترف بهم أنهم يهود يتلقون تلقائيًّا (شهادة هجرة)، وفور وصولهم يتلقون الجنسية الإسرائيلية، لأنهم عادوا للوطن اليهودي، والذين هاجروا من الاتحاد السوفيتي السابق يحصلون على (هبة استيطان) قدرها عشرون ألف دولار للعائلة الواحدة، ويحق لهم حق التصويت في الانتخابات وحق ترشيح أنفسهم في الكنيست، حتى لو كانوا لا يتكلمون كلمة عبرية واحدة.

وإذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة تُرضي السلطات الإسرائيلية، بشرط ألا يكون قد تَحَوَّل في وقت عن اليهودية واعتنق ديانة أخرى.

لا زالت المعاناة قائمة في تعريف اليهودي تعريفًا مضطرِبًا خلَط بين المفهوم العرقي والديني، وهذا الاختلاف والتباين الواضح هو الذي دعا عبد الوهاب المسيري في موسوعته «اليهود واليهودية والصهيونية» إلى القول: «الأصحُّ أن يطلق عليهم الجماعات اليهودية؛ لأن مسمى يهود أو الشسعب اليهودي كلمات مطلقة تؤكد التماسك والتجانس والوحدة، حيث لا تجانس ولا وحدة ولا تماسك»[٢].

وقد يتساءل البعضُ عن مدى علاقة اليهودي بالصهيوني، وهل كل يهودي صهيوني؟ أو هل كل صهيوني يهودي؟ وما هو أصل كلمة صهيوني وعلاقتها باليهود؟

---

(١) إسرائيل شاحاك، الدولة اليهودية (ص ٢٢).

(٢) (٤/ ٦٨).

## من هو الصهيوني:

يقول د. أحمد سوسة: «إن الصهيونية مشتقة من لفظة (صهيون)، وهي رابية -أي: تل- في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون -أبناء عمومة الكنعانيين العرب- حصنًا قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى) بحوالي ألفي عام. ولذا تكون لفظة (صهيونية) كنعانية (عربية) وليست عبرية (يهودية)، شأنها في هذا شأن أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة، التي كانت ولا تزال تحمل أسماءَها الكنعانيةَ الأصليةَ حتى يومنا هذا»[١].

وفي «المعجم الوسيط»: «الصهيونية: حركة تدعو إلى إقامة مجتمع يهوديٍّ مستقلٍّ في فلسطين، وهي نسبةٌ إلى جبل قربَ أورشليم يسمَّى صهيون»[٢].

وحتى يأخذ هذا المصطلح بعدًا عقديًّا وخاصة عند أصحاب الرؤية الحلولية، يرون أن رب يهود سكن في هذا الجبل، متمثلين وبشكل ظاهري ما ورد في المزامير: «رنِّموا للرب الساكن في صهيون»[٣].

لم يقف هذا البعد الحلولي عند حد معين، بل تعظم الأمر وتوسع، ليشمل كل فلسطين، بل كل مكان وزمان له علاقة بالشعب اليهودي المقدس!

ووفق تفسيرهم هو اختيار رباني تجاوز البعدَ المكاني والزماني، ليتشكل إلى بُعْدٍ حلوليٍّ ملتقٍ فيهم أينما حلوا.

وعليه كان اشتقاق اسم الحركة من كلمة «صهيون» ليعطي الحركة الصهيونية بعدًا عقديًّا ووجوديًا على أرض فلسطين.

---

(١) العرب واليهود في التاريخ.. حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، لد. أحمد سوسة (ص ٣٤٧).
(٢) (١/ ٥٢٧).
(٣) مزامير (٩: ١١).

جاء في الموسوعة الفلسطينية تعريف الصهيونية بأنها: «كلمة أخذها المفكر اليهودي (ناثان برنباوم) من كلمة (صهيون) لتدل على الحركة الهادفة إلى تجميع (الشعب اليهودي) في أرض فلسطين، ويعتقد اليهود أن المسيح المخلص سيأتي في آخر الأيام، ليعود بشعبه إلى أرض الميعاد، ويحكم العالم من جبل صهيون»[١].

لكن ومع كل ما ذكروه من بُعْدٍ عقديٍّ للمصطلح، نجد أن المنتسبين وحملة الراية الصهيونية هم أبعدُ الناس عن التمسك بالتعاليم التوراتية والتلمودية، بل ربما يكونون ملحدين لا يمارسون أي طقوس دينية يهودية، أو حتى تأدية الصلوات اليهودية أو طقوس وتعاليم السبت!

وكان أول ظهورها كحركة سياسية يهودية، في وسط وشرق قارة أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، ودعت اليهود للهجرة إلى أرض فلسطين.

وفي ٧ من ذي القعدة ١٣٩٥هـ الاثنين ١٠/ ١١/ ١٩٧٥م، صدر قرار الأمم المتحدة ٣٣٧٩ الذي ساوى بين الصهيونية والعنصرية.

وفي السادس عشر من كانون الأول ١٩٩١م، وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء على مساعي الولايات المتحدة الأميركية، على إلغاء قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٧٩ الذي نص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

وأما مصطلح العبرانيين الذين يشير إليه البعض على أنه مرتبط ببني إسرائيل، فينبغي أن نشير إليه إشارة سريعة.

### العبرانيون:

مصطلح العبرانيون سابق لمصطلح «بنو إسرائيل» واليهود، وهم القبائل التي عبرت البادية من الشام إلى مصر، وعليها صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين،

---

(١) وذلك على موقع الموسوعة على الرابط www.palestinapedia.ps.

باعتبارهم امتداد تلك الجماعات[١].

**قوله: «فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟»:**

نلاحظ هنا أن هذا الحِبرَ قدم بين يدي رسول الله ﷺ، وسلم سلامًا لا تحريف فيه كما هي عادة يهود في قولهم: «السام عليكم»، وأن مناداته رسول الله باسمه المجرد فيها قلة أدب مع جناب النبي ﷺ، وإن كان يريد من ذلك اختبار صبر النبي ومكانته بين أصحابه، لكن سرعان ما عرف ذلك من ردة فعلهم التي بلغته على الفور.

كما أنه لم يدفع أو يعتدي على مَن دفعه دفعة كاد أن يقع منها، لا شك أن هذا فيه إهانة للحبر لقول صدر منه فيه عدم احترام للنبي ﷺ، وأن ما قام به الصحابي ثوبان فيه دفاع عن جناب النبي ﷺ.

**قوله: «فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ»:** وهنا ملاحظة أخرى لم يقل كما قالت قريش في الحديبية: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، وكأنه إقرار بنبوته ﷺ ولم ينف عنه ذلك كما فعلت قريش، وكأن الحبر كان يطلب الهداية بعد تأكده من الأجوبة التي سينالها من الرسول ومدى موافقتها لما جاء في التوراة.

**قوله: «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اسمي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»:** فكان جواب النبي ﷺ موافقًا لجواب الحبر، وهذا من تواضع النبي ﷺ وتلطفًا مع الحِبر، وتحبيبًا واستدراجًا له.

**قوله: «فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أسمعُ بِأُذُنَيَّ»:** واضح أن الحبر كان صريحًا مع النبي ﷺ، ولم يكذب أو يعد النبي

(١) انظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ، د/ أحمد سوسة، بتصرف.

بشيء، واكتفى بقوله: أسمعُ بِأُذُنَيَّ، وكأن لسان حاله يقول وبعد سماعي أقرر ما سيكون مني، خاصة أنه أكد ليس فقط سيسمع بل ذكر الأذنين.

**قوله: «فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ»:** يبدو أن النبي ﷺ بعد سماعه ما قاله الحبر ذهنُه ذهب بعيدًا، يفكر في قول اليهودي: أسمعُ بِأُذُنَيَّ. وكيف يجعل للسماع تأثيرًا في قلب الحِبر، لهذا انشغلت يده بعود يَنْكُت فيها، ولم يكن ذلك كبرًا منه أو استهتارًا بالسائل.

**قوله: «قال: فَقَالَ: (سَلْ). فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ). قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: (فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ). قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ). قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: (يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا). قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: (مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: (يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟) قَالَ: أسمعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: (مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ).**

**قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ»:**

تأكد لهذا الحِبر من أجوبة النبيِّ محمدٍ ﷺ صدقَ دعوته، وموافقةَ ما جاء في توراتهم، وأبدى له بصدق أنه صادق.

**قوله: «قال: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ»:**

وهذا فيه أن النبي لا يعلم الغيب، وأن ما سأل عنه اليهودي هو مما جاء في توراتهم،

ونبيُّ الله محمدٌ لم يقرأها ولم يعرف ما فيها، وكان غنيًّا عمَّا فيها؛ لأنها منسوخة، ومن جانب آخر محرفة، فلا حاجة لرسول الله بها، وأبدله الله عنها بالقرآن الكريم.

## من فوائد الحديث

١- كان يتردد على النبي من اليهود أحبارُهم وكبراؤهم؛ ليتعقبوا أخبارَه عن قُرْب وليطابقوا ما جاء به بما عندهم.

٢- اليهودي لم يبد اهتمامًا للرسول ولا لأجوبته، مع أنها تأتي موافقة لما في التوراة، غير أن اليهودي كان يقول «أسمع بأذني».

٣- كان رسول الله متجاوبًا ومستجيبًا لسؤال اليهودي ودمثًا معه أملًا في إسلامه.

٤- هذا الحديث يؤكد عناد اليهود وكفرهم بعدما عرفوا صدق النبي ﷺ، وصدق ما جاء به.

# الحديث الرابع

## اليهودُ يكفرون بمحمدٍ ﷺ ويتمنَّونَ دعاءَه لهم!

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: **يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»[١].

### مقدمة

تتجلى أمامنا الكثير من المواقفِ التي تؤكد عناد اليهود وكبرهم، مع علمهم ويقينهم أن محمدًا ﷺ نبي رسول من الله تعالى.

### شرح الحديث

**قوله: «كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النبي ﷺ»**: أي يتكلَّفون ويتصنَّعون العطسةَ، ويأتون بصوت يشبه صوت العُطاس، وهو ضرب من ضروب التمثيل، وإظهار ما لا يبطنون، وعند أحمد جاء بلفظة: «كانت اليهود»[٢]، والعُطاس محبوب عند الله تعالى كما جاء في حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ**...»[٣]، والسبب في ذلك أن العُطاس من الله، والتَّثاؤُب من الشيطان، كما جاء عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «**العُطَاسُ مِنَ اللهِ، وَالتَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ**...»[٤]

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٨٦)، والترمذي (٢٧٣٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري(٦٢٢٣).

(٤) أخرجه أحمد (٧٥٩٩)، والترمذي(٢٧٤٦)، والنسائي في الكبرى (٩٩٧٤)، وقال الترمذي: حديث حسن. وصححه ابن خزيمة (٩٢١)، وابن حبان (٢٣٥٨)، والحاكم (٧٦٨٣)، ووافقه الذهبي.

**قوله: «قال: يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ»**: وعند أحمد جاء بلفظة: «رجاء أن يقول لهم»[(١)]. ومن كِبَر يهود يتمنَّون أن يدعوَ لهم دونما طلب منهم بقولهم ادعُ لنا، فكانوا يتحايلون على هذا الطلب بالتعاطس في حضرة النبي ﷺ، لكن أنَّى لهم! فالرحمة مختصة بالمؤمنين، وأرادوا من هذا أن تعود عليهم بركة دعاء النبي ﷺ لهم، وهذا دليل على علم اليهود بحقيقةِ بركةِ ونبوة محمدٍ ﷺ، لكن كِبَرهم وإصرارهم على كفرهم حرَمَهم هذه الرحمة الخاصة باتباع محمدٍ رسول الله ﷺ.

**قوله: «قال: فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»**: ومع هذا لم يحرمهم الدعاءَ الذي يستحقونه؛ لأن الرحمةَ لا تكون إلا بعد الهداية، ومن رحمةِ رسول الله أنه لم يحرمهم بركةَ دعائه لهم بالكلية، فدعا لهم بالهداية، مع أنهم كانوا يتصنعون العطاس والرسول يعلم بتصنعهم.

كما أنها هي السنة النبوية في تَشْمِيت الذِّمِّيّ وغيره من الكفار، وفعل النبي ﷺ يدلُّ على أن الكافر لا يُدعى له بالرحمة، وإن كانت رحمةُ الله تعالى في الدنيا شاملة؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] بل يُدعى له بالهداية، وصلاحِ البال وهي تختلف عن الصيغة التي يُشمَّت بها المسلم، هذا ليس فيه منقصة لهم بل حرص عليهم أن يلحقوا بركبنا، وما ارتضيناه لأنفسنا من هداية وصلاح بال.

وكما أن في ذلك خيرًا لهم، فهو كذلك خير للمشَمِّت، أنه لم يُحرَم أجرَ الدعاء للعاطس مسلمًا كان أو كافرًا إن حمِد الله بعد عَطْسِه، والحمد لله على نعمة الإسلام.

وعكس ذلك لا نرى من الكفار دعاء للمسلمين بالهداية وصلاح البال أو نحوه،

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٨٦).

ونرى عكس ذلك من اليهود على رسول الله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، وهو «قول أهل الكتاب من يهود، كهيئة ما يقول الإنسان: اسمع لا سمعت، أذى لرسول الله ﷺ، وشتمًا له واستهزاء»(١).

قال قتادة: «كانت اليهودُ يقولون للنبي ﷺ: راعنا سمعك. يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحةً، فقال الله تعالى: ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾؛ واللَّيُّ: تحريكهم ألسنتهم بذلك ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]» (٢)، وراعنا جرت على لسانهم مجرى الاستهزاء والسخرية برسول الله ﷺ بطريقة محتالة، وهي من الكلمات التي كانت اليهود تتساب بها فيما بينهم، حتى قال ابن عباس عنها «إنها سُبَّةٌ بِلُغَةِ الْيَهُودِ»(٣).

## من فوائد الحديث

١- العاطسُ إذا لم يكن مسلمًا دُعي له بالهداية دون الرحمة، بشرط أن يحمد الله بعد عطسته.

٢- حرصُ اليهود على تغشيِّ مجالس النبي ﷺ والتعرض لبركاته ودعواته.

٣- هذا الحديثُ يدل على انفصام شخصية اليهود أو ما يعبر عنه علماء النفس اليوم «الشيزوفرينيا»(٤)، وتناقضهم وازدواجية تعاملهم مع النبي ودعوته، فكيف يرجون دعاءَه وهم لم يؤمنوا به؟! فهم كالذي يريد الهداية ولا يسلك مسالكها.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٧/ ١٠٥).
(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٧/ ١٠٧).
(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٦).
(٤) هو اضطراب عقلي مزمن وشديد يؤثر على طريقة تفكير الشخص وشعوره وسلوكه، كما قد يسمع المصابون به أصواتًا غير موجودة، أو قد يعتقدون أن أشخاصًا آخرين يحاولون إيذاءهم، غالبًا ما يصفه الأطباء بأنه نوع من الذهان، وهذا يعني أن الشخص قد لا يكون دائمًا قادرًا على تمييز أفكاره الخاصة عن الأفكار التي تحدث في الحقيقة.

٤- من أدب النبي ﷺ ورجاحة عقله ومعرفته لأولوياته أنه لم يُظهر لليهود دعوى تعاطسهم، وتعامل معهم على أن تعاطسهم حقيقة.

٥- هذه الأفعال من يهود تبين أنهم يعرفون صدق النبي ﷺ، وصدق دعوته وقد بين ذلك سبحانه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٦- الحسد لا يأتي بخير وهو من فعلهم وأخلاقهم، لقد كان اليهود يعلمون صدقَ نبوته ﷺ ورسالتَه باطنًا، وإن أنكروها حسدًا وعنادًا في ظاهر أفعالهم وأقوالهم.

٧- ولو دعا لهم رسول الله ﷺ لم ينفعهم ذلك مالم يؤمنوا، لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

## الحديث الخامس

# تعديهم على جنابِ النبيِّ ﷺ بالدعاءِ عليه

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: (مَا لَكِ؟!) قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: (فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ)»[1].

## مقدمة

هذه الفئة من البشر تَظهَر وقاحتُهم وتعديهم وسوء طويتهم على حركاتهم وسكناتهم، لا يراعون فيها كبيرًا ولا صغيرًا، أمةٌ لا تُعرَف بقيمةٍ أخلاقية واحدة يمتازون بها عن غيرهم من البشر، جُبِلوا على الشر ونشأوا في مستنقعات الانحطاط الأخلاقي باسم الدين والكتاب العزيز.

## شرح الحديث

**قوله: «قالت: إنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ»:** أظهروا في كلامهم أنهم أرادوا قولَ السلامُ عليكُم. وفي رواية: «قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ»[2]، السَّامُ تعني الْمَوْت العاجل[3]، قال الخطابي: «فسروا السامَ بالموت في لسانهم كأنهم دَعوا عليه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥). (٢) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

(٣) غريب الحديث، ابن قتيبة(١ / ٣٥٧). (٤) أعلام الحديث (٣/ ٢١٧٦).

١ - **وفي رواية: «السَّأْمُ عَلَيْكُمْ»**[(١)]، وَمَعْنَاهُ: أَنَّكُمْ تَسْأَمُونَ دِينَكم[(٢)].

هذا القول المشين صدر عن عدد من اليهود وليس من نفر منهم، أو كما يظن البعض أنه سلوك شخصي، بل هو سلوك جماعي وتواطؤٌ جَمْعِي منظمٌ ممنهَجٌ، كما جاء في نصِّ حديث الباب: «أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ» وفي رواية: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٣)]، أي أن هذه الكلمات لم تخرج منهم على سبيل الصدفة بل إنها كلمات رتبوها ومؤامرات حشدوا لها.

**هو ليس مجردَ دعاء على الرسول وتمني الموت له، إنما:**

هو مما طفحت به قلوبهم من الغيظ على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وهو تمني الموت للرسول ﷺ وبشكل صريح، وقد أتوا بما هو أعظم من ذلك، فقتلوا كثيرًا من أنبيائهم، بل هو ديدنهم مع أنبيائهم، كما قال سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ٤٧٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصل الحديث متفق عليه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٤).

قوم قاسيةٌ قلوبُهم لا يعرفون معروفًا ولا فضلًا لأهل الفضل، فما بالك بالأنبياء أشرفِ الخلق وأجلِّهم، وعلى قدر فضلهم ومكانتهم كانت عقوبةُ منتقصيهم، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا...**»(١).

وهذا اللفظ المشينُ وغيرُه من ألفاظ ذكرناها، تَنُمُّ عن مقدمة خبيئةِ شرٍّ كانت عاقبتُها محاولةَ اغتيال النبي ﷺ وأخرى لِسَمِّه.

**قوله: «قالت: فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: مَا لَكِ؟! قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟»**: وفي رواية أنها قالت: «السَّامُ عَلَيْكُمْ يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَعْنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ»(٢): ولم تقصد بقولها أولم تسمع أن النبي ﷺ لم يسمع مقولتهم، بل قصدت أن تؤكد فحش ما قالوا.

**قوله: «قالت: قَالَ: فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ؟»**: أي: وَعَلَيْكُم مِثْلُ مَا دعَوْتُم. وفي رواية: «**وَعَلَيْكَ**»(٣). وفي رواية: قَالَ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»(٤). وفي رواية عن أنس: «**يَا عَائِشَةُ، لَمْ يَدْخُلِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٦٨)، والبزار (١٧٢٨-البحر الزخار)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٦): ورواه البزار بإسناد جيد. وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٥٣١)، والترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان (٥٥١)، و الضياء بإيراده في المختارة (١٦٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥٧)، ومسلم (٢١٦٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٣٠).

(٥) أخرجه أحمد (١٣٥٣١)، والترمذي (١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان (٥٥١)، والضياء بإيراده في المختارة (١٦٦٨).

وجاء في رواية أخرى: «**إِنَّه يُسْتَجَاب لنا فيهم وَلَا يُسْتَجَاب لَهُم فِينَا**»[١]؛ لأننا على الحق والهدى، وهم على باطل، ويعلمون ما نحن فيه من حق فلا يُستجاب لهم.

## من فوائد الحديث

١- هذه أخلاق يهود مع نبيٍّ مرسل، فكيف بهم مع من دونه؟ فكيف نُطَبِّع معهم ونفتح لهم الحدود؟ ونتعايش مع فئة من البشر لفظتهم الشعوب وسئمت أفعالَهم!

٢- السُّام عليكُم ضربٌ من ضروب التحريف والتزوير الذي مس كتابهم وأحكام دينهم.

٣- أمة قلْبُها ممتلئٌ حقدًا وحسدًا وغيظًا على غيرهم، لا يتمنون الخير لأحد ولا ينشرون المحبة بين الأمم، يعشقون الفساد والإفساد والتحريش بين الناس، كيف للعالم أن يأمن جانبهم؟!

٤- مع سوء طويتهم وفُحش كلامهم، فإن النبي تعامل معهم بأفضلَ ما يمكن مُعَبِّرًا عن أخلاقه، وسلامة وكمال ما جاء به من تشريع.

٥- فراسة النبي ﷺ والسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحذرهم الشديد وتيقظهم من يهود، ومعرفتهم السابقة بمكرهم كما في بعض الروايات جاءت لفظة «فَفَهِمْتُهَا»[٢]، فلم يستطع اليهود تمرير هذه الكلمات السيئات بنجاح.

٦- الرسول ﷺ يعلِّم أصحابَه وأمتَه عمليًّا الحيطة والحذرَ من اليهود.

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه (١٦٨٥)، وقال الالباني في الصحيحة (٢٧٢١) بعد عزوه لمسند إسحاق: و هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤).

٧- رسول الله ﷺ المعلمُ القدوةُ لم يرضَ لعائشة أن تكون فحاشةً، ونهاها عما قالت؛ ليعصم ألسنة أتباعه عن فحش الكلام.

٨- النبي ﷺ لم يمنع عائشة من الاستدراك على اليهود في حضرتهم، لكن حذرها ومنعها مما تلفظت به.

٩- ما كان من يهود في حق النبي ﷺ شتم يستحقون به العقوبة، لكن النبي ﷺ آثر تعليمَ اليهود والتلطف بهم، وتعليمَ أصحابه سُمُوَّ الأخلاق مهما دنت به أخلاق اليهود.



# الحديث السادس

## حسدُهم المسلمين لما امتنَّ الله به عليهم

عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»(١).

### مقدمة

قوم امتلأت قلوبهم غيظًا وحسدًا بما آتى الله تعالى المسلمين، وخصَّهم بما لم يخصَّ به اليهود من أحكام، وربما تكون لهم لكن الله نسخها عنهم واستبدلهم.

أفعالهم لا تنبني على حسن طَوِيَّة، ولا اتباع مطلق لأوامر الله تعالى، قائمة على الغيض والحَنَق والتعالي على غيرهم، يبحثون عن أي شيء يُميزهم ويعلي شأنَهم حتى وإن كان ظلمًا وزورًا.

### شرح الحديث

**قوله: «قالت: مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ»**: الحَسَد: أن تتمنَّى زوال نعمة المحسود إليكَ، وعكسه الغَبْط: وهُوَ أَن تتمنى أَن يكون مثل حَال المغبوط لَك، من غير أَن تُرِيدُ زوالها عَنهُ. والحسدُ من أشدِّ الأمراض النفسية والخُلُقية التي تنهش صاحبها، وتُؤَرِّق حياتَه إن استسلم لهذا الخلق الذميم، وكما قيل: المحسدة مفسدة، وإن الحسد يأكل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨)، و إسحاق بن راهويه (١١٢٢)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٨).

الجسد، وقيل عنه داء الضرائر، وعلماء النفس يصفون الحاسد بأنه مريض نفسيًّا، وهذا المرض يؤثر على شخصيته فيبدو مضطربًا قلقًا.

والحاسد إن لم يضبط نفسه ويشغل نفسه بغير ذلك، ربما يتحول إلى منتقم مُجْحِف بحق المحسود، ينشر الشائعات حوله، وربما تصل إلى الإضرار به عمليًّا.

الحسد من أخلاق اليهود، وأكد هذا المفهوم الرسول ﷺ في أكثر من موضع، ففي رواية: «**إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَ إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَنَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى السَّلَامِ، وَ عَلَى آمِينَ**»(١).

وقد كشف الله تعالى هذه الخصلة فيهم، فقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

## الحسدُ في شريعة اليهود:

إن كثيرًا من الجماعات اليهودية تؤمن بالحسد، ولقد ذكرت العين الحسودة عدة مرات في كتاب «أخلاقيات آبائنا»، في الفصل الثاني، وأن الوقاية منه من خلال وضع بعض التمائم تسمى «تميمة الباب»، (**Mezuzah**) التي تحوي آياتٍ من التوراة أو بعضَ الطلاسم يعلقونها على أبواب بيوتهم لتردَّ عين الحاسدين.

وقد اشتد حسدهم بسبب ما أعطي أهل الإسلام من الآداب والشرائع التي ميزتهم.

**قوله: «مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ»**: من معاني (السَّلَام): اسم الله عليكم أو معكم، ويكفيه ميزة أنه اسم من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو السلام ومنه السلام، ويحيي أهل الجنة

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٥٧٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٩١).

بالسلام، وتحية الملائكة بالسلام في الجنة التي سماها الله بدار السلام، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وأن السلام من خصائص الأمة المسلمة، يمكن أن يقال قد كان تركه بنو إسرائيل، فلما جاء من طريق المسلمين حسدوهم عليه(١).

ونرى في تحية اليهود ما يعبر عنه بنفس السلام باللغة العربية والتي ينطقونها بلغتهم «شالوم» وتعنى بالعربية: سلام.

والسلام كلمة ذات معانٍ كثيرة وجليَّة، ميز الله بها هذه الأمة وخصَّها بها، كلمة كل دلالاتها ومعانيها تدعو إلى الأمن والأمان والطمأنينة، والدعوة إلى المحبة من خلال إفشاء السلام بين الناس: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

**قوله: «وَالتَّأْمِينِ»**: قول آمين في الصلاة بعد سورة الفاتحة وغيرها في عامة الدعاء، وهي بمعنى اللهم استجب، وهي دعاء كما جاء في بعض الآثار «إِنَّمَا آمِينَ دُعَاءٌ»(٢).

ذكر الباجي في المنتقى: «وَمَعْنَى آمِينَ اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِي وَهِيَ كَلِمَةٌ عِبْرَانِيَّةٌ، أتت معربة مبنية على الفتح للياء التي قبل نونها» (٣).

وجاء في بعض الآثار: «لم تكن آمين قبلنا إلا لموسى وهارون» (٤)، وذلك لعلمهم بفضلها كأنهم عرفوا ذلك من كتبهم، ومعلوم أن اليهود اليوم يعرفون آمين، ويلفظونها في دعائهم كما نلفظها بلغتنا، لذلك يبدو -والله أعلم- أنهم تمنوا أنها لم تكن لنا، وأن تكون

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٣٨٥).

(٢) أخرجه عبدالرزاق (٢٦٤٠)، ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط (١٣٧٠)، موقوفا على عطاء بن أبي رباح.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، للباجي (١/ ١٦٢).  (٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٩ / ٣٨٤).

خاصة بهم دون غيرهم؛ لِمَا عَلِمُوا مِنْ فَضْلِهِمَا وعظيم بَرَكَتِهِمَا.

عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ «النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فَقَالَ: آمِينَ. يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ» (١).

وفي رواية: «حَتَّى إِنَّ لِلْمَسْجِدِ لَلَجَّةً» (٢) أي: اختلاط الأصوات، وفي رواية «**فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ آمِينَ**» (٣)، ومن عظيم أجرها ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** -وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ- وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **آمِينَ**» (٤).

## لماذا حسد اليهود المسلمين على التأمين والسلام:

- لأنها أحكامٌ كانت تخصُّهم وحدَهم لا يشاركهم فيها أحدٌ، فلما بدَّلوا وحرَّفوا استبدل الله بهم المسلمين، واستبدل بتوراتهم القرآنَ الكريمَ، فكان الاستبدالُ عقوبةً لهم، وهذا شرف انتزعه الله منهم، قال تعالى عنهم وأمثالهم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

- لأن فيها إساءةُ وجهٍ لهم بعد أن كانوا أعزةً بين الأمم، يتفردون بكتاب سماوي وأحكام وسمات خاصة، ثم بعد أن أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ، وختم به الرسلَ والرسالاتِ،

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٤٢)، وأبو داود (٩٣٢)، والترمذيّ (٢٤٨)، والنسائي في الكبرى (٩٥٥) وحسنه الترمذي، والحافظ في نتائج الأفكار (٢/ ٣٧).

(٢) ذكره البخاري في الصحيح (١/ ١٥٦) معلقًا من قول عطاء، ووصله عبد الرزاق في المصنف (٢٦٤٠).وصححه الألباني في صفة الصلاة (١/ ٣٨١- المعارف).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٥٧) من حديث ابن عباس، وضعفه الحافظ في نتائج الأفكار (٢/ ٢٨)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٧)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٧٠): ضعيف جدًّا.

(٤) أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

شاركهم المسلمون ونافسوهم بأحكام منها: السلامُ والتأمينُ، فكان في ذلك إغاظةٌ لهم فتلاشى تفردهم وتميزهم.

- هذا وغيره كان سببًا في انتهاءِ مجد اليهود وتميِّزِهم، بل حطَّ من قدرهم ومكانتهم التي كانوا يتفاخرون بها بين القبائل.

سنة الاستبدال ليست هي فقط في اليهود، فكلُّ من قصَّر في جنب الله كان مصيرُه الاستبدالُ وانتزاعُ شرفِ الدين ونورِ الايمان منه، وهو اليوم في أحوال المسلمين كثير، فليحذر المسلم ويتنبه ولا يتبع سبيلَ المجرمين من اليهود والكافرين، الذين حذَّرنا المولى من سلوك طريقهم واقتفاء آثارهم بدعاوَى السلام، ودعاوَى توحيد الأديان في ما يسمى كفرًا «بالديانة الإبراهيمية»، والتطبيع معهم بمبررات واهية نخسر فيها الدين والدنيا.

## هل اليهود حسدونا فقط على السلام والتأمين؟

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩-١١٠] كشف لنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حجمَ ما في صدور اليهود والنصارى من حسدٍ على نعمة الإسلام بشكلٍ عامٍّ، وتمنوا لو رجع المسلمون إلى الكفر، ومن جميل ما قال الشيخ رشيد رضا: «وفائدة هذا التنبيه أن يعلم المسلمون أن ما يَبدو من أهل الكتاب أحيانا من إلقاء الشُّبَه على الإسلام وتشكيكِ المسلمين فيه، إنما هو مكرُ السُّوء، يبعث عليه الحسد لا النصح الذي يبعث عليه الاعتقاد.

وقال: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] ليبين أن حسدهم لم يكن عن شبهة

دينية أو غيرة على حق يعتقدونه، وإنما هو خَبَثُ النفوس وفساد الأخلاق والجمود على الباطل، وإن ظهر لصاحبه الحق؛ ولذلك قفاه بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩] أي بالآيات التي جاء بها النبي ﷺ وبانْطِباق ما يحفظون من بشارات كتبهم بنبي آخر الزمان عليه»[(١)].

وهذا من أعظم الحسد وأخطره، ومن غريبه أن يحسدك الناس على الإسلام والإيمان وهي الصفة التي عرف بها اليهود، ومَن اتصف بها اتصف بسلوك اليهود، وكانت هذه الصفةُ سببًا في صدِّهم عن دين الله، هذا ما سعى إليه شاس بن قيس في الوقيعة بين الأوس والخزرج لصدهم عن دين الله.

كما أن اليهود كان يغيظهم كثيرٌ من الأحكام والشرائع التي جاء بها محمدٌ ﷺ، منها ما كان في شريعتهم، ومنها ما كان خصيصةً في شريعته ﷺ، ومن ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى السَّلَامِ، وَعَلَى آمِينَ**»[(٢)].

## من فوائد الحديث

١- فيه حض من الرسول ﷺ على الإكثار من السلام والتأمين في الصلاة وعلى إثر الدعاء.

٢- إن أوجه الشبه كثيرة بين شريعتَي موسى ومحمدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وبينهما شيء من الاختصاص عن غيرهما من الأنبياء.

٣- الحسدُ كان أحدَ الأسباب الرئيسة التي صرفت اليهود عن اتباع الحق.

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٥٧٤)، وقال الألباني في الصحيحة (٦٩١): رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

٤- لا شك أن هذه العبادات بخاصَّة فيها إغاظةٌ ليهود كما دل على ذلك حديث الباب.

٥- لم يأت في تحية جميع شرائع البشرية قديمًا ولا حديثًا وبجميع لغات الأرض أعظم من كلمة «السلام عليكم»؛ لعظيم ما حملت من معاني الطمأنينة والمحبة والسلام.

٦- الحديث يدل على أن السلام والتأمين عند المسلمين، هما من أكثر الأشياء التي يحسدها اليهود وغيرها ربما يكون دونها والله أعلم.

٧- نجد أن بعض الأحكام والشرائع عند المسلمين كانت في شريعة يهود، لكن لمَّا قصروا وحرفوا وبدلوا وجادلوا وكذَّبوا استبدل الله بهم المسلمين، وانتقلت بعض الشرائع إليهم، لهذا كان حسدُ اليهود.



# الحديث السابع

## اليهودُ يكتمون الحقَّ وهم يعلمون

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ قَدْ زَنَيَا.

فَقَالَ لَهُمْ: **كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟**

قَالُوا: نُحَمِّمُهُمَا وَنَضْرِبُهُمَا.

فَقَالَ: **لَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ؟**

فَقَالُوا: لَا نَجِدُ فِيهَا شَيْئًا.

فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ. فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا -الَّذِي يُدَرِّسُهَا مِنْهُمْ- كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ!

فَطَفِقَ يَقْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ وَمَا وَرَاءَهَا وَلَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ.

فَنَزَعَ يَدَهُ عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: هِيَ آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَحْنِي عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ[1].

### مقدمة

هذا الحديث دليلٌ صارخ على تلاعب اليهود بأحكام دينهم، وتكييفها بحسب مكانة الأشخاص وقدرهم، فإن كان عزيزًا جنَّبوه العقوبةَ، وإن كان حقيرًا طبقوا عليه ما في توراتهم جملةً وتفصيلًا، ففيها من الكذب على الله تعالى والجحود لأحكامه واستبدال

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٦)، ومسلم (١٦٩٩).

أحكامٍ وضعيةٍ بها بحسب أهوائهم، فهم بهذا الحال يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

لقد تمادى اليهود في العبث في دينهم، حتى وجدوا بديلًا عن توراتهم بتلمود كتبوه بأيديهم وفسروه بأمزجتهم، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَتَبُوا كِتَابًا، فَتَبِعُوهُ، وَتَرَكُوا التَّوْرَاةَ»(١).

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال: «هؤلاء اليهود كتبوا كتابًا ضادوا به كتاب الله، يقال له المثناة، المحق فيها مبطل في التوراة، والمبطل فيها محق في التوراة»(٢).

## شرح الحديث

**قوله: «أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ»**: أنهم جاءوا النبيَّ ﷺ وذلك أولَ زمان دخوله المدينة، ولم تشرع بعد عقوبة الزنا، وكان مجيئُهم إلى النبي ﷺ على أمل أن يجدوا عقوبةً لا غلظةَ فيها؛ فرارًا من عقوبة الرجم المنصوصة في التوراة.

نلاحظ فيما مضى من أحاديث هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ ذكر كلمة يهود عن القوم الذين يعيشون بين المسلمين، ولم يذكر كلمة «بنو إسرائيل».

وهذا صحيح؛ فكلمة يهود نراها في السياق القرآني يذكرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حال الانحراف وترك منهج أنبيائهم وقتلهم وكفرهم بهم وعصيانهم، فمن كان هذا حالهم كان الوصف لهم بـ«يهود».

---

(١) أخرجه الدارمي (٤٩٧)، والخطيب في تقييد العلم (ص٥٦) موقوفًا، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٨) مرفوعًا، وقال الدارقطني في العلل (٧/ ٢١٦): والموقوف أصح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٦٠٧).

وأما كلمة «بنو إسرائيل» كانت تطلق عليهم حال دعوتهم ونصحِهم وتحبيبِهم، ولَمَّا كانوا عليه بالجملة في سير ركاب أنبيائهم، وفيهم مَن يلتزمون كتابَهم وأوامرَ أنبيائهم، ولَمَّا كانت الأوصافُ التي ذكرها النبيُّ ﷺ هي أوصافَ ذمٍّ وانحرافٍ استعمل النبي ﷺ مصطلح «يهود».

**قوله: «إِسْرَائِيل»:** قيل إن «إيل» تعني كلمة «الله» باللغات السامية ومنها العبرية، وهي التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون من الساميين القدماء، وقد ورد الاسم كثيرًا في النقوش العربية الشمالية والجنوبية، واستخدم الاسم في أسماء الملائكة جبرائيل وأسماء الأعلام مثل إسماعيل [١].

**قوله: «قال: بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ[٢] قَدْ زَنَيَا»:** ولعل ذلك كان في السنة الرابعة للهجرة[٣]وفي رواية: «فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ تخفيفًا على الزانيَين لشرفهما»[٤] قيل: إنَّ الذين جاءوه كانوا يهودَ فَدَك. وقيل: يهود خَيْبر، تشاوَرُوا فيما بينهم أَنْ يرفعوا أَمْرَه إلى النبيِّ ﷺ؛ لِما كانوا يَرَوْن أَنَّ في دِينه اليُسْر[٥].

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣].

**قوله: «قال: فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟»:** في رواية: «**إِنَّما أحكمُ**

---

(١) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد الشامي (ص ٣٩).

(٢) وَقَالَ السُّهَيْلي: اسم الْمَرْأَة المرجومة: بسرة، انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٨/ ١٤٧، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٧/ ٦٠).

(٣) فيض الباري على صسحيح البخاري (٥/ ٢٢٦).

(٤) تفسير الثعلبي (٤/ ٦٣)، تفسير البغوي (١/ ٤٢٤)، زاد المسير (١/ ٢٦٩)،البحر المحيط (٣/ ٨١).

(٥) فيض الباري على صحيح البخاري(٥/ ٢٢٧).

**بكتابكم»**[١]، وفي روايةٍ: «**ولم يكن بعد في ديننا الرجم**»[٢]، ولم يرد بذلك نبينا ﷺ تقليدهم وَلَا معرفَة الحكم مِنْهُم، وَإِنَّمَا أَرَادَ إلزامهم بِمَا يعتقدونه فِي كِتَابهمْ، وَلَعَلَّه ﷺ قد أُوحي إِلَيْهِ أَن الرَّجْم فِي التَّوْرَاة الْمَوْجُودَة فِي أَيْديهم لم يغيروه كَمَا غيروا غَيره، أَو أَنه أخبرهُ من أسلم مِنْهُم[٣]، وهي من بقايا ما لم يزوره اليهود مبنًى.

**قوله: «قال: قَالُوا: نُحَمِّمُهُمَا وَنَضْرِبُهُمَا»**: نُحَمِّمُهُمَا: نسود وُجُوههمَا بالحمم أي الفحم، وفي روايةٍ: «نُسَخِّمُ وجوهَهُما، ونُخْزِيهما»[٤].

**قوله: «فَقَالَ: لَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ؟ فَقَالُوا: لَا نَجِدُ فِيهَا شَيْئًا»**: وفي رواية: «فأنكروا الرجم»[٥]، وسؤال النبي ﷺ يفهم منه أنه يعلم أن عقوبة الرجم هي عقوبة الزناة، لعلمه المسبق بشريعة من سبقه من إخوانه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

كذبٌ صُراحٌ على الله تعالى الذي عرف كذبهم وحذر منه في مواضع عدة، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥] قال مجاهد: «فالذين يحرفونه والذين يكتمونه: هم العلماء منهم»[٦].

**قوله: «فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ. فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»**: ناداهم عبد الله بما نادى الله به يهود في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٨١).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٨١).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١٨/ ١٤٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧٥٤٣).
(٥) البحر المحيط (٣/ ٨١).
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٤٠).

﴿صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] أَي: قل يَا مُحَمَّد للْيَهُود أن يحضروا التوراة؛ لنرى صدق كلامهم إن كانوا صادقين.

وَسبب نُزُولهَا مَا رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنه قَالَ: كَانَ إِسْرَائِيلُ اشْتَكَى عرقَ النَّسَاء، فَكَانَ لَهُ صياحٌ فَقَالَ: إِن أبرأني الله من ذَلِك لَا آكل عرقًا[١]. وَقَالَ عَطاء: لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا[٢]. قَالَ الضَّحَّاك: قال اليهود للنبي ﷺ، حُرِّمَ علينا هذا في التوراة، فأكذبهم الله وأخبر أن إسرائيل حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، ودعاهم إلى إحضارها فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[٣]، طلب إحضارَ التوراة واستبانةَ ما فيها؛ إظهارًا للحكم الذي كانوا يَكتُمونه؛ احتجاجًا عليهم وإساءة لوجوههم، وأن رسول الله ﷺ حكم فيهم بوحي من الله. وهذا دليل على علم ابن سلام بالتوراة وما فيها، ومع معرفتهم بعلم ابن سلام بأحكام التوراة، وأنه كان من أحبارهم فإنهم حاولوا –خاسئين– تضليله وخداعه.

يقول الحاخام اليهودي التائب السموأل المغربي: «إن شريعة ذلك الزمان –ويقصد زمان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبنائه– كانت مقتضيةً إحراق الزواني، وإن التوراة أتت بنسخ ذلك، وأوجبت الرجم عليهن»[٤]. وهو من أعظم أحبار اليهود في زمانه، وقبل إسلامه وبسبب سعة علمه بكتب اليهود متونًا وشروحًا وإتقان ذلك كله وهو لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، استطاع أن يرد على دعاوى اليهود من توراتهم، وعظيم تناقضاتهم حتى أصبح كتابه عمدة في هذا الباب إلى يومنا هذا.

وجاء في المادة الرابعة عشر بعد السبعمائة في كتاب المقارنات: «يجلد الزاني بيهودية غير متزوجة، أما من زنى بيهودية متزوجة أو بوثنية فجزاؤه القتل، ومن يحكم عليه بالقتل

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٥٨٤).
(٢) نفس المصدر (٥/ ٥٨٤).
(٣) معاني القرآن، للنحاس (ص٤٤١).
(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ص ١٥٤ – ١٥٥).

ولا يحكم بعقاب أحق منه»[١].

جاء في التوراة: «وإذا زنى رجلٌ مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية، أي: إذا كانت امرأةً متزوجةً، وكان العقابُ على كل من الرجل والمرأة الخائنَين القتلَ رجمًا بالحجارة»[٢]، ويرى مفسرو اليهود: أن العقاب كان الخنق، ولذلك فيرجح أنهم كانوا يقتلونها خنقًا ثم يرجمونها، وكانوا يعاقبون بالخنق ثم الرجم أيضًا[٣]، وأما ابنة الكاهن ولمكانة أبيها الدينية إذا زنت تحرق بالنار[٤].

أما حكم الجلد فجاء حكمه فيمن تعدى أحكامَ الشريعة عمدًا، وهي عدة جلدات قدرُها أربعون جلدة لا زيادة فيها: «فإن كان المذنب يستوجب الضرب، يطرحه القاضي ويجلدونه أمامه على قدر ذنبه بالعدد أربعين يجلده لا يزد...»[٥].

**قوله: «قال: فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا -الَّذِي يُدَرِّسُهَا مِنْهُمْ- كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ»:**

وفي روايةٍ: «فوضع حَبْرهم ابن صُورْيا يده على آية الرجم»، وفي روايةٍ: «فَجَاءُوا بِالتَّوْرَاةِ، وَجَاءُوا بِقَارِئٍ لَهُمْ أَعْوَرَ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ صُورِيَا»[٦] أو عبد الله بن صوريا؛ كما عند الطبري[٧]، وفي روايةٍ: «فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ: يَا أَعْوَرُ»[٨]، وفي روايةٍ: «فَأَتَوْهُ بِرَجُلٍ شَابٍّ أَعْوَرَ يُقَالُ

---

(١) انظر: المقارنات والمقابلات. وانظر: جرائم البغاء، الدكتور محمد ازي، القاهرة ١٩٦١م.
(٢) تث (٢٢: ٢٢)، ويو (٨: ٥).
(٣) القضاة (١٧: ١٢).
(٤) انظر: شرح الأحكام الشرعية في التوراة، نادي العطار (ص ١٩٣).
(٥) تثنية: (٢٥: ٢).
(٦) أخرجه أحمد (٤٤٩٨)، والنسائي في الكبرى (٧١٧٥).، وصححه ابن حبان (٧٢٠٤)، وصححه أيضا أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٢٨٤) وقال: ورواه الشيخان، ولكن قوله «بقارئ لهم أعور، يقال له ابن صوريا» زيادة عند أحمد فقط.
(٧) تفسير الطبري (٨/ ٤١٤).
(٨) أخرجه البخاري (٧٥٤٣).

لَهُ: ابْنُ صُورِيَا» [١]، وفي روايةٍ: «فَجَاءَ شَابٌّ حَدَثٌ يَدْرُسُهَا» [٢]، وَكَانَ عبدُ الله أعلمَ من بَقِي من الْأَحْبَار بِالتَّوْرَاةِ ثمَّ كفر بعد ذَلِك، وَزعم السُّهيْلي أَنه أسلم[٣]، قَالَ ابن حجر معلقًا على هذا الأثر: «وَلَمْ أَرَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ صُورِيَّا إِسْلَامًا مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ»[٤].

**وقوله: «مِدْرَاسُهَا الَّذِي يُدَرِّسُهَا»:** ويسمى بلغة يهود: «بيت همدراش»، وفي فترات سابقة كان يسمى «اليشيفا» وهو المكانُ الذي يدرِّس فيه اليهودُ التوراةَ، وأيضًا أصبح يدرس فيه التلمودَ لاحقًا، كما أنه المكان الذي يخرِّج الحاخامات الذين يحصلون على شهادات معتمدة تؤهلهم للحاخامية، ولا يمنح هذا الترخيص إلا لمن أُعتمد من حاخام خبير، على ألا يقل عمر الطالب عن ١٨ سنة، كما أنه أصبح مكانًا يعظون فيه اليهود وملتقى يجتمعون فيه.

وتلميذ الحاخام يطلق عليه «لمدان» الذي لا يرتزق من دراسة التلمود ثم يكمل تعليمه في المدراس، ويكون تعليمه على حساب صهره يقوم على كفالته؛ ليكون متفرغًا لتعلم أحكام الدين، حتى يتمكن فيما بعد من الكفاية عن الاعتماد على صهره[٥].

وهذا من مكر اليهود أن جاءوا بأعور حتى يتهموه، ويلقوا باللائمة على عوره أو صغر سنه، أو أنهم أتوا بأعلمهم حتى لا يظن به الكذب أو منه الحيلة والخديعة.

**وعبدالله بن سلَام:** بالتخفيف، وهو من يهود بني قينقاع في المدينة، وأشهر من أسلم

---

(١) أخرجه البزار (٥٧٩٩-البحر الزخار)، وسنده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (٦٥٧١).

(٣) الروض الأنف (٤/ ١٩٩)، وحكاه السهيلي عن تفسير النقاش، وقال: وليس في سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه.

(٤) فتح الباري (٧/ ٢٥٧).

(٥) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد الشامي (ص ١٧٧).

من اليهود زمن النبي ﷺ في المدينة المنورة، ويعد من خيرة صحابة النبي ﷺ، قال عن نفسه: كان اسمي في الجاهليةِ «فلانٌ»، فسماني رسولُ الله ﷺ: «عبدَ الله»[١]، ويقول عن ردة فعله والناس زمن قدوم النبي ﷺ المدينة: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[٢] الناس، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[٣].

ويروي عبد الله بن سلَامٍ قصته مع الإسلام قائلًا: قلت لأحبارِ اليهودِ: إني أُحْدِثُ بمسجدِ أبينا إبراهيمَ واسماعيلَ عهدًا، فانْطَلَقَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو بمكةَ، فوافاهم وقد انصرفوا من الحجِّ، فوجد رسولَ الله ﷺ بمنى، والناسُ حولَه، فقام مع الناسِ، فلما نظر إليه رسولُ الله ﷺ قال: «**أَنْتَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ؟**» قال: قلتُ: نعم، قال: «**ادْنُ**»، فدنوتُ منه، قال: «**أَنْشُدُكَ بِاللهِ يَا عَبْدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ، أَمَا تَجِدُنِي فِي التَّوْرَاةِ رَسُولَ اللهِ؟**» فقلتُ له: انعتْ ربَّنا، قال: فجاء جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى وقف بين يدي رسولِ الله ﷺ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]، فقرأها علينا رسولُ الله ﷺ. قال ابنُ سلامٍ: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله. ثم انصرف ابنُ سلامٍ إلى المدينةِ، فكتم إسلامَهُ.

فلما هاجر رسولُ الله ﷺ؛ قَدِم المدينةَ وأنا فوقَ في نخلةٍ لي أَجُدُّها[٤]، فسمعتُ رَجّةً

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٦)، وقال: غريب. وأورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص٤١٤).

(٢) أي ذهبوا مسرعين نحوه. (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤) وقال الترمذي: حديث صحيح.

(٤) أي: أقطعها وأصرمها، وهو من الجِداد والجَداد. انظر: غريب الحديث، للخطابي (٢/ ٤٣).

في المدينةِ، فقلتُ: ما هذا؟ قالوا: هذا رسولُ الله قد قدم. فألقيتُ نفسي من أعلى النخلةِ، ثم جِئتُ أَحفِزُ حتى أتيتُهُ، فسلمتُ عليه، ثم رجعتُ، فقالت أمي: للهِ أنتَ! والله لو كان موسى بن عمرانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كان نَوْلُكَ تُلقي نفسَكَ من أعلى النخلةِ! (١) فقلتُ: واللهِ، لَأَنا أَسَرُّ بقدومِ رسولِ الله ﷺ من موسى بن عمرانَ إذ بُعِثَ (٢).

وامتدحه رسولُ الله ﷺ بقوله: «**يَمُوتُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى**»(٣).

**قوله: «قال: فَطَفِقَ يَقْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ وَمَا وَرَاءَهَا، وَلَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ»**: أي: قام يقرأ هذا الفتى، لكنه باتفاق معهم وضع يده على الجزء الذي يدل على حكم الرجم، فقرأ ما قبله وما بعده.

هذا التحريف وهذه الخدعة التي قام بها الغلام وتربى عليها في مدراسهم لهو أمر طبيعي؛ لأنه تربى واعتقد أن الربَّ ذاته مخادعٌ؛ فكيف لا يكون هو مخادعًا مثله كما في توراتهم: «فقلت آه يا سيدي الرب! حقًّا إنك خداع خدعت هذا الشعب»(٤).

**قوله: «قال: فَنَزَعَ يَدَهُ عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: هِيَ آيَةُ الرَّجْمِ»**:

وفي روايةٍ: «فقال: يا محمد، إن عليهما الرجم، ولكنا نكاتمه بيننا»(٥). وهذا من غريب خصالهم وشدة وقاحتهم أنهم يتعاهدون فيما بينهم مع سبق الاصرار على كتم شرع الله وإخفائه عن غيرهم وعامتهم.

---

(١) أي: ما كان ينبغي لك، وما كان يَحْسُنُ بك.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢٤٦)، و ابن أبي عاصم في السنة (٦٦٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٦): رواه الطبراني، وإسناده منقطع، ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠١٠)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٤) إرميا (٤: ١٠).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٤٣).

مع أن توراتَهم جاء فيها ما يحرم كتم الشهادة: «وإذا أخطأ أحدٌ وسُمع صوتُ حلفٍ، وهو شاهد يبصر أو يعرف، فإن لم يخبر به، حمل ذنبه»(١).

وهذا ما نهى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ولقد جاءت توراتهم بإقرار جريمة الكذب والتحريف، مستنكرة عليهم هذه الخطيئة في التعرض للثوابت: «كيف تقولون نحن حكماء، وشريعة الرب معنا، حقًّا إنه الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب»(٢).

وجاء: «لأنَّ كلمةَ كلِّ إنسان تكون وحيَه، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي»(٣). نصوص توراتهم تتعجب وتهزأ من ادعائهم الحكمة، وزعمهم نزول الوحي عليهم، وهم يتطاولون على نصوص التوراة بالتحريف.

وباختصار تصفهم التوراة: «لأنه شعب متمرد أولاد كذبة»(٤).

سلوك هؤلاء القوم مع النبي ينم عن قضيتين:

الأولى: هي امتهانهم نوعًا من أنواع تحريف التوراة، وهو عدم تبيان بعضها.

والثانية: استهانتهم بفاحشة الزنا، والتهرب من تطبيق عقوبة الزاني، فلو كانوا صادقين وحريصين وشرفاءَ لما تهربوا من تطبيق شرع الله في الزاني، وتوراتهم فضحت فُشُوَّ الزنا فيهم لما غيبوا عقوبة الزنا من بينهم: «لما أشبعتهم زنوا وفي بيت زانية تزاحموا... صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه»(٥).

---

(١) سفر اللاويِّين (٥: ١).
(٢) إرميا (٨: ٨-١٢).
(٣) إرميا (٢٣-٣٦).
(٤) إشعياء (٣٠: ٩).
(٥) إرميا: (٥: ٧-٩).

أما تحريفُ التوراة فلا تخفى على أدنى عارفٍ وأن ما فيها كلامُ البشر، ويتضح ذلك من خلال التالي:

١- الأسلوب والصياغة الركيكة، والمفردات والألفاظ الهزيلة.

٢- العبارات والقصص الفاحشة التي لا تليق بعامة الناس فضلًا عن فضلائهم.

٣- التناقضات الواضحة غير المبررة.

٤- الإحالاتُ الغبيةُ إلى أمور لم تقع بعد بحسب تسلسل الأحداث التوراتية.

٥- تفاصيل مملة وغير مهمة، تتجاوز صفحاتٍ كثيرةً من غير أدنى فائدة.

٦- في توراتهم أسفار كاملة نزلت بعد وفاة موسى فكيف توصف بأنها كلام الله تعالى.

٧- يعترفون على أنفسهم أن بعض الأسفار مؤلفوها مجهولون مثل سفر صموئيل الأول والثاني.

٨- يصفون عزرا بالكاتب، ويقرون على ذلك أنه من كتبة التوراة: «كاتب ماهر في شريعة موسى»[(١)].

٩- وكما في كثير من النصوص: «فقال الرب لموسى»[(٢)]. والمفترض طالما أن الموحى إليه موسى أن يقول: «قال الرب لي». والكثير من التناقضات التي لا يتسع لها صفحات قليلة، وتحتاج إلى كثير من البسط، والله المستعان.

**قال: «فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا»:** حكم فيهما رسول الله ﷺ بِحُكْمِ التَّوْرَاةِ؛ لأن حُكْمُ الْقُرْآنِ لم ينزل بعد، لأن على كل نبي اتباع شريعة النبي الذي قبله حتى يحدث الله له شريعة تنسخها[(٣)]، لكن اليهود غضبوا أن افتضح أمرهم، وأن طبق رسول الله ﷺ حكمَ الله الذي

---

(١) عزرا (٧-٦).

(٢) خروج (١٩: ٩ - ١٠).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٨/ ٤٧٥).

أخفَوه عن غيرهم وعامتهم في زناتهم، ويبدو أن هؤلاء الزناةَ من المحصنين أي من المتزوجين، وهو ما احتج به الشافعي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنما رجمتهما لأنهما كانا محصنين»(١)، ويرى بعضهم أن حكمَ التوراة بالرجم على المحصن وغير المحصن(٢).

ثم نزل عليه ﷺ القرآنُ بعد ذلك الذي نُسِخ خطُّه وبقي حكمُه، وجاء في السنة النبوية الصحيحة القولية، والفعلية، وبإجماع أهل العلم، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف»(٣).

وعن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة، فكان فيها:(الشيخ والشيخة إذا زنيا، فارجموهما البتة)»(٤).

ثم بين النبيُّ ﷺ بعد ذلك حكمَ الرجم والتفريق الواضح بين المُحْصِنِ وغيره، فقال ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ**»(٥).

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣١/ ٢٥٦).
(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٨/ ٤٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١).
(٤) أخرجه أحمد (٢١٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (٧١١٢)، وصححه ابن حبان (٤٤٢٨)، والحاكم (٣٥٥٤)، ووافقه الذهبي.
(٥) أخرجه مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قوله: «قال: قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَحْنِي عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ»:**

وموضع الجنائز، هو مُصلَّى يقع في الجانب الشرقي من الحجرة النبوية في المسجد النبوي، والذي كان النبي محمد ﷺ يصلي على الجنائز فيه، ويقع حاليًا داخل النافذة الشرقية بالنسبة للحجرة النبوية. وقوله: «يحني»؛ أي: يعطف، وفي روايةٍ عنه: فرأيتُ الرجلَ يجْنَأُ على المرأة؛ يَقِيها الحجارةَ[١].

**حكم الزنا في التوراة:**

الرجم هو عقوبة الزناة من الرجال أو النساء كما ثبت في سفر التثنية: «إذا وجد رجل مضطجعًا مع امرأةٍ زوجةِ بعلٍ يقتل الاثنان، الرجلُ المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل، وإذا كانت فتاةً عذراءَ مخطوبةً لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا»[٢].

ومن غريب الأحكام التعسفية لبعض الزناة أن العقوبة تجري على الأبناء وأبناء الأبناء والأحفاد إلى الجيل العاشر بشكل جماعي، لا رحمة فيه، ولا شرع ولا عقل، كما جاء في سفر التثنية: «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر»[٣].

**جرأة اليهود على الفاحشة:**

قد يَستغرب المرءُ من الجرأة التي اكتسبها اليهودُ على ارتكاب فاحشة الزنا، ليكتشف وبشكل صادم أن مصدرَها التوراة والتلمود، أي أهم مصدرين من مصادر التلقي عند اليهود، والتي هي كما في زعمهم أنهما من عند الله تعالى، بل ذهبوا أبعد من ذلك ليجدوا لأنفسهم المبررات التي تجيز وتشجع على الزنا هي الكَيْنُونَةُ الربانية – تعالى الله عما يصفون– هي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) التثنية (٢٢: ٢٤).

(٣) (٢٣: ٢-٥).

مصدرُ الشذوذ والانحراف الجنسي الذي لا حدودَ له، والذي تطور جيلًا بعد جيلٍ، وتطورت مفاهيمُه وتجلت بشكل صريح وفاضح، خاصة عند أصحاب العقيدة الكبَّالية ومن شابههم من أصحاب المذاهب الإباحية والأطروحات العلمانية، ومن باب الإنصاف ربما لم تكن هذه الأمور بهذا الشكل في أسلافهم أو في جميع طوائفهم، لكنه اليوم أصبح هو المشهدَ الذي يتصفون به ويديرونه علنًا أو في الغرف المظلمة أو في البستان البُوهِيمي.

## التوراة وحرمة الزنا بين اليهود:

وأما قول التوراة: (لاتَزْنِ) فهي من الوصايا العشرِ[١]، وكذلك قول: «لا تَشْتَهِ امرأة قريبك؛ فمن يزني بامرأةِ قريبهِ يستحق الموت»[٢].

شريعة التوراة تحرِّم الزنا بنصوصٍ واضحةٍ، غيرَ أنَّ التلمود ومباحثه التفصيلية لا تجد غضاضة في استغلال الأعراضِ -وبشكل مُبْتَذَل رخيص- لِغَوَاية غير اليهود حتى لو تطلب الأمر الزنا منهن، وكذا يجيز التلمود لليهودي أن يزني بغير اليهودية، لأنهم في نظرهم زناةٌ!

لذا تحرِّم الشريعة الزنا بين اليهود، لكنها لا تحرِّمه بين الأغيار أو (الجويم) كما يعبِّرون، ويقصدون بهم المسلمين والنصارى.

اليهود يعتقدون أن مفهوم الزواجَ لا ينطبق على الأغيار؛ لذلك لا ينطبق مفهوم الزنا على ممارسةِ اليهوديِّ الجنسَ مع غير اليهودية[٣].

---

(١) سفر العدد (٢٠: ١٣، ١٥).
(٢) سفر الخروج (٢ : ٧١).
(٣) انظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك (١٤٥ - ١٤٦).
إسرائيل شاحاك: يهودي بولندي ولد عام ١٩٣٣، عمل محاضرا في مجال الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس، له نشاطات حقوقية كرئيس سابق في جمعية لحقوق الإنسان في الكيان الصهيوني، له عدة كتب مترجمة إلى العبرية تنتقد السياسة والدولة اليهودية، وهو ضمن ما يُعرف بالمؤرِّخين الجدد الذين كانت كتاباتهم محل إثارة وجدل في المجتمع الصهيوني.

## التلمود وإباحة زنا اليهود بغير اليهوديات:

نصوص التوراة واضحة في حرمة زنا اليهود فيما بينهم، لكنه ليس محرَّما مع غيرهم كما في تلمودهم الخبيث، فقد جاءت تعاليم التلمود تؤكِّد أن الزنا بغير اليهوديات لا إشكالَ فيه، ومن ذلك ما جاء فيه من فتاوى حاخاماتهم: إنه لا يُخْطِئُ اليهودي إذا اغتصب امرأةً مسيحية.

وبه قال في التلمود الحاخام (راشي): اليهودي لا يخطئ إذا تعدَّى على عِرْضِ أجنبية؛ لأنَّ كلَّ عقد نكاح عند الأجانب فاسدٌ؛ لأن المرأةَ من غير اليهود كالبهيمة، والعقدُ لا يوجد بين البهائم وما شاكلها!

ومثله قال الحاخام (تام): الزنا بغير اليهود ذكورًا أو إناثًا لا عقابَ عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات.

ولا زالت آراءُ هؤلاء السِّفْلَةِ الصادمة تترى في هذا الكتاب اللعين، التي تُجيز بل تَحُضُّ على اغتصاب غير اليهوديات، كما جاءت فتوى ميما نود «إن لليهودي الحقَّ في اغتصاب النساء غير المؤمنات»[١].

فقد جاء نص التلمود: «إنه إذا اتَّصل غيرُ يهودي ببنت يهودية اتصالًا جنسيًّا، أو أفسد أخلاقَ امرأة يهودية، أو أفسد سمعةَ غلام يهودي، أو قابل مُومِسَة يهودية ولم يَدفع لها حَقَّ مقابلتِها، وقع تحت طائلة العقاب»[٢].

## بداية الانحراف اليهودي باتجاه الشذوذ:

يقول المسيري عن بدء الانحراف اليهودي والاتجاه نحو الشذوذ ونشره: «يبدو أنَّ الممارساتِ الجنسيةَ الشاذةَ كانت منتشرة بين السفارديم، قبل وبعد الطرد من إسبانيا حتى

---

(١) انظر كتاب: الكنز المرصود (٩٢) وهمجية التعاليم (١٧٤).

(٢) التلمود وأثره في تدمير البشرية (٥٠).

إن كلمتَي «يهودي» و«شاذ جنسيًا» كانتا مترادفتين في شبه جزيرة أيبريا. كما أن التراث القبَّالي يرى أن كلًّا من الإله والإنسان (قبل تَبعثُر الشرارات) مُكوَّنان من عناصر ذكورة وأنوثة مختلطة، وفي هذا تعبير عن الواحدية الكونية الحلولية ورفض للثنائيات.

## الشذوذ الجنسي عند اليهود المعاصرين:

وقد تغيَّر الوضع تمامًا في العصر الحديث مع تصاعد معدلات العلمنة بين أعضاء الجماعات اليهودية، فرئيسُ أول جماعة عالمية للشواذ جنسيًا من الذكور هو ماجنوس هيرشفيلد (١٨٦٨ ١٩٣٥)، ومساعده كورت هيلر (١٨٨٥ ١٩٧٢)، وكلاهما كان ألمانيًّا يهوديًّا (بل كان هيلر يزعم أنه من نسل الحاخام هليل). وكان هيلر هو أولَ من طالب باعتبار الشواذِّ جنسيًّا أقلية لا بد من حماية حقوقها. ويُلاحَظ اهتمامُ علماء النفس اليهود بموضوع الشذوذ الجنسي. ومن المعروف أن فرويد ينسب لكل البشر ازدواجية جنسية أو جنسمثلية كامنة» انتهى.

وعن حالة تردي الشذوذ الجنسي بين اليهود وطوائفهم، يستطرد المسيري قائلًا: «وقد بدأت المؤسسات الدينية اليهودية تلحق بالركب، فاليهودية الإصلاحية والمحافظة لا تُحرِّمان الآن الشذوذ الجنسي. وقد أُسِّست أيضًا معابد يهودية للشواذ جنسيًّا، ورُسِّم حاخامات شواذ جنسيًا من الجنسين. وهذا دليلٌ آخرُ على أن الجماعاتِ اليهوديةَ هي -في نهاية الأمر- ثمرةُ التغيرات الحضارية والاجتماعية التي تقع للمجتمعات التي يعيشون في كنفها، ومن السُّخْف بمكانٍ التحدث هنا عن (تاريخ يهودي مستقل) أو عن مسئولية اليهود عن الشر».

## مسؤولية اليهود في انتشار الشذوذ الجنسي:

لا أرى أن من الحق تسخيف مَن اعتبر مسؤولية اليهود عن نشر هذا الشر، مع أنه أثبت في مواضع أن الشذوذ الجنسي هي عقيدة متعلقة في ذات رب اليهود، وأنها جزء من سلوك

العديد من الأنبياء، الذين ذكرنا في أحاديث أخرى من هذا الكتاب جانبًا من هَيَمانِهم في الحياة الجنسية مع محارمهم أو نساء مجتمعاتهم.

ويستطرد المسيري قائلًا: «ونحن نتوقع أن تتطورَ الأمورُ بين الجماعات اليهودية بشكل أسرعَ منها بين المسيحيين، وهذا يعود إلى تركيب اليهودية الجيولوجي التراكمي التي تحوي داخلها أشياء عديدة متناقضة. كما أن تطوُّر اليهودية وقبولها الهوية الإثنية كأساس للانتماء، بدلًا من العقيدة الدينية، يفتح الباب على مصراعيه لأي سلوك مهما تنافى مع القيم الأخلاقية أو الدينية، فالهوية الإثنية لا تفرض على صاحبها أيَّ أعباءٍ أخلاقيةٍ. وكما جاء في إحدى الدراسات، فإن المعابد اليهودية الخاصة بالشواذ جنسيًّا تكافح من أجل الحصول على الفهم والقبول من بيت إسرائيل (الشعب اليهودي)، على الرغم من أنف التحريمات الواردة في التوراة وتقاليد اليهودية الحاخامية، التي استبعدتهم من الحياة الدينية للجماعة.

والقانون العثماني الذي طبقته حكومة الانتداب -يقصد الاحتلال البريطاني- ومِن بعدها الدولةُ الصهيونيةُ، يُحرِّم العلاقات الجنسية الشاذة. ومع هذا، كانت السلطات التنفيذية الصهيونية تنظر للممارسات الشاذة بكثير من التسامح، ولذا لم يُقدَّم أحد قط للمحاكمة بتهمة الممارسة الجنسية الشاذة. وفي عام ١٩٨٨، أصدر الكنيست قانونًا بإلغاء القانون الذي يُجرِّم العلاقات الجنسية الشاذة (رغم معارضة اليهود الأرثوذكس).

ولا يُعفَى الشواذ جنسيًّا من الخدمة العسكرية، ويُكتفَى بنقلهم إلى مواقع غير مهمة من الناحية الأمنية. وتوجد في إسرائيل جماعة تُسمَّى جماعة الدفاع عن الحقوق الشخصية أُسِّست عام ١٩٧٥م. وبعد عام ١٩٨٨، ظهرت مجلات للشواذ جنسيًّا في إسرائيل باللغتين العبرية والإنجليزية. وفي يونيه ١٩٩١، عُقد في تل أبيب المؤتمر الدولي الثالث للشواذ جنسيًّا من الذكور والإناث والمخنثين (أي الذين يحوون عناصر ذكورة

وأنوثة). وهناك اتجاه الآن في إسرائيل نحو منح المزيد من الحريات للشواذ جنسيًا. وقد صرحت يائيل ديان، ابنة موشيه ديان، بأن العلاقة بين الملك داود ويوناثان هي علاقة شاذة جنسيًا»[1]. انتهى كلام المسيري.

طالما أن مصدر إباحة الشذوذ الجنسي عند اليهود هو كتبُهم المقدسةُ، التي تروي حالاتِ الانحراف الجنسي والأخلاقي بين أنبيائهم؛ لذلك من الطبيعي جدًّا أن تكون أخلاقهم بهذا الانحطاط والتدهور في الأخلاق، التي أشارت المعطيات إلى نسب مخيفة ومنها على سبيل المثال:

١- ما نسبته ١١٪ من الفتيات اللائي يتزوجن في إسرائيل (بغض النظر عن أعمارهن) يتزوجن وهن حوامل.

٢- إن نسبة الإجهاض المباح قانونيًّا في الكيان اليهودي من أعلى النِسَب في العالم، فقد سجَّلت المستشفياتُ الحكوميةُ نحو سبعين ألف حالة إجهاض سنويًا.

٣- وينتشر الشذوذُ الجنسيُّ بين الرجال بنسبة تصل إلى ١٠٪ تقريبًا.

٤- وقد وصف وزير السياحة السابق (أمنون روبنشتاين) المجتمع الإسرائيلي بأنه من أكثر المجتمعات إباحيةً.

## الاغتصاب الجنسي في سجون الاحتلال اليهودي:

أعراض غير اليهود مستباحة في أحكام التلمود، كما في الكثير من النصوص الواضحة والصريحة، وقد كشفت الباحثة الفلسطينية إيمان أحمد أبو الخير، في دراستها المعنونة: الاعتداءات الإسرائيلية على المرأة الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م، ما بين عامي (١٩٦٧- ٢٠١٤).

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية، للمسيري (١٥/ ٣٥٥).

تعد نعمة الحلو إحدى الأسيرات اللواتي تعرضن لتلك الجريمة، فقد كانت تُهدد بممارسة الجنس معها بواسطة أحد الجنود، أما رحاب العيساوي، من القدس، فقد اعتقلت عام ١٩٧٧، بعد عودتها من زيارة أخيها الذي كان يدرس الحقوق في بغداد، وهددها المحققون بإحضار رجل درزي؛ ليمارس الجنس معها، إن لم تعطهم اعترافًا كاملًا بما يريدون، أما الأسيرة قاهرة السعدي، فقد هددتها المخابرات (الإسرائيلية) أثناء التحقيق، بالاغتصاب إذا لم تستجب لمطالبهم، وتعترف. وتكرر الأمر ذاته مع الأسيرة وفاء البس، والأكثر من ذلك أنهم أدخلوا عليها سجانًا ليلًا، وأغلق الغرفة، وهددها بالاغتصاب إذا لم تعترف.

وبلغت القذارة بالمحققين الصهاينة أن أجبروا أسيرة ووالدها على التعري أمام بعضهما البعض، ثم أمروا والدها اغتصابها، وعندما رفضا، تم تعذيبهما بشدة.

وقد أكد عبد الناصر فروانة، مدير دائرة الإحصاء بهيئة شؤون الأسرى والمحررين، أن بعض الأسيرات قد تعرضن للاغتصاب الفعلي، ولكنهن يخشين البوح بذلك؛ خوفًا من ردة فعل المجتمع الفلسطيني المحافظ، وقد قال في ذلك: «وخلال عملنا ولقاءاتنا بالأسيرات، نجد وللحقيقة أن ليس كل من تعرضت للتعذيب والإهانة والتحرش، وحتى الاغتصاب، تملك الشجاعة لتحدثنا عما تعرضت له».

يُعد تهديدُ المحققين الصهاينة للأسيرات الفلسطينياتِ بالاعتداء على شرفهن، مخالفةً واضحةً لاتفاقية جنيف الرابعة التي تضمنت بنودًا خاصَّةً لحماية النساء، من انتهاكات معينة كالاغتصاب والتعديات الجنسية، فقد نصت المادة (٢٧) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩، على أنه: «يجب حماية النساء بصفة خاصة ضد أي اعتداء على شرفهن، لاسيما ضد الاغتصاب، والإكراه على الدعارة، وأيِّ هتكٍ لحرمتهن».

## من فوائد الحديث

١- مَن شرعوا أحكامًا تخالف ما شرعه اللهُ تعالى فهو مِن جنس فِعل اليهود، استبدلوا ما أَمر به الله ونَهى بقوانينَ ودساتيرَ أَلَّفَتْها وأَلِفَتْها أهواءهم.

٢- هذا الحديث يؤكد ومن غير شكٍّ أن اليهودَ تلاعبوا بتوراتهم حتى أصبحت توراةُ يهود اليوم ليست هي التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليست هي التوراة التي كانت بيد يهود زمن النبي ﷺ.

٣- لو كانت توراةُ موسى غيرَ المحرفة موجودةً بيننا لما وجدنا فيها اختلافًا كبيرًا بينها وبين القرآن الكريم، خاصة في العقائد وكثير من الشرائع، وحكمِ الرجم ومشابهته لما في القرآن هو دليل كبير على ذلك.

٤- هذا الحديث تأكيد على أن اليهود أضلَّهم الله على عِلم، فهم يعلمون سلفًا حكم الله في الزناة، وقد قال السلف: «من فسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبهٌ من النصارى»[(١)].

٥- فعل اليهود في إخفاءِ حكم الرجم في التوراة على الزناة هو ضربٌ من ضروب استبدال حكم الله، والتسترِ على الفاسدين، وحمايتِهم باسم الدين، وهو من إشاعة الفاحشة.

٦- تستر يهود على الشريف من زناتهم، هو مدعاة للطعن في أنسابهم التي يختلط بعضها ببعض بسبب الحرام.

٧- الحديث دليل على أن النبي محمدًا ﷺ كان يأخذ بشريعةِ مَن كان قَبْله من أنبياء الله تعالى فيما لم ينزل فيه تشريع.

---

(١) نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (١٤/ ٨٢٠) إلى سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ.

# الحديث الثامن

## اليهودُ وتقليدُهم الأعمى لأحبارهم

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ، لآمَنَ بِي اليَهُودُ**»(١).

### مقدمة

يشير الحديثُ إلى تعنُّت اليهود وعنادهم وقلة مَن أسلم منهم، والحديث فيه إشارة جلية إلى قلة إسلام الرؤساء الْكِبَار، أو ربما إلى صعوبة اجْتِمَاع عشرَة منهم زمن النبي ﷺ.

ولا يعني ذلك أن لا أحد من اليهود أسلم، بل هم كثير وفي أزمنة متعددة، بل هو ربما أحدُ الأسباب الكثيرة لتناقص عددِ اليهودِ في العالم، بحسب المصطلح الذي أطلقته مؤسسات ومراكز الدراسات الصهيونية بعبارة: «موت الشعب اليهودي».

### شرح الحديث

**قوله: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ»**: وفي روايةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلاَّ أَسْلَمَ**»(٢)، وفي روايةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، لَآمَنَ بِي كُلُّ يَهُودِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ**»(٣)، وفي رواية: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤١)، ومسلم (٢٧٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٣).

(٣) أخرجه أحمد (٨٥٥٥)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٤٤٤)، وأصله متفق عليه، وتقدم.

**آمَنَ عَشَرَةٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، آمَنُوا بِي كُلُّهُمْ»**[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَوْ تَابَعَنِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ»** [٢].

أي: عشرةٌ من أحبارهم وزعمائهم، أي لآمن بي باقي اليهود اتباعًا وتقليدًا لهم، قَالَ صَاحب التَّحْرِير: «المُرَاد عشرَة من أَحْبَارهم»[٣]، كما في الرواية السالفة عند أحمد: «عشرة من أحبار اليهود».

لو آمن من اليهود زمن ظهور دعوة النبي محمد ﷺ عشرة من كبرائهم، ويبدو أن ذلك على سبيل التقريب والمثال، لكن تكبر وعناد الكِبار وإصرارهم على الكفر واليهودية حرم الأتباع اتباع دعوة النبي ﷺ.

ويرى البعض أن المرَاد بِالعشرَةِ أحبارُهم والأَعيانُ مِنهُم، أي عشرةٌ مُعَيَّنون، وكأنها إشارة إلى أن إثم سائر اليهود في رقاب هؤلاء العشرة الذين يعول عليهم، ليس من باب التعيين لكونهم من جملة آخرين.

وعن كعب قال: «هُمُ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ»[٤]، تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي الْمَائِدَةِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢].

قال السهيلي: «ولم يسلم من أحبار اليهود إلا اثنان: ابن سلَام وابن صوريا»، وتعقبه ابن حجر بأنه لم يرَ لابن صوريا إسلامًا من طرق صحيحة[٥].

وكَأَنَّهُ ﷺ أَشَارَ إِلَى أَن الْقَوْم يقلدون أَحْبَارهم لَا بِالدَّلِيلِ، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٧٥٠). وأصله متفق عليه، وتقدم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩٣).

(٣) هو قوام السنة الأصبهاني، والنقل عنه بواسطة شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٣٦).

(٤) الدر المنثور، للسيوطي (٣/ ٤٠)، ونسبه لتفسير ابن أبي حاتم.

(٥) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٥٧).

أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البَقَرَة: ٧٨].

وهذا فيه مشابهة لليهود من بعض الطرقيين والحزبيين ينطلقون من قرارات وأوامر وفتاوى مسؤوليهم وقادتهم، ويجعلونها حكمًا ودليلًا متبعًا، ويقدمونها على كلام الله تعالى ورسوله، فيشابهون اليهود ويحرمون الخير.

**قوله: «لآمَنَ بِي اليَهُودُ»**: أَي: لَو أَتَى إِلَيْهِ عشرَة من الْيَهُود حِين قدم الْمَدِينَة لآمن الْيَهُود، فَإِن قيل: فقد أسلم أَكثر من عشرَة. فَالْجَوَاب: أَن بعض الْعلمَاء يَقُول: مَا أسلم مِنْهُم عشرَة، بل أقل، فَإِن كَانَ كَذَلِك فَلَا إِشْكَال، وَإِلَّا فَالْحَدِيث على أَمريْن:

أَحدهمَا: أَن تكون الْإِشَارَة إِلَى الرؤساء الْكِبَار.

وَالثَّانِي: إِلَى اجْتِمَاع عشرَة فِي الْإِسْلَام فِي وَقت وَاحِد.

وكان من المشهورين بالرئاسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ:

- من بني النضير: أبو ياسر بن أخطب، وأخوه حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي الحقيق.

- ومن بني قينقاع: عبد الله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد.

- ومن قريظة: الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد فهؤلاء لم يثبت إسلام واحد منهم، وإنَّ كلَّ واحد منهم كان رئيسًا في اليهود، فلو أسلم تبعه جماعة منهم[(١)].

**وقد ثبت أن نفرًا كثيرًا من اليهود أسلم**[(٢)]، ولا زال الكثير منهم يسلمون إلى يومنا الحالي وقد رصدت دولة الاحتلال أعدادًا كبيرة من اليهود يسلمون من طبقات وتخصصات مختلفة.

---

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٣٧).

(٢) انظر كتاب: «يهود أسلموا في عهد النبي ﷺ» للشيخ: علاء بكر، وكتاب «يهود أسلموا بعد عهد النبي ﷺ» للدكتور: نايف فارس، وكلاهما من إصدارات مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

## إسلام بعض اليهود يؤرق الكيان الصهيوني:

ذكرت صحيفة «معاريف» أن مئات اليهود في «إسرائيل» يتوجهون سنويًّا بطلبات لمكتب وزارة العدل لترك ديانتهم واعتناق الدين الإسلامي، وأوضحت أن ٢٤٩ يهوديًّا تقدموا خلال العامين الماضيين بطلباتٍ لوزارة العدل «الإسرائيلية» لإعلان إسلامهم، وأكدت الصحيفة أن عام ٢٠٠٨ شهد أعدادًا كبيرة حيث بلغ عدد من أسلم ١٤٢ يهوديًّا.

أضافت معاريف، أنه منذ مطلع عام ٢٠٠٩م تم تقديم ٣٢ طلبًا لتغيير الديانة إلى الإسلام، ووصفت الصحيفة هذه الأرقام بـ«غير مطمئنة وتدعو للقلق»، ومن جانبه، علق عضو الكنيست «أدري أوربنح» من «حزب البيت اليهودي» على ذلك بقوله: «إن كل يهودي يغير دينه يعتبر خسارة مؤلمة للشعب اليهودي».

## الأعداد الحقيقية أكثر من المعلنة:

بينما لا توجد هناك معطياتٌ دقيقةٌ عن العشرات الذين يكتمون إسلامهم خوفًا من رَدَّات فعل أسرهم.

## العودة إلى الفطرة:

لا شك أن هؤلاء يعودون إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها وهي الاسلام، بعد أن هودهم أهلوهم وصرفوهم عنها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١).

وبكل حيادية أثبتت أبحاث العالم الألماني الدكتور «ميللر» الذي كانت له اليد

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الطُّولَى في حل رموز السنسكريتية بالهند: «أن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص، وأن الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين».

## وجوب الدعوة إلى الله للناس كافة:

قد يرى بعضهم أن دعوة غير المسلمين أمر محال، وإسلامهم ضرب من ضروب الخيال، والذي ينبغي علينا فهمه والعمل به قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، تَوْبِيخٌ لِلَّذِينَ تَوَاصَوْا بِاللَّغْوِ فِي الْقُرْآنِ. أَيُّ كَلَامٍ أَحْسَنُ مِنَ الْقُرْآنِ.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال: «خيرُ الناسِ للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام» (١).

قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» (٢).

## جهود دعوية مباركة ومشكورة:

فكما اصطفى الله من البشر أنبياء، فقد اصطفى وأكرم بعضَ المؤمنين أن يكونوا في مهمة الأنبياء، والدعوةِ إلى رسالة ربِّ السماء، وكان على أيديهم إسلامُ الكثير من اليهود

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وغير اليهود، ومن هذه النماذج ما وقفت عليه شخصيًّا لدورات شاركت فيها لنخبة من اليهود الذين أسلموا، فكانوا بين حاخامات وضباط وأبناء قيادات، ومن هذا الأعمال المباركة في الداخل الفلسطيني، ما نقلته صحيفة (يديعوت أحرنوت) عن «أبو حسن» الذي تلقى تعليمَه في إحدى الجامعات الإسرائيلية، أنه وجد عددَ الدعاة للدين الإسلامي في إسرائيل غيرُ كافٍ؛ لذا قرر هو وزملاؤه إنشاء «لجنة الرحمة للمسلمين الجدد»، لمباشرة الدعوة والدعاة، وتأليف الكتيبات الإسلامية باللغة العبرية مثل كتاب «الطريق للسعادة» وفيه يدعون اليهود للإسلام.

ما يؤكده الشيخ «عماد يونس» مدير «لجنة الرحمة»، التي تهتم بشؤون المعتنقين الجدد للإسلام، والذي أكد في حديث لموقع «إم واينت»، النسخة المحلية لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، في ١٢ أغسطس ٢٠١٤، أنه أشرف خلال فترة وجيزة على اعتناق عشرات اليهود للإسلام بعيدًا عن أعين الإعلام.

## النساء أكثر دخولًا في الإسلام:

كما كشفت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الإسرائيلية عن دراسة أجراها «إيتزاك ريتر» أستاذٌ جامعي بمركز القدس للدراسات الإسرائيلية أثبتت أن ٢٠ يهودية تعتنق الإسلام سنويًّا.

وأوضح «ريتر» أن جميع اليهود المتحولين إلى الإسلام هن من النساء، زاعمًا أنهن اعتنقن الإسلام ليتزوجن برجال مسلمين.

من جانبه أوضح «عماد يونس» مؤسس «لجنة الرحمة للمسلمين الجدد» أن غالبية من يعتنقون الدين الإسلامي من اليهود هم نساء، وترجع أصولُهن لروسيا أو أوروبا الشرقية، وأنه في آخر احتفالاتهم اعتنق ٥٥ يهوديًّا الإسلام جميعهم نساءٌ، بينهن خمسُ سيداتٍ وُلِدن وتربين في إسرائيل.

وأضافت الصحيفة أن الدين الإسلامي والدعوة إليه بدأت تتخلل صفوف اليهود، وأن دعاة الإسلام في إسرائيل رجال مُلتحون يشبهون السلفيين، يتقربون لليهود ويدعونهم للدين الإسلامي بلطف، كما تتميز لغتهم العبرية بالطلاقة.

ورأت الصحيفة أن نشر الدعوة الإسلامية بين اليهود جاء متأثرًا بالبرامج الإسلامية التي تبثها القنوات الفضائية في الشرق الأوسط وأوروبا، ومنتديات ومواقع الإنترنت.

وأضاف «ريتر» أن الدعوة الإسلامية في إسرائيل وباللغة العبرية تُعَد السابقة الأولى من نوعها منذ أكثر من ٣٠ عامًا.

ووَصفت الصحيفةُ عملياتِ نشر الدعوة الإسلامية بعدم القبول الكبير بين اليهود، في الوقت الذي لا يجرم فيه القانون الإسرائيلي التبشير والدعوة للأديان الأخرى ولكنه يضع بعض القيود والقوانين.

وأشارت الصحيفة إلى أن وزارة العدل الإسرائيلية لم تستطع تحديدَ عددِ الذين أسلموا من اليهود من جملة ٦٠٠ يهودي يغيرون دينهم سنويًا.

أضافت الوكالة اليهودية مهمة جديدة على أجندتها، وهي البحث عما تقول إنهم يهودٌ عراقيون اعتنقوا الإسلام، وبقوا في العراق.

## بشرى لكل يهودي أسلم:

اعلموا أن الله كتب لكم الأجرَ مرتين، كما أخبر المولى فقال: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

لم يأتنا خبر كم من اليهود أسلم لا في عهد النبي ولا بعده، فالصحابة الذين شهدوا حجة النبي ﷺ كانوا يزيدون على مائة ألف صحابي، لم يحص التاريخ لنا أسماءهم.

حتما إن هناك الكثير ممَّن أشهروا إسلامَهم من اليهود في عهد النبي ﷺ أو بعده، لكن لم تأتِ كتبُ التاريخ والسير والتراجم على ذكر كل مَن أسلم من اليهود وغير اليهود.

## من فوائد الحديث

١- فيه إشارةٌ إلى أن اليهودَ أتباعٌ عميان مقلدون لأحبارهم، لا يعتمدون الدليل، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ الآية [البقرة: ٧٨].

٢- إسلامُ اليهود وغيرهم دليلٌ على أنهم يعتنقون دينًا محرفًا مشوهًا لا يلبي حاجاتِ الفطرة، ولا يقبله عقل سليم.

٣- إن أغلب مَن أسلم منهم هم من النخب والعقول والعباقرة، ومن الصفوف الأولى في علوم الدين والدنيا وهو مصداق ما أخبر عنه الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٤- وهذا دليل قاطع على أن التعاليم التوراتية المنزلة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هي منسوخة لا تصلح إلا لزمان ومكان وأشخاص بعينهم كتبها الله عليهم.

٥- إن دعوةَ اليهود للإسلام سهلٌ ممتنعٌ، وفيه أجرٌ عظيم، وضربٌ من ضروب جهادهم واختراقهم وتفتيت كيانهم.

# الحديث التاسع

## تشدُّدُهُم في الدِّين

**عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ، وَيَقُولُ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ»**[1].

### مقدمة

هي عادتهم في التشديد على أنفسهم، والتعنُّت في امتثال أوامر الله كما حالُهم مع البقرة التي طلب الله منهم ذبحها، فلما أكثروا على المولى السؤال، فرضوا على أنفسهم مواصفات لم يطلبها منهم الله تعالى.

### شرح الحديث

كَانَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ: وهو عبد الله بن قيس (الأشعري) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أي في الاحتراز من البول وشدة حرصه تجنبَ نجاسته، حتى كان يبول في قارورة خوفًا من أن يصيبه شيءٌ من رشاشه[2].

**قوله: «وَيَقُولُ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ»:** أي: بنو يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ صلواتُ الله عليهم وسلامه.

**وفي روايةٍ عن أبي موسى الأشعري:** قَرَضَهُ بِالْمَقْرَاضَيْنِ[3]، وفي رواية مسلم: قَرَضَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦)، ومسلم (٢٧٣).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٥٣٧)، والطيالسي (٥٢١)، والحاكم (٥٩٦٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

بِالْمَقَارِيضِ[١] قرضه: أي قطعه. وفي رواية أبي داود: قطعوا ما أصابه البول منهم.

وفي الحديث تتمة من قول حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْتَهُ أَمْسَكَ، أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا[٢].

ومراد حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ لما بال عند السباطة[٣] وهي رخوة بطبيعة حالها لا تعمل على ارتداد البول، لم يتكلف التحرُّزَ والبولَ في قارورة؛ خشية الوسواس كما فعل أبو موسى الأشعري.

احتج حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الحديث؛ لأن البائل قائمًا قد يتعرض ليسير الرشاش من البول، فلم يلتفت النبي ﷺ إلى هذا الاحتمال، فدل على أن التشديد مخالف للسنة.

وجاءت الشريعة الإسلامية في الترخيص في اليسير، وما لا يمكن التحرز منه وكان يسيرًا مثل رؤوس الإبر، كل ذلك دفع للوسواس وتلاعب الشيطان في الإنسان.

وحكم إزالة النجاسة بالقطع هو ليس من أصل دين بني إسرائيل، ولم تأتِ به التوراة، لكنه مما تكلفوه بدينهم وشدَّدوا به على أنفسهم، فقد جاء ما يثبت ذلك عن محمد بن عبد الله بن سلَامٍ، قال: قال أبي: «قدم علينا رسولُ الله ﷺ، فقال: (**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا يَا أَهْلَ قُبَاءَ، أَفَلاَ تُخْبِرُونِي؟!**) فقلنا: يا رسولَ الله، علينا في التوراةِ الاستنجاءُ بالماءِ»[٤].

وقد جاء في توراتهم الكثيرُ من الأحكام التي شقوا فيها على أنفسهم وبالغوا في تحريم ما لم يحرمه الله عليهم، كما جاء في نجاسة لامس فِراش المرأة الحائض: «وكل مَن مس

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣). (٢) أخرجه البخاري(٢٢٦).

(٣) السباطة والكناسة: الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).

فِراشها، يغسل ثيابَه ويستحمُّ بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»[١]، وجاء: «ومَن أصابه شيء من دم طمثها، يكون نجسًا مدة سبعة أيام، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه، يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسًا»[٢].

ومنها نجاسة متاع مريض سَلِس المني: «كل فراش يضطجع عليه الذي له السيل يكون نجسًا، وكل متاع يجلس عليه يكون نجسًا»[٣].

ومن ضروب التشدد في الأحكام الخاصة بشال الصلاة «الطاليت»، ومن أهم أحكام طهارة الطاليت الرجالي ألا تلمسه النساء، ولو حصل وفعلت إحداهُنَّ، فلا يجزئ غسله ويلزم استبداله!

## من فوائد الحديث

١- الحديث ينهى عن التشدد والغلو في الدين، وأنه منهج اليهود.

٢- هذا التشددُ في الدين هو من الإِصْر الذي حمله اليهود وشقوا على أنفسهم فيه.

٣- هذا التشدد مخالفةٌ لمراد الله و للمنهج القويم والعقل السليم.

٤- هذا التشدد مَدْعاةٌ أكيدة إلى الوسواس، واختراق الشيطان لنفس المتشدد فيسهل التحكم فيها ثم إهلاكها.

٥- الشريعة الإسلامية جاءت للتيسير لا للتعسير، وفيه قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وكما قرر الأصوليون قاعدة «المشقة تجلب التيسير»[٤]، وقاعدة «إذا ضاق الأمر اتسع»[٥]، فليس من المعقول كلما أصابت نجاسة ثوب أحدنا قطعناه حتى لا يبقى لنا ثوب!!

---

(١) اللاويين (١٥: ٢١).
(٢) اللاويين (١٥: ٢٤).
(٣) اللاويين (١٥: ٤).
(٤) الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص٧).
(٥) المنثور في القواعد الفقهية، للزركشي (١/ ١٢١).

# الحديث العاشر

## اليهودُ قومٌ بُهُتٌ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ.

قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**).

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ. وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا**).

قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟**) قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ؟**). قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

## مقدمة

عبد الله بن سلام يكشف حقيقةَ اليهود وأنهم قوم بهت، فهو من أحبارهم وأعلم الناس بهم، يتنبأ بردود أفعالهم إذا ما علموا بإسلامه.

## شرح الحديث

**قوله: «قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ»:** اسمه: أبو يوسف عبد الله بن سلَام بن الحارث، الإمام الحبر المشهود له بالجنة حليف الأنصار.

من يهود بني قينقاع سكان المدينة، حسن إسلامُه وامتدحه النبي ﷺ، قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلَام [١].

شهد بدرًا وفتحَ بيت المقدس والجابية مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وكانت وفاته: في المدينة سنة ٤٣ زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قوله: «قال: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ»:**

**قوله: «قال: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟»:**

أي: ما السببُ في أن الولدَ يشبه أباه، أو أمه؟

**قوله: «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ.**

**قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ»:**

زعموا أن جبريل عدوُّهم وميكائيل وليٌّ لهم. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، لكن الله رد عليهم، أن مَن عادى جبريل فهو قد

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

عادى باقي الملائكة ولا فرق بينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

## وقيل: سبب كرههم لجبريل:

١- قالوا: إن جبريل يُطلع محمدًا على أسرارنا [١].

٢- وأنهم قالوا: أُمِر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا [٢].

٣- ولأنه ينْزِل عليهم بالعذاب، وهو قول الجمهور. وفي بعض الروايات عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالوا: «جبريل ينزل بالحرب والقتل والعذاب، لو كان ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر»[٣].

٤- وقيل: إن جبريلَ حال بينهم وبين بُخْتَنَصَّر الذي دمر وحرَّق بيتَ المقدس وقتلهم وسباهم إلى بابل، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن سببَ عداوةِ اليهودِ لجبريل أن نبيَّهم أخبرهم أن بُخْتَنَصَّر سيخرب بيتَ المقدس، فبعثوا رجلًا ليقتله، فوجده شابًّا ضعيفًا فمنعه جبريل من قتله، وقال له: إن كان الله أراد هلاككم على يده فلن تسلط عليه، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله، فتركه فكبر بُخْتَنَصَّر، وغزا بيت المقدس، فقتلهم، وخربه، فصاروا يكرهون جبريل لذلك» [٤].

وكل ذلك محض كذب وافتراء وهَرْطَقات يهودية، مردها استحكامُ الشيطان في عقولهم.

## عقيدة اليهود في الملائكة:

تشير كلمةُ «ملاك الرب» إلى كلمة الملائكة، وأحيانًا يرِد في التوراة اسمُ الرسول

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٢٤).

(٢) تفسير الثعلبي(٣/ ٤٥٧)، وأسباب النزول للواحدي (ص٣٤).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٨٨).

(٤) فتح الباري (٨/ ١٦٦).

ملاكٌ، وأحيانا يطلقون على الملائكة اسم «أبناء الرب».

١- زعمهم أن الملاكة بناتُ الله، قال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

٢- وأن ميخائيل هو الملاك المكلفُ بشعب إسرائيل، كما ورد في سفر دانيال(١).

٣- وأما تعداد الملائكة في عقيدتهم، كما في المزامير «مركبات الله ربوات ألوف مكررة»(٢).

٤- وللملائكة أسماء عامة عندهم: (ملاك الرب، الملائكة، جند السماء، رب الجنود، الكروبيم)(٣).

٥- أجسامُهم تشبِه أجسامَ البشر، لكنَّ أشكالهم رهيبة جدًّا(٤).

٦- لهم قوةٌ عظيمةٌ، وأجنحةٌ متفاوتةُ العددِ فيما بينهم.

٧- وأنهم طاهرون عالمون مطيعون لله.

٨- ومن أعمال الملائكة أنهم يخدمون شعب الله المختار في كل عصر (٥).

٩- تلبي طلبات اليهود وتصلي لهم، وتساعدهم على النوم ليلًا(٦).

١٠- أنهم يتعلمون التلمود مع الرب: «أنه لا شغل لله في الليل إلا تعلمه التلمود مع الملائكة» (٧).

---

(١) (١٠: ٢١).
(٢) (١٧: ٦٨).
(٣) وهذا أحد الأسماء القريبة من الأسماء المذكورة في بعض الآثار الإسلامية، كما جاء في الأثر عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والملائكة. «أخرجه ابن أبي شيبة في العرش، رقم: (٢٧)، وجاء عن عثمان الأعرج، قال: إن مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش» أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٣٥)، وكل هذه الروايات ضعيفة لا تصح.
(٤) المزامير (١٠٩: ٢٠).
(٥) قاموس الكتاب المقدس (ص: ٩٢٠).
(٦) الكنز المرصود (ص: ٥٨).
(٧) الكنز المرصود (ص: ٥٥).

١١- موت الملائكة، منهم مَن يموت بعد زمن، ومنهم مَن يموت بعد خلقه[١].

## صفات الملائكة وأسماؤهم وأشكالهم:

١- جبرائيل: من رؤساء الملائكة، وهو عدوُّهم كما يزعمون، جاء ذكرُه في التوراة مرةً واحدةً وكانت في موضع الذم.

٢- ميخائيل: هو أيضا من رؤساء الملائكة، جاء ذكره في سفر دانيال: «وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين، جاء لإعانتي»[٢].

٣- رفائيل، ريئال، صوريئال، كموئيل، بوفئيل، صدقئيل.

**قوله: «قال: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ»**: الْقطعَة المنفردة الْمُعَلَّقَة بالكبد، وَهِي فِي الطّعْم فِي غَايَة اللَّذَّة، وَيُقَال أَنَّهَا أهنأُ طَعَام وأمرؤه [٣].

**قوله: «وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا.**

**قال: قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ.**

**قال: ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ»**: بُهُت بضم الموحَّدة، جمع: بَهُوتٍ، وهو كثير البُهتان، أَي: من المماراة والكذب وعدم الرجوع إلى الحق.

---

(١) الملائكة المقربون، محمد العقيل (ص: ٢٨٨).

(٢) (١٠: ١٢).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٧/ ٦٩).

قال ابن الأثير: «هو جمع بَهُوت، من بناء المبالغة في البهت، مثل صبور وصُبُر، ثم سكن تخفيفًا، والبُهْتُ: الكذب والافتراء»[١].

**قوله: «قال: فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ.**

**قال: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا»:**

«**أخيرنا**»: الأكثَر الأشهر أن يُقال: خَيْرنا[٢]، وفي روايةٍ: «أَخْبَرُنا وابنُ أَخْبَرِنا»[٣]: من الخبر، وهو المعرفة.

**قوله: «قال: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، قال: فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ».**

وفي روايةٍ: «وجاهلنا، وَابن جاهلنا!»[٤].

**قوله: «قال: ألم أخبرك يا رسول اللهِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهُتٌ؟»**[٥].

وفي روايةٍ: «وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا ما كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ»[٦].

وفي رواية ابن صُهَيْبٍ: «فأخرجهم رَسُولُ الله ﷺ»[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٦٥)، وانظر: مقاييس اللغة (١/ ٣٠٧).

(٢) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، للبرماوي (١١/ ٥٠١).

(٣) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، للبرماوي (٩/ ٤٠٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٢٠٥٧).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٠٥٧)، وابن حبان (٧٤٢٣)، وأبو يعلى (٣٤١٤). وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٧٣٨٠).

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٣٨).

(٧) أخرجه البخاري (٣٩١١).

## من فوائد الحديث

١- حرص النبي ﷺ على دعوة اليهود على بصيرة وعلم، وبالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- حرص عبد الله بن سلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تحري الحق والبحث عنه، وتحمل تبعات ذلك.

٣- سرعة تقلب اليهود وتلونهم في حكمهم على غيرهم.

٤- عبدالله بن سلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اتبع أسلوب مقارنة ما في التوراة، وما أجاب به النبي ﷺ عن تساؤلات ابن سلَام.

٥- وأن توراة اليهود زمن النبي ﷺ، كان فيها مِمَّا جاء به نبي الله، وكان ذلك سببًا في إيمان عبد الله بن سلَام.

٦- عبد الله بن سلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقرُّ بحقيقة إحدى أبرز طبائع اليهود السيئة، وهي أنهم قومٌ بُهُت.

٧- اليهود يفرقون بين ملائكة الله كما يفرقون بين رسل الله، وهذا سبب ومدعاة لكفرهم، قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

# الحديث الحادي عشر

## اليهوديةُ مخالفةٌ للفطرةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»(١).

### مقدمة

أي مولود لم يتعرض لمؤثرات خارجية، تكون فطرته سليمة، وتوحيده نقيًّا، لأنها هي السجية التي خلق الله عباده عليها.

### شرح الحديث

**قوله: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»**: وفي روايةٍ عن أبي هريرة: «كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ عَلَى الْفِطْرَةِ»(٢).

وفي روايةٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ» (٣).

وفي روايةٍ عن أبي هريرة: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى المِلَّةِ» (٤).

وفي روايةٍ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّى يُبِينَ عَنْهُ لِسَانُهُ» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٨).

(٣) تقدم تخريجه قبل حديث.

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٣٨)، وأصله متفق عليه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٨).

قال الدينوري: «فَكُلُّ مَوْلُودٍ فِي الْعَالَمِ عَلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ وَالْإِقْرَارِ، وَهِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ، وَجَرَتْ فِي فِطَرِ الْعُقُولِ»(١).

قال القرطبي: «وهي الْجِبِلَّةُ الَّتِي خَلَقَ اللهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَالْفِطْرَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخِلْقَةُ، يُقَالُ: فَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ بِمَعْنَى خَلَقَهُمْ، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ: الْحَالَةُ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا مِنْ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالرُّبُوبِيَّةِ»(٢)، مَعْنَاهُ: أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ مُتَهَيِّئًا متقبلاً لِلإِسْلاَمِ، يَعْنِي عَلَى الْبِدَايَةِ الَّتِي ابْتَدَأَهُمْ عَلَيْهَا، أَيْ: لو خُلي بينه وبين طبعه لاختار الإيمان والاستقامة، وذلك قبل فرض أي تأثير خارجي عليه، فهي تقتضي معرفةَ الخالقِ والإيمان به.

فقد خُلِقَ الطِّفْلُ سَلِيمًا مِنَ الْكُفْرِ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا عَلَى الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَى ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِهِ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهو الْإِقْرَارُ بِاللهِ الَّذِي كَانَ أَقَرَّ بِهِ لَمَّا أَخْرَجَهُ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ.

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

**قوله: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»:**

وفي روايةٍ: «**حَتَّى يُعْرِبَ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(٣).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي جَمِيعًا حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ**»(٤).

---

(١) تأويل مختلف الحديث، للدينوري (١/ ٢٠٠).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، القرطبي (٢/ ٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٨٠٥)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، و(١٥٥٨٨)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٣) من حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٦): رواه أحمد بأسانيد، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي روايةٍ عن أبي هريرة: «**أَوْ يُشَرِّكَانِهِ**» (١).

أي أَنَّ أَبَوَيْهِ هُمَا اللَّذَانِ يَصْرِفَانِهِ عَنْ الْفِطْرَةِ والْإِيمَانِ إِلَى دِينٍ غير دين الإسلام، ويُعَلِّمونَه دينًا محرفًا غير الذي جُبِلَت عليه نفسه، فهم بهذا يخالفون النفس وما جُبِلَت عليه، ويفرضون عليها ما ليس منها.

**قوله: «كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»**: تنْتج: هِيَ السليمة، سميت بذلك لاجتماع السَّلامَة فِي أعضائها، والجَدْعاء: المقطوعة الْأنف وَالْأُذن. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْبَهِيمَةَ تَلِدُ مولودها كَامِل الْأَعْضَاءِ لَا نَقْصَ فِيه، وَإِنَّمَا يَحْدُثُ فِيه الْجَدْعُ وَالنَّقْصُ بَعْدَ وِلَادَتِه، وفي رواية: (جَمْعَاءُ) أَيْ: مُجْتَمِعَةُ الْأَعْضَاءِ سَلِيمَةٌ مِنْ نَقْصٍ، لَا تُوجَدُ فِيهَا جَدْعَاءُ، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]». وقد أضاف المولى الفطرة إلى نفسه المقدسة.

وأن الانسان بفطرته السليمة منتسب إلى الله، وهذا مخالف لما نسبه اليهود إلى أنفسهم أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناءُ الله، وأنهم جزء من الله، وغير ذلك من هَرْطَقات كفرية، وهم فيها عكس ذلك، فهم أعداءُ الله المستحقون لعقوباته التي تعاقبت عليهم من مسخ وتِيهٍ وصعق وغير ذلك.

التدين غريزة فطرية مغروسة في الإنسان، حالها حال الطعام والشراب والغرائز الأخرى، ومناقضة ذلك هو شذوذ ومخالفة للغريزة البشرية؛ لذلك وعبر تاريخِ البشرية أنهم ولما تنكبوا الطريق كانوا يبحثون عن معبودٍ يعبدونه، مهما كان نوع هذا المعبود! أكان بشرًا أم حجرًا أم حيوانًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٤٥)، و الترمذي (٢١٣٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

يشير صاحب كتاب «مراقي الوعي»: «أن التدين في الإنسان ليس شيئًا مصطنعًا، ولا مخترعًا، ولا طارئًا، إنما هو طبيعةٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ، ويذكر عن دراسة أجراها البروفيسور «جستون باريت» مع زميله البروفيسور «روجر تريج» وكلاهما يعمل في جامعة أكسفورد حيث قادا مشروعًا علميًّا ضخمًا مع سبعة وخمسين باحثًا من عشرين دولة عن فطرية الايمان، فكانت نتيجة بحثهم أن التدين حقيقة مشتركة في طبيعة الإنسان في المجتمعات المختلفة، أما الدكتور «بارت» المذكور سالفًا المتخصص في علم نفس الأطفال، ألف كتابًا مشهورًا ومترجمًا إلى العربية بعنوان «فطرية الإيمان»، يذكر فيه أن التجارب أثبتت أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله، وفند فيه شبهة القائلين بأن إيمان الأطفال سببه تلقين الوالدين، والواقع أن الايمان بالله سبحانه فطرة وليس نتاج تلقين»[١].

**اليهود يدمرون فطرة الناس**: جاء في بروتوكولات حكماء صهيون: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق لتسهل سيطرتنا».

أظهرت استبانةٌ أجرتها المجلةُ الأسبوعية اليهودية «هاولام هاري» في تل أبيب بين الطلبة اليهود في فلسطين، أعلن ٩٥ ٪ منهم أنه يجبُ قتل كلِّ العرب، وعندما سألوا إحدى أمهاتِ هؤلاء الطلبة من أين لابنك هذا الشعور تجاه العرب؟ أجابت: هكذا علموه في المدرسة!! نعم هكذا علموه في المدرسة! هي محصلةٌ ونتيجة طَبَعِيَّة من جهود مؤسسات صهيونية متكاملة، وتوراة محرفة، وتلمود لعين، بمجموعها تعمل للوصول إلى هذه النتيجة الإجرامية!

لقد وصف لوثر المكتوي بنارهم، مدارسَهم وأماكن تعليمهم بـ«عش إبليس»، فقال: «هم أهلُ الرياء، ومدارسُهم عشُّ إبليس، يتعلمون فيها كيف يمارسون كلَّ أساليب الغشِّ

(١) انظر كتاب: مراقي الوعي (ص: ٣٠٠)، أ. د. صالح عبدالعزيز سندي، دار اللؤلؤة.

والخداعِ والفتك بالآخرين».

لقد اهتمت بعضُ مراكزِ الدراسات الصهيونية المتخصصَّة في صياغةِ أدبيات تهدف إلى تربيةِ الطفلِ اليهودي وتنشئتهم على حقدِ العرب والمسلمين، واحتقارهم ومن ذلك على سبيلِ المثالِ لا الحصر «مركز دراسات أدب الأطفال» في جامعة حيفا، كلية التربية، أصدر ما يزيد عن (٤٢٠) كتابًا ودراسة تتناول هذه المواضيع.

وكثير من الأدبيات التي اهتم على نشرها متصهينون متطرفون، يملكون مراكز دراسات أو دور نشر أو مؤسسات تعنى بالتنشئة اليهودية، قاموا على غرس مفاهيمَ جائرةٍ ومخادعةٍ عن الإنسان الفلسطيني والعربي والمسلم، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في قصة بعنوان: «القرية العربية» جاء فيها: إن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب، و الإجراءات الصحية التي لا يستطيع الإنسان العيش ساعة بدونها غير متوفرة في أي قرية عربية حتى في القرى الكبرى الغنية، ولعدم وجود المراحيض يقضي العرب حاجاتهم في أي مكان، فالأولاد يقضون حاجاتهم في الساحة أو الحظيرة أو في البيت، أما الكبار فيأخذ الواحد منهم إبريقًا ويخرج إلى الحقل، وعادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب، وهناك بعض الفلاحين الذين لم يمس الماء أجسادهم منذ زمن طويل، وامرأة عربية أقسمت بالله أنها ولدت ستة أولاد دون أن يمس الماء جسدها، وهناك مثل عند العرب يقول: الطفل الوسخ أصح وأشد!

العرب يرتدون الثياب ولا يغيرونها إلى أن تبلى، حيث يغدو مليئًا بالقمل والبراغيث ويكلح لونه، والعربي صانع القهوة يبصق في الفناجين كي ينظفها!

تقوم الأم «اليهودية» بتهديد طفلها إذا عصاها. أو أتعبها- «إذا لم تفعل كذا، فسآتيك بمحمد العربي أو بمحمد المسلم!

يهتمون بتربية العنف والعدوان في عقول أطفالهم، فمن الطَبَعِيّ أن يقرأ الأب التوراة ومعه ابنه وبينهما البندقية!

نعم هم كما وصفهم مارتن لوثر فقال: «بأنهم قد أرضعوا الكراهية من ثدي أمهاتهم»[١].

## من فوائد الحديث

١- الحديث دليل واضح على أن الحق والإيمان مركوز في النفوس البشرية، وأن الديانات الأخرى عوامل طارئة وشاذة، أسهمت في صرف النفس عن ما جبلت عليه من خير وتوحيد الله تعالى.

٢- يبين هذا الحديث أن اليهودية والنصرانية والمجوسية كفر، وأنها مخالفة للفطرة، وأن مَن استجاب بعد بلوغ وإدراك ووعي، ولم يرجع إلى فطرته يموت كافرًا.

٣- الأبوان هما المؤثرُ الأولُ في عقيدة الأبناء وتوجيه حياته الأخروية، فعليهما الإحسان إليه بأن يحفظوا عليه فطرتَه، ويدعموا كلَّ ما يعزز نقاءَها وبقاءَها.

٤- الحديث فيه إقامة الحجة على كل البشر في قوله: «كل» أي: إن الله خلق البشر على الهداية، وعليهم أن يعودوا إليها من خلال البحث عن الحق، ومعرفة الطريق السليم.

٥- وفي الحديث أن الله غرس بذرةَ الإيمان في قلوبهم، في قوله: «**يولد على الفطرة**» وهو دليل آخر على إقامة حجة الله على عباده، وعلى العبد أن ينميَها لا أن يحاربها ويعارضها أو يغفل عنها.



(١) نفاق اليهود (ص ٨٤).

# الحديث الثاني عشر

## ذم التشبه باليهود

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**»![1].

### مقدمة

حرص النبي ﷺ على تميز أمته عن غيرها من أمم ومِلَل، بنصاعة عقيدتها وسلامة منهجها، فعمل على تحصينها من المُدْخَلَات التي ليست من دينها، وتحذيرها من المنزلقات التي تشوه بريقها، فسد الذرائع ونهى عن الرعي حول الحمى، والتشبه وتقليد غير أهل الملَّة أو الأخذ عنهم ومنهم، أو السير في ركابهم كل ذلك لحماية وتحصين أمة الاسلام.

### شرح الحديث

**قوله: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»:**

«**لَتَتْبَعُنَّ**»: بِفَتْح اللَّام للتَّأْكِيد، وفتح السين هو أولى من ضمها؛ لأنه لا يستعمل الشبر والذراع إلا في السَّنن وهو الطريق[2] لَتُوَافِقُنَّ بِالتَّبَعِيَّةِ أي: تتبعون طَرِيقَة من كَانَ قبلكُمْ بكل شَيْء نهى الشَّرْع عَنهُ وذمه.

يقول السيوطيُّ: أَي اتباعهم فِي الْمعاصِي والمخالفات لَا فِي الْكفْر[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠/ ٣٦٦).

(٣) شرح السيوطي على مسلم (٦/ ٣٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ فِيهِ**»- وقال مرة: «**لَتَبِعْتُمُوهُ فِيهِ**» (١).

وفي روايةٍ: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ**» بِضَمِّ السِّينِ جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ لُغَةً الطَّرِيقَةُ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةً، وَالْمُرَادُ هُنَا طَرِيقَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ (٢).

**قوله: «شِبْرًا شِبْرًا وذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»:**

وفي رواية عن أبي هريرة: «**وَبَاعًا فَبَاعًا**» (٣) وفي رواية: «**حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ**» (٤).

أي: ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء (٥)، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر (٦).

**قوله ﷺ: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»:**

وفي رواية عن أبي هريرة: «**لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ**» (٧)، في رواية عن أبي سعيد: «**لَسَلَكْتُمُوهُ**» (٨)، وهذا مُبَالَغَة فِي الِاتِّبَاع، وفي رواية: «**وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ**» (٩).

---

(١) أخرجه أحمد (١١٨٩٧)، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٠٧٦٤). وقال الأرناؤوط في تخريج المسند (١٨/ ٣٩٤): إسناده ضعيف لإبهام الرجل الراوي عن أبي سعيد.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، على القاري (٨/ ٣٣٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (٨٣٤٠)، وأصله عند البخاري (٧٣١٩)، وصححه الحاكم (١٠٦)، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الترمذي(٢٦٤١)، وقال: حديث مفسَّر غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٣).

(٥) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣٦١).

(٦) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٥/ ٤٢١).

(٧) أخرجه أحمد (٩٨١٩)، وصححه الحاكم (١٠٦)، ووافقه الذهبي، وأصله عند البخاري (٧٣١٩).

(٨) أخرجه البخاري (٣٤٥٦).

(٩) أخرجه الحاكم (٨٦٢٥) من حديث ابن عباس، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٤٨) وقال: (تنبيه): قوله: «أمه» هكذا وقع في كل المصادر التي تقدم عزو الحديث إليها: ابن نصر، الدولابي، البزار، وهو الصواب ووقع في (مستدرك الحاكم): «امرأته»، وهو خطأ من أحد رواته أو نساخه...

لماذا اختار النبي ﷺ جحر الضبِّ وصْفًا وتشبيها لهذا النوع من التقليد، مع أن الضبَّ يجوز أكله ولا يعتبر نَجِسًا؟

لأن جحره أَضَيْقُ أَنْوَاعِ الْجُحور وَأَخْبَثُهَا؛ فقد قالت العرب قديما: «هذا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ»، فلا تهويةَ فيه كغيره من الجحور، وليس له مَخْرَجٌ آخر، وهذا دليل على غباء الضب؛ إذ لم يجعل لنفسه مخرجا يَفِرُّ منه إذا ما دُوهِمَ جُحْرُه، كما يمكن اصطيادُه بسرعة وسهولة؛ فإنه إذا ما سُكب في جحره قليل من الماء خرج منه بسرعة، ومن غبائه أنه يَحْفِرُ جحره في مكان مرتفع؛ لأنه غالبا يَفْقِد مكان جحره!

**قوله: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قال: فَمَنْ؟!»**

أي: القائل رسول الله ﷺ، وهو اسْتِفْهَام إِنْكَار.

واتباع سَنَنِ وسُنَن اليهود له أشكال وألوان، أخطرها وأشملها هو «التطبيع»، وهي الوسيلة التي يرى فيها اليهود الأسلوب الأَنْجَع والأقدر والأسهل لِلِانْسِلَال إلى أمة الإسلام؛ لِتَلْيِين عَرِيكتها، واختراقِ قِيَمِها؛ حتى يتمكَّنوا من إضعاف هَيبتها، وتفتيتِ قُوَّتِها ليتمكنوا من السيطرة عليها.

جاهل من يظن أن الحربَ اليوم في العالم كلِّه مجرَّدُ حربٍ في ميدان السلاح والقتال، فقد تطوَّر مفهوم الحرب، وأصبح مفهومـًا شاملاً واسعـًا يَمَسُّ كل جوانب حياة الدول والأفراد.

ومفهومُ السلام الذي يُنادي به يهودُ وحلفاؤهم ومَن سار في رِكابهم لم يَعُدْ مفهومـًا ضيِّقـًا مقصورًا محدودًا بوضع السلاح فقط، بل أرادوا منه أن يعالجوا كل ما مَسَّ اليهودَ وحذَّر من عقيدتهم، ونادى بالتحذير من خطرهم.

وقد حذَّرنا المولى وبكل دقَّة من خطرهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١].

هو ذا الهدفُ الأساس من عملية السلام، وإذا كان الأصوليون والفقهاء يقولون: «الحكم على الشيء فرع عن تصوُّرِه» فإن من السَّذاجة أن يَحْكُمَ أحدٌ على عملية السلام مع إسرائيل أو مع اليهود أنها: هدنةٌ بين طرفين متحاربين، فلنا عبرة فيمن سبق وطبَّع من سنوات مع يهود؛ لنرى كيف انسلَّ اليهود إلى كل جَنَباتِ حياتهم فأغرقوها بكل أنواع الموبِقات، واخترقوا أَمْنِيًّا كلَّ المؤسسات والأفراد ومفاصلِ قوَّتهم، والحديث في ذلك يطول وتُسَوَّدُ لأجله صفحاتٌ لا تنتهي، حتى نصل إلى مرحلة تُحَقِّقُ أهدافَهم وتَروي غليلهم، وقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ حقيقتَهم ومرادَهم في قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إذًا هو جملة من مشاريعِ مسخٍ وتغييرٍ للعقلية الإسلامية، وترويضِها لقبول أهدافهم، والرضا بأطماعهم؛ ليَسْهُل عليهم الهيمنةُ على المنطقة العربية والإسلامية بأسرها.

## من نتائج ومخاطر التَّطبيعِ معَ العدُوِّ الصهيونيِّ:

التطبيعُ مع العدوِّ الصهيونيِّ هو حرفيا جحرُ الضب الذي نهانا النبي ﷺ عن الوُلُوج فيه؛ لأن نهاية المطاف هو اتباعٌ كامل لسَنَنهم، ويرمي وبشكل دقيق إلى تحقيق أهدافهم ومآربهم، ومن غير إعمالٍ للسلاح ولا تحريك للجيوش، ومن ذلك:

١- تحقيقُ الموالاةِ والمَوَدَّةِ لهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وإزالةُ كل ما يسبِّب عداوتَهم من مناهجنا المدرسية، وإعلامِنا وقوانينِنا ومنابرِ مساجدنا.

٢- هذا الفعل يُفضي إلى التحريم، واستحقاق عقوبة الله تعالى، واستجلاب غضبه .

٣- خطر استراتيجي جسيم يتسبَّب في المخاطر الأمنية القومية العديدة، واختراقِ الأمة بجميع مفاصلها.

٤- التطبيع يُعِينُ العدوَّ الصهيوني على إطالة أمد احتلاله لأراضينا المقدسة، ويُمِدُّهم بأسباب القوَّة والبقاء والاستمرار في مشاريعهم التوسُّعية.

٥- التطبيع أَلْجَمَ جميعَ المطبِّعين، وألزمهم السكوتَ وخِذْلانَ أهلنا في فلسطين ومقدساتنا، وعدمَ اتخاذ أيِّ مواقفَ عن جرائم العدو الصهيوني، وعدوانِه السافر والمستمر على الأرض والشعب والمقدسات.

٦- التطبيع رسَّخ مفهومَ الهزيمة وثقافتَها بشكل كامل، وكبَّل أمَّتنا وجمَّد قُوَاها كما كُبِّل الضَّبُّ الأحمقُ في جحره.

٧- لا يمكن مقارنةُ التطبيع بمعاهدات السلام ونحوها؛ فهو ليس منها في شيء، ولا يحقِّق مرادَ الشارع الكريم ولا مراد المسلمين، وكلُّ ما أتى به التطبيع هو الخدمة الكاملة والمطلقة للكِيان الصهيوني وحلفائه من الغرب الكافر.

٨- التطبيع أسهم في ترويج رواية وسَرْدِيَة العدو الصهيوني، وبالطريقة التي حَبَكَها، فكانت أكبرَ محاولةٍ تاريخية لتزوير التاريخ المعاصر، وتضليلِ جماهير الأرض بشتَّى دياناتهم ومللهم.

٩- التطبيع روَّج لثقافة الانهزام والرُّضُوخ للأمر الواقع وإلقاءِ السلاح، وألغى مبدأ الجهاد في سبيل الله والذي هو ذُرْوَةُ سَنَام الإسلام، وروحُ العزة والأَنَفة في الأمة، حتى سرى ذلك وانسلَّ إلى أنفس مَن يُظَنُّ بهم خيرٌ.

## من فوائد الحديث

١- من دلائل نبوَّة النَّبِي ﷺ أنه أخبر أن أمته ستتَّبع وتقلِّد وتنبهر بفعل اليهود والنصارى، وستحاكي أفعالهم الرديئة والدنيَّة والمنحطَّة بكل دقَّة وفخر.

٢- ما أخبر عنه النبيُّ ﷺ نعيش نحن زمانَه وبكل تفاصيلِه، وكثير من المسلمين قد مُسِخت فِطَرُهم، وتنكَّروا لدينهم وقومهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكأنَّ القومَ لا عقلَ لهم، ولم يكن شيءٌ يحكمهم أو يَرْدَعُهم.

٣- مِن حرص النبي ﷺ على قومه أنه يحذِّرهم مِمَّا يُفسد عليهم دينَهم ودنياهم، ويدلهم على ما يرفع شأنهم ويحفظ كرامتهم وهُوِيَّتهم.

٤- على قادة الأمة أن يَعُوا تحذيرَ النبي ﷺ، ويتعاملوا معه كاستشرافٍ مستقبليٍّ للمخاطر المُحْدِقة بالأمة، والواقعة بهم لا محالة.

٥- فيه تحذيرٌ لعامَّة الأمَّة من عدم الانجرار أو الانخداع بالغرب الكافر، ومجاراتِهم ومشابهتم في كلِّ شيء، فإن ذلك يُفضي إلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية التي شرَّف الله تعالى المنتسبين إليها.

٦- ليس في الحديث ما ينهى عن الاستفادة من علوم وخبرات أهل الكفر.

٧- في الحديث دلالة واضحة على ما سيكون عليه اليهودُ والنصارى وغيرُهم من ملل الكفر من تأثيرٍ واختراق لشعوبنا ودُوَلِنا المسلمة، ودليلٌ على أنْ ليس ما يَمنع أو مَنْ يُمَانِع مِن اختراق هؤلاء.

# الحديث الثالث عشر

## الحذر من أخبار اليهود

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] **الآيَةَ**»(١).

### مقدمة

كان اليهود هم الأمةَ الوحيدةَ التي معها كتابٌ مُنَزَّل قبل نزول القرآن الكريم، وكانوا يتفاخرون ويتكبرون ويستحقرون سائرَ الأمم ومنهم العربُ، وبعد نزول القرآن وما فيه من ذكر للتوراة، استهوى ذلك بعضَ المسلمين أن يتعرَّفوا على بعض التفاصيل التي لم يأتِ ذكرُها في القرآن الكريم، ويرجعوا فيها إلى أهل الكتاب، فكان اليهود يترجمونها لهم، يُخفون شيئًا ويُبدون آخر، وحينها لم تكن التوراة مبذولة عند كل أحد، ولم يكن يقرؤها كل قارئ، ثم جرى عليها ما جرى من تدخُّلات حاخاماتهم، وتَعَدِّيهم عليها زيادةً ونقصا، فاختلط الصحيح بالسقيم والمُثْبَتُ بالمنسوخ، حتى أصحبت الرواياتُ الإسرائيلية محلَّ نظر، فجاء الخبرُ بعدم تكذيبها أو تصديقها.

### شرح الحديث

**قوله: «كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ»:**

المقصود هنا بأهل الكتاب هم اليهود، وكذا ينطبق الأمر على النصارى، لكنه هنا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥).

خَصَّ اليهود بالتحذير؛ لأنهم أُوتُوا علما، قَالَ ﷺ فيما رواه عنه نملة بن أبي نملة الأنصاري: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، لَقَدْ أُوتُوا عِلْمًا**»(١).

وافتخروا بما عندهم من كتاب سماوي لم يكن لغيرهم قبل أن ينزل القرآن.

**قوله: «وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ»**: يُتَرْجِمُونَهَا، أي يجعلون أنفسهم واسطة بينهم وبين أهل الإسلام في نقل ما جاء في التوراة، ويستغِلُّون أُمِّيَّة المسلمين بِلُغَتِهم قبل أن يتعلَّمها بعضُهم، أو يكشف حقيقتَها بعضُ من أسلم منهم.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ**»: النَّهْي عَن تَصْدِيق أهل الْكتاب فِيمَا لَا يُعرَف صدقه من كذبه، وهذا دليل على عدم حُجِّيَّة شهادتهم فيما ادَّعَوا، وسبب ذلك أنهم أوَّلُ ما كَذَبوا على كتابهم وعلى لسان رسلهم، وكثيرٌ من أخبارهم ممَّا يمكن أن يكون صدقًا أو كذبًا؛ فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم بدَّلوا الكتاب ليشتروا به ثمنًا قليلًا، ومَن كذَب على الله فهو أَوْلى بالكذب على سائر خلقه.

**قوله ﷺ: «وَلا تُكَذِّبُوهُمْ»**: وفي رواية: «**فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ**»(٢).

وفيه الأخذُ بالحَيطة والحذر من أخبارهم، والتوقف عمَّا أُشكل من أخبارهم؛ حتى لا يقع المسلمُ بالحرج في نقله أخبارٍ كاذبة مروِّجا للكذب، وربما للشرك والبدع وهو لا يدري ويظن أن ذلك من الدين، وهذا لا يعني عدم النقل عنهم البتة، فقد ذكر أَبو هُرَيْرَةَ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢٥٧)، وأخرجه دون قوله: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، لَقَدْ أُوتُوا عِلْمًا**» أحمد (١٧٢٢٥)، وأبو داود (٣٦٤٤) كما سيأتي بعده، والحديث أورده الألباني في الصحيحة (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥)، وأبو داود (٣٦٤٤)، وصححه ابن حبان (٦٢٥٧) وزاد: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، لَقَدْ أُوتُوا عِلْمًا**» وتقدم قبله، وانظر الصحيحة (٢٨٠٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»(١).

قَالَ الْخطابِيُّ: «هذا الحديث أصلٌ في وجوب التوقُّف عما يُشْكِل من الأمور والعلوم، فلا يُقضى عليه بجواز أو بطلان، ولا بتحليل ولا تحريم»(٢).

وهذا مَثَلُهُ مَثَل ما يُنقل اليوم عن منابرهم الإعلامية كالقنوات الفضائية، ووكالاتِهم الإخبارية ومواقعهم الإلكترونية التي عمت بها الدنيا، وتزاحمت أقمارُهم الصناعية في سمائها، فاستشرى الكذبُ والإشاعة في الناس، وتناقلوا ما بَثَّهُ يهود من غير رقيب ولا حسيب.

**وحتى يميز بين مرويات أهل الكتاب، فليعلم أنها على ثلاثة أقسام:**

١- ما عَلِمْنَا صحَّتَه بشهادة شرعنا له بالصدق، ولا نكون بحاجة إليه ما دام في شرعنا ما يُغني عنه.

٢- ما علمنا مخالفتَه لما في شرعنا وكذبَه.

٣- ما لم يَرِد في شرعنا ما يَرُدُّه أو يصدِّقه، ولم يكن من قبيل العقائد والأحكام، لكن من قبيل الحكايات والأخبار تجوز حكايتُه من باب عدم التكذيب أو التصديق.

**قوله** ﷺ: «**وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾**»: وهذه الآية بتمامها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أعلام الحديث (٣/ ١٨٠٣).

كتاب الله فيه الغُنْيَةُ والكفاية عما سواه من كتبٍ سماوية نُسخت به، وفيه ما شُرع لنا وما تَعَبَّدَنا الله به، وكلَّفنا بالعمل به، وفيه ما يُغني عن الرجوع إلى غيره من كتب، ومن الأحكام والأخبار ما كان وسيكون إلى آخر الزمان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهلَ الكتاب، وكتابُكم الذي أُنزل على نبيه ﷺ أحدثُ الأخبار بالله، تَقرءونه لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله وغيَّروا بأيديهم الكتابَ، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أُنزل عليكم»[(١)].

وجاء في الأثر عن النبي ﷺ النهيُ في قراءة كتب أهل الكتاب،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[(٢)].

## إسرائيليات معاصرة لا تُصَدَّقُ:

نتحدث هنا عن الروايات اليهودية المعاصرة الكاذبة، التي نشأت مع سبق الإصرار والعناية الفائقة في صياغتها؛ لكي تَنْطَلِيَ على البشرية، وهي سيل كبير من الروايات والمصطلحات التي صاغها فريقٌ من المزوِّرين الصهاينة، والذين يمكن أن نصفهم بجيش من البروفسورات والأكاديميين وخبراء اللغة وعلماء النفس والآثار، تحتضنهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه أحمد(١٥١٥٦)، والدارمي (٤٤٩)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

مراكزُ الدراسات التي تعمل على صياغة العقول وَفْقَ أهوائها وما يحقق مآربها الخبيثة، وأما يهود اليوم فقد مارسوا ألوانا من كتم الحقِّ وتزوير التاريخ، وشهد شاهد من أهلهم عليهم؛ فقد كتب أحد أبرز المؤرخين اليهود المعاصرين كتابا بعنوان: (متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟) للبروفسور (شلومو زاند)، أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب.

في كتابه أعلن وبكل وضوح وجرأة أن ما يَرمي إليه من تأليف كتابه هو تفنيد مزاعم اليهود بحقِّهم الديني والتاريخي في أرض فلسطين.

واجتهد في التدليل على كلامه بأنهم ليسوا شعبا منسجما، وليس لهم ماضٍ وتاريخٌ مشترك فضلا عن كونهم أصحابَ حقٍّ في فلسطين.

ويقول: إنه لا يوجد شعبٌ أو أمَّةٌ يهودية ذات هُوِية وطنية، مع إقراره بوجود ديانة يهودية، وقال: «إن قصة الشعب اليهودي، وتحويلِ اليهود من مجموعة لها هويةٌ ثقافية ودينية مشتركة إلى شعب مهزوم هو اختراعٌ حديث العهد نِسْبِيًّا، نشأ في القرن التاسعَ عشرَ بواسطة العلماء الصهاينة، وتمَّ دعمه من المؤسسة الأكاديمية في إسرائيل... مؤامرةٌ فكريَّة من نوع ما، فالأمر كلُّه خيال وأسطورة كانت ذريعةً لقيام دولة إسرائيل»، وهذا نوع من أكبر أنواع التزوير والكذب التاريخي الجَمْعي المترتب على صياغة جديدة لمفهوم العقيدة والتاريخ اليهودي، ومن هذه الإسرائيلياتِ المعاصرةِ، -والتي تحاول إعادة صياغة الأكاذيب الصهيونية بما يتلاءمُ مع الواقع الجديد والمعطيات التاريخية التي لا يمكن تجاوزها- ما يُطْلَقُ عليهم: (**حركةُ المؤرخين الإسرائيليين الجدد**).

وهي مجموعةٌ من المؤرخين والأكاديميين والكتَّابُ والمثقفين وعلماءُ الاجتماع الانتقاديين، الذين بدءوا نهايةَ السبعينيات في مراجعةِ الروايةِ الأكاديميةِ اليهوديةِ للصراع

«العربي – اليهودي الصهيوني»، وعلى وجه الخُصوص حرب ١٩٤٨م التي جرى صياغتها في السَّابق ضمن إطارٍ يهودي صهيوني يُعيد ترتيبَ الوقائع، بما يَخْدُمُ الوجود اليهودي على أرض فلسطين.

ويُذكر أنَّ بني موريس أنه من أبرز المؤرخين ومؤسس حركة «المؤرخون الجدد»، وهو أستاذُ التاريخ في «جامعة بن غوريون»، و«يوسي بيلين» و«إسرائيل شاحاك» و«إيلان بابيه» و«زئيف ستيل نهيل»، و«موشي سميش» و«سيمحا فلابان» و«بار يوسف» و«سامي سموحا» و«تامار كارتيال» و«جيرسون شافير» و«شلومو سويرسكي» و«توم سيجيف» و«يورين بن اليعازر» و«ايلا شوحات» و«آفي شلايم» وغيرهم.

عملت الحركةُ بتكليفٍ وغطاءٍ من حزب العمل وبرعاية «إسحق رابين» الذي كان يعمل على تهيئة الأوضاع لـ «شرق أوسط جديد»، ليَتَناغَم مع مفهوم «إسرائيل العظمى» عِوَضا عن «إسرائيل الكبرى».

ولِتَأْخُذ أعمالُ وأفكارُ (المؤرخون الجدد) مكانتَها في المجتمع الصهيوني أصدر وزيرُ التعليم في الكِيان اليهودي حينها «يوسي ساريد» تعليماتِه لإدخال نتاج المؤرخين في مناهج التعليم؛ لتدريسها للتلاميذ.

يرى المؤرخون الجددُ أنهم أكثر استشرافًا وإدراكا للمستقبل، وأكثرُ إخلاصًا وحرصا على كيان الدولة، وأن أبحاثهم تعمل على قَبُول رواية منطقية تتناغم مع الحقائق التاريخية ولا تتعارض معها، فعلى سبيل المثال لا يمكن قبول فكرة أن فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، وليست مهمتهم التساؤل أو التشكيك في شرعية وجود الكيان اليهودي على أرض فلسطين؛ لأن لسان حالهم يقول: إن ذلك حقٌّ لا مِرْيَة فيه.

عملُ هؤلاء يتلخَّص في محاولة إنقاذ الصهيونية وإحيائها وبعثها من جديد، وتحسين سمعتها المُلَطَّخة، وإنقاذها من بعض الآراء اليهودية أو الصهيونية السطحية أو المتطرِّفة أو الهَرْطَقات والأساطير والخرافات المرفوضة عقلًا، ومحاولة عَلْمَنَتها وإيجاد أُطروحاتٍ مخفَّفة تقبلها الجهاتُ اليهودية المتدينة، ومنها على سبيل المثال: إعادة النظر في الشروط الخاصة بتعريف مَنْ هو اليهودي؟.

إن البشرية بأسرها تعيش سَرْدِيَّةً جديدةً للروايات الصهيونية الجائرة، وبأسلوب ماكر مراوغ يحاول أن يمرِّر –الرواياتِ الإسرائيلية المعاصرة– على الجماهير، وهي الروايات التي لا يمكن أن تجد لها قَبُولًا ورواجًا إلا على المغفَّلين، ومع هذا وَجَدَتْ رواياتُ المستشرقون الجُدُدِ قبولًا عند بعض الأكاديميين من العرب وغيرهم، لا نريد أن نُغْرِقَ البحث بذكرهم وذكر آرائهم.

وقد بذلت الحركةُ الصهيونية جهودًا كبيرة، وذلك في سياق محاولاتها اختلاقَ علاقةٍ ما بين اليهود وبين أرض فلسطين؛ فعَمَدَتْ إلى تغيير أسماء المواقع والأماكن والبلدات، ثم حاولت ربطَها بالتوراة والتاريخ اليهودي، ومن أجل ذلك قاموا بعملية تزويرٍ وتغييرٍ واسعةٍ لمُجْمَل معالم فلسطين، ولا زالت أموال طائلة تُنفق بقصد تثبيت دعاوى تاريخية مفتعلة.

وذهب الكاتب اليهودي «آيموس إيلون» في كتاب له صدر بالإنجليزية عام ١٩٩٠م بعنوان «القدس مدينة المرايا» إلى أن القدس ليست مقدسةً عند اليهود، وليس لهم أَيَّةُ آثارٍ دينية، ولكن اليهود اتخذوا منها طُعْمًا للهجرة وجمع المال، بينما يتمسك بها الزعماء اليهود لمكانتها العالمية، وموقعها الاستراتيجي في قلب فلسطين، ولكي تكون هدفًا لمفاخرة قادة اليهود باحتلالها واتخاذها عاصمةً لهم.

وتهويدُ أسماء معالمِها في القلب من توجهات الصهيونيةِ غير اليهودية قبلَ ولادة الصهيونية السياسية، وسواءٌ من حيث المنهجيةُ أو الأفعالُ على الأرض يعود الفضل في التفكير والأداء الخاصِّ بتهويد أسماء المعالم الفلسطينية إلى «صندوق استكشاف فلسطين» الذي قام بعملية مسح للبلاد بين ١٨٧١- ١٨٧٧، وجمع أسماء المواقع القديمة والخرائب والقرى، وأعدَّ قوائم للأسماء تحوي أكثر من ١٠آلاف اسم نقلت بحروف إنجليزية.

يقول **هرتزل** وهو يحاول صياغة شكل دولته اليهودية وملامحها الدينية: «سوف أُلْمِحُ باختصارٍ شديد إلى حَجِّ المحمديين إلى مكة، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز، وإلى أماكن أخرى كثيرة يعود منها الناس وقد ملأ الإيمانُ قلوبهم بالغبطة وهكذا، فإننا سنخلق أيضا مركزًا للحاجات الدينية العميقة لشعبنا، وسيفهمنا حاخاماتُنا أولا، وسوف يكونون معنا في هذا السبيل، سوف ندعُ كلَّ إنسان يبحث عن خَلَاصِه هناك بطريقته الخاصة».

وبعد الإعلان عن تأسيس الدولة -وبشكل عاجل- تمَّ تشكيلُ لجنة خاصة عام ١٩٤٨ باسم «اللجنة الحكومية للأسماء» من شخصيات رسمية وأكاديمية (ضمَّت متخصصين في الموضوعات التاريخية والدينية والجغرافية) فضلًا عن مسؤولين في ميادين التخطيطِ والتنظيمِ، وكان بعضُ أعضائها مستشرقين أو مهتمين بالشؤون العربية.

كانت مهمةُ اللجنة دراسةَ أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، ووضْعَ بدائلَ للأسماء العربية، وأخذت اللجنةُ -التي لا تزال مهمَّتُها قائمةً حتى الآن بصرف النظر عن تبديل الأشخاص- تُنَظِّمُ قوائمَ بين حين وآخر تُصْدِرُها في «نشرة الوقائع الإسرائيلية» باللغتين العبرية والعربية، منها مثلاً: مجالسُ السلطاتِ المحلية القرى والمستوطنات المواقعُ التاريخيةُ والخِرَب المناطقُ الطبيعيةُ المعالمُ الجغرافيةُ الخاصَّة الأنهارُ العيونُ

والآبار السهول الجبال والتلال المغارات الطرق المناطق المحتلة حديثاً... إلخ.

ظلت «اللجنةُ الحكومية للأسماء» تستقي توجهاتِها من الاستراتيجية العليا للكيان الصهيوني، وتسخِّرها في المجال الثقافي الاجتماعي السياسي الخاصِّ بالتسمية، ومن خلال عملها التهويدي لا تزال هذه اللجنةُ تؤدي مهمَّتَها العدوانيةَ إزاءَ الشخصية العربية الفلسطينية وهوية البلاد، سواء من خلال جهودها الذاتية، أو عبر مُحَصِّلَةِ تعاونها مع مختلف الجهات والهيئات المحلية والدولية التي تُعْنَى بشؤون الجغرافيا والتاريخ والآثار والتراث، وغير ذلك من الميادين التي تُستخدم فيها تسمياتُ المعالم الفلسطينية.

حرصت الآلةُ الإعلاميةُ الصهيونية وبشكل مبكِّر جدًّا على صياغة مصطلحات تخدُم سردية المشروع الصهيوني، وتَدْعَمُ فكرتَه الاحتلالية لأرض فلسطين، وسَعَتْ بكل جُهد إلى فرض هذه المصطلحات إعلاميًّا وقانونيًّا؛ في محاولة لإذابةِ هوية وحضارة وتاريخ الشعب الفلسطيني.

ولا شكَّ أن هذه المصطلحات الصهيونية المسمومة اخترقت وانسلَّت إلى قاموسنا اللغوي العربي الأصيل، عبر وسائل وآليات مختلفة، حتى سرت فينا مصطلحاتُهم واخترقت وِجْداننا، واستطاعوا بذلك تَغْييب كثير من المفاهيم والحقوق الإسلامية والعربية والتاريخية.

وفعلا في عام ١٩٤٩م استحدث الصهاينة ٤٩ موقعا مقدَّسًا وفق ما دوَّنه الانتداب البريطاني العميل زورًا وبهتانًا، ليصل إلى ٣٢٦ موقعا في عام ٢٠٠٠م، وازداد العدد الآن ليصل إلى أكثر من ٣٥٠ موقعا تقريبًا، وهكذا تزداد المواقع المقدسة يوما بعد يوم.

وقد أعد الباحث الجغرافي الفلسطيني د. شكري عرَّاف (المقيم في فلسطين المحتلة) دراسةً يَظْهَرُ عليها الجُهْدُ الكبير والرصد الدقيق لعدد كبير جدًّا من المواقع الجغرافية

والقرى والمدن، والتي تم الاعتماد على أسمائها التاريخية التي تُثبت عروبةَ فلسطين وإسلاميتها، بعنوان «المواقع الفلسطينية بين عهدين خريطتين»[١]، وفيها أحصى المؤلف قرابة ٢٧٨٠ موقعًا تم تغيير وتزوير أسمائها، هي: ٣٤٠قرية ومدينة ١٠٠٠ خَربة ٣٨٠ عين ماء ٥٦٠ واديًا ونهرًا ١٤ بركة وبحيرة ٥٠ مغارة ٢٨ قلعة وحصنًا وقصرًا ١٩٨ جبلًا ٢١٠ تلال، ويُعَدُّ هذا المرجع على حد علمنا الأشملَ بين كل ما كتب إحصائيًا وعينيًا عن تهويد أسماء المعالم الفلسطينية، الباحث الجغرافي.

## من فوائد الحديث

١- عَدَمِ التَّصْدِيق وَعدم التَّكْذِيب يَقْتَضِي تركَ الرجوع لليهود لسؤالهم.

٢- الحديث يدل على عِظَمِ المراوغة عند اليهود لدرجة أنه من الصعوبة بمكانٍ تمييزُ كذبهم من صدقهم، وأن كلاهما مردودٌ يجب الحذر منه؛ لأنه سيقع بين تحريفٍ وكِتْمان.

٣- ويؤخذ من الحديث التوقُّفُ عن الخوض في المشكلات وما أُبْهِم من الأمور التي لم يتضح صدقُها من كذبها، وهكذا كان السلف.

٤- قوله ﷺ: «**وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**» فيه إشارةٌ لمَظِنَّةِ صدقهم في بعض ما يَنْقُلُونَه من كتابهم ولم يُصِبْهُ تحريفُهم.

٥- يُفهم من الحديث أنه يجب علينا ألَّا ننشغل بصحة قولهم أو كذبه، ففي كتاب ربنا وسنة نبينا الغُنْيَةُ عن أخبارهم.

٦- تصديقُنا لهم مشاركةٌ لهم في تحريف ما حرَّفوه، وتكذيبُنا لهم قد يتضمن تكذيبًا بما قد يكون صحيحًا، فنكون منكِرين لما أُمرنا أن نُؤمن به.

---

(١) أصدره عن دار الشفق، في كفر قرع، عام ١٩٩٢م.

٧- ويُفهم من الحديث عدمُ الطعن المطلق بكُتب أهل الكتاب من توراة وإنجيل؛ لأنه ربما يكون فيما ما لم يصبه تحريفهم، لأن الإيمانَ بأصلها ركن من أركان الإسلام.

٨- الحديثُ وضعَ للمسلمين المعاييرَ التي ينبغي لهم أن يتعاملوا فيها مع كتب وأخبار أهل الكتاب بالعدل، ليحافظوا على متانَةِ منهجهم وأصالةِ هويتهم.

٩- حِرْصُ النبيِّ ﷺ على الحفاظ على اتِّزان ورَصَانة شخصية المرء المسلم؛ بحيث ألا يكون سمَّاعًا لكل شيء، ومنبرًا لكل غَثٍّ وسمين.

١٠- وأخيرا فلْيُعْلَمْ أنَّ التوراة كتابَ الله الذي خَطَّه بيده المنزَّلَ على نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ المنسوخَ حُكْما لا يجوزُ الأخذُ به حتى لو صح جميعُ ما فيه.

١١- اليهودُ وتوراةُ اليوم وما صدر عنهم من إخبار عن تاريخٍ غابرٍ وما كتبوه اليومَ، ليست محلًّا للصِّدق.

١٢- أمةٌ دَرَجَتْ واحترفت الكذبَ والخديعة والتزوير والتضليل وبشكل جَمْعي مع سبق الإصرار والترصُّد لا يمكن الوثوقُ برواتها ولا بمروياتهم أبدا.



# الحديث الرابع عشر

## تواطؤ اليهود عَلى الكَذِبِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودَ**، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟** فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ: **مَنْ أَبُوكُمْ؟** قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: **كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: **فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟** فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: **مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟** قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ: **اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**، ثُمَّ قَالَ: **هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟** فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: **هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟** قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»[1].

### مقدمة

كيف نأمن اليهودَ والكذبُ يسري في عروقهم لم ينفك عنهم مَهْما عقَدوا الأيمانَ والعهود والمواثيق عليه، بين أيدينا مشهدٌ من مشاهد كذبهم على رسول الله ﷺ، ومع أن أمرهم افتضح إلا أنهم يُصِرُّون على الكذب دُونَما أدنى حياءٍ أو كرامةٍ!

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩).

## شرح الحديث

**قوله: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ»:**

كان فتح خيبر عام (٧) للهجرة، وبَلَغَ عَدَدُ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وعَدَدُ قتلَى اليَهُودِ ثَلَاثَةً وَتِسْعِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ كَابْنَيْ أَبِي الحُقَيْقِ، وَمَرْحَبٍ.

سنتطرق بتوسع في تفاصيل حادثة سَمِّ النبي ﷺ في الحديث الثامن عشر.

**قوله: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودَ، فَجُمِعُوا لَهُ»:**

إليَّ: أَيْ: لِأَجْلِي.

**قوله: «فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ:**

قال: قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ أَبُوكُمْ؟» أَيْ جَدُّكُمْ.

**قوله: «قَالُوا: فُلَانٌ. فَقَالَ: كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ، قَالُوا: صَدَقْتَ»:**

وقد كان جوابهم بِطَرِيقِ الْكَذِبِ عَلَى وَجْهِ الِامْتِحَانِ

قال الحافظ: والمبهَم في الجواب هو إسرائيلُ: يعقوبُ بن إسحاق بن إبراهيم الخليلِ عليهم الصلاة والسلام[١].

**قوله: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا».**

الكذب سِمَةٌ وسجية غير منفكَّة فيهم، حتى إن كتابَهم فضحهم وأقرَّ ما هم فيه من كذبٍ ملازمٍ لهم «أمَّا أنتم أولادُ المعصية نسلُ الكذب»[٢]، وجاء أيضا: «شِفَاهُكم تكلمت

---

(١) فتح الباري (١/ ٣٢٩).

(٢) إشعياء (٤/ ٥٧).

بالكذب ولسانكم يَلْهَجُ بالشرِّ»[١].

**قوله: «فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا»:**

وَهَذَا عَلَى زَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ.

أَي: فِي النَّار، وأصل (تخلفونا): تخلفوننا، فإسقاطُ النُّون من غير جازم وَلَا ناصب لُغَةٌ، وَهُوَ من خَلَفَ يَخْلُفُ إِذا قَامَ مقَام غَيره، وَالْخَلَفُ بتحريك اللاَّم وسكونها كلُّ من يَجِيء بعد غيره.

(تَخْلُفُونَا فِيهَا): أَيْ تَدْخُلُونَ فَتُقِيمُونَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ.

والمعنى: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِيَهُودَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ مَنْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، قَالُوا: إِنَّ اللهَ غَضِبَ عَلَيْنَا غَضْبَةً فَنَمْكُثُ فِي النَّارِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ نَخْرُجُ فَتَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ كَذَبْتُمْ وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، قال ذلك أعداءُ الله اليهود، قالوا: لن يُدْخِلَنا اللهُ النارَ إلا تَحِلَّةَ القسَمِ الأيامَ التي أصبْنا فيه العجلَ أربعين يوما، فإذا انْقَضَّت عنا تلك الأيام انقطع عن العذاب والقسَمِ[٢].

**قوله: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»:**

**«اخْسَئُوا»**: زجر لَهُم بالطرد والإبعاد، أَو دعاءٌ عَلَيْهِم بذلك، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وَهُوَ فِي الْأَصْل زَجْرٌ الْكَلْبِ، فَالْمَعْنَى اسْكُتُوا فِي سُكُوتِ هَوَانٍ، فَإِنَّكُمْ كَاذِبُونَ فِي أَخْبَارِكُمْ.

---

(١) إشعياء (٥٩: ٢-٧).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٢/ ١٧١) من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]، أي قالوا: نحن أبناءُ الله وأحباؤه(١).

مستوى الاستعلاءِ اليهودي ونُكْران الآخَر والحَطِّ منه لم يوجد مثلُها في أيِّ جماعةٍ دينية عبرَ التاريخ، وكأن عقيدةَ اليهود تقوم على تقزيم الآخر، يقول الدكتور أحمد الزغيبي: «تَتَّسِمُ بسمات تخالف بها جميع العنصريات عند الأمم، كتزييف التاريخ ومصادرة الفكر -بدعوى اللاسامية- واستغلال الدين»(٢).

**قوله: «ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسم»:**

«صادقيَّ»: بتَشْديد الْيَاء لِأَن أَصله: صَادِقُونَ، فَلَمَّا أُضيف إِلَى يَاء الْمُتَكَلِّم وَسَقَطت النُّون وقُلبت الْوَاو يَاءً أُدغمت الْيَاءُ فِي الْيَاء.

والمعنى: كُفُّوا عن هذه الدعوى الكاذبة الباطلة، فأنتم أَوْلى بالذل والهوان.

**قال: «قَالَ النبي ﷺ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ».**

أي: أَرَدْنَا الِامْتِحَانَ، فَإِمَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّكَ كَاذِبٌ فَنَسْتَرِيحَ مِنْكَ، وَإِمَّا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّكَ نَبِيٌّ فَنَتَّبِعَكَ، وَفِيهِ: أَنَّهُ تَبَيَّنَ مِنْ فَحْوَاهُمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ، فَثَبَتَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ بِظُهُورِ الْمُعْجِزَةِ السَّابِغَةِ.

وفي رواية الواقدي: «أنه ﷺ قَالَ لَهَا: **مَا حملكِ على هَذَا؟** قَالَت: قتلتَ أبي وَعمي وَزَوْجي وَأخي»(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٢٩٧) من قول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي (٤/ ٤٥).

(٣) فتح الباري (٧/ ٤٩٧).

## كيف نشأت عقيدة الاستعلاء عند اليهود:

ترسَّخ في وِجْدان العنصر اليهودي مفاهيمُ مستقاةٌ من التوراة والتلمود وفتاوى الحاخامات المتطرِّفة، التي تعمل على الرفع من شأنهم وتقديس ذاتهم واحتقار غيرهم من خلال مفاهيمَ تراكميةٍ اتَّخَذَتِ الصِّبْغةَ العقائدية الحُلُولِيَّةَ، مثل: «الشعب المختار» أو «شعب الإرث» أو «الشعب الكنز» أو «الشعب المقدَّس» أو «أمة الروح» وغيرها الكثير من مفردات الاعتزاز بالذات، ومصدرُ ذلك منه ما جاء في سفر التثنية[١]: «لأنك شعب مقدَّس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض».

والفكرةُ نفسُها تتواتر في سفر اللاويِّين[٢]: «أنا الرب إلهكم الذي ميَّزكم من الشعوب... وتكونون لي قدِّيسين لأني قُدُّوسٌ أنا الربُّ، وقد ميَّزتكم من الشعوب لتكونوا لي».

ترسخت هذه القداسة لما انفصل الشعب اليهودي عن باقي الشعوب، وحلَّت فيه الذات الإلهية، وأصبح جزءا عضويًا من الإله، كالولد جزء من أبيه، وهو السبب في تفوُّقِهم وتميُّزِهم عن غيرهم، وحيث كانوا في نظر أنفسهم شعبًا مقدسًا تتحوَّلُ كل أفعالهم وبما فيها جرائمُهم مقدسةً وصادرةً عن الله، بل هي إرادة الله، تعالى الله عما يقولون.

يؤكد الحاخام (كوك) وهو الأب الروحي والفكري لجماعة (جوش إيمونيم) هذه المفاهيم: أن روح الإله وروح يسرائيل شيء واحد، أي أن الشعب في قداسة الرب، فإن (فلاديمير جابوتنسكي) يشير إلى الشعب اليهودي بوصفه ربه، ويشير (موشيه ديان) إلى الأرض باعتبارها ربه، وصياغة كوك الدينية، وصياغة جابوتنسكي وديان الإلحادية، متشابهتان تمامًا في بِنْيَتِهما، فكلتاهما تنتهيان إلى شعب مقدَّس له حقوق مطلقة في أرضه

---

(١) سفر التثنية (٢/ / ١٤).

(٢) سفر اللاويِّين (٢٤: ٢٠، ٢٦).

المقدَّسة، فهو شعب حلَّ الإله فيه وفي أرضه [١].

وقد قال (نوفاليس): إنه لا يوجد فرقٌ كبيرٌ بين أن أقول «أنا جزء من الإله» أو «الإله جزء مني»، ولا فرق بين أن أقول: «إن الله هو العالمُ أو أن العالمُ هو الله». ويمكننا القول بأنه لا يوجد فرق كبير بين أن يقول الصهيونيُّ المتدينُ: الإلهُ هو الشعب وأن يقول الصهيوني: الشعبُ هو الإله؛ فالمسافة بين الكل والجزء تختفي فيصبح الكل هو الجزء، ويصبح الشعب هو الإله.

## من فوائد الحديث

١- من شدة عنادهم وتعنُّتِهم أنهم لم يُسْلِموا لمَّا رَأَوا أن السُّمَّ لم يَضُرَّ رسول الله ﷺ، وأن الله أخبره بما في الشاة من سمٍّ.

٢- تيقُّنُ اليهود بعد المحاولة الفاشلة لقتله أنه نبيٌّ ﷺ، في قولهم: «وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»، ومع هذا لم يُعرَف أحدٌ منهم أنه أسلم بعد ما تبيَّن لهم وِفْقَ استنتاجهم أنه نبيٌّ.

٣- الحديث دليل على صحة نبوة محمد ﷺ.

٤- من دلائل نبوة النبي ﷺ أن الجماد يتكلم معه، فقال: «**إِنَّ هَذَا العَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ**»[٢].

٥- مَرَّ معنا في حديث سابق قولُ عبد الله بن سلَام: «اليهود قوم بُهْتٌ»، وهذا الحديث مشهد آخر من مشاهد بَهْتِ اليهود وعنادهم للحق.

٦- كان من أسباب عفو النبي ﷺ عن المرأة التي وضعت له السمَّ في الشاة، أملا بإسلامها؛ لأنها قالت: «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ».

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية، للمسيري. (٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٨).

# الحديث الخامس عشر

## الرسول ﷺ يأمر بتعلُّم لغةِ يهودَ حتى يُؤْمَنَ مكرُهم

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: **إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ**، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»[1].

### مقدمة

من فطنة الرسول ﷺ وحسن سياسته أن أمر بتعلم لغة اليهود في السنوات الأولى من دخوله المدينة؛ ليحسن مخاطبة إحدى أهم الطوائف التي تساكنه البقعة الجغرافية التي يعيش فيها.

### شرح الحديث

**قوله: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ»:**

تكليفٌ نبوي لزيد بن ثابت بمهمة التُّرْجُمَانِ المؤتَمَن، وفي لغة العصر «المترجِم المُحَلَّف» وقد اختاره النبيُّ ﷺ؛ لأنه من الراسخين في العلم، وكاتبُ الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان الأمر له في السنة الرابعة للهجرة، روى خارجةُ عن أبيه، قال: «قَدِمَ النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ المدينة، وأنا ابنُ إحدى عشرة سنة»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٦١٨)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) وُلد الصحابي الجليل زيد بن ثابت في السنة الثانية عشرة قبل الهجرة، وهو ما يوافق سنة ٦١١ ميلاديًّا.

ولما أمره الرسول كان ذلك حين مَقْدَمِه إلى المدينة، وقد عُرِضَ عليه زيدٌ وقيل له: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبعَ عشرةَ سورةً من القرآن، فقرأتُ عليه، فأعجبه ذلك، فقال: تَعَلَّمْ كتابَ يهود (١).

لقد عمل النبيُّ ﷺ على اكتشاف المواهب وتطويرِها، وإتاحةِ الفرصة لها لتتدرَّب ولتقدِّم نِتاجًا يخدُمُ الإسلام والمسلمين.

**قوله: «إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ»:**

تعليلٌ على وجه الاستئناف، ومرادُه الخوف منهم في زيادة أو نقصان أو تحريف، وهذا دليلٌ على أن اليهود أنفسَهم هم مَن كانوا يترجمون للنبي ﷺ ما في كتبهم، وأنه ﷺ كان يستعين بهم في هذه المهمة؛ لعدم توفُّر أحد من المسلمين يُحْسِنُ لغتهم.

**قوله: «فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ»:**

أي: ما مضى علي من الزمان الكثير سوى نصف شهر فقط.

وهذا دليل على حكمة النبيِّ ﷺ وفِرَاسته في أصحابه؛ لأنه وَضَعَ الرجل المناسب في المكان المناسب، فكان زيد عند حسن ظن النبي ﷺ به؛ فقد تعلَّم اللغة السريانية قراءةً وكتابةً في فترة وجيزة يَعْجِزُ عن إتقانها بهذه السرعة عباقرةُ هذا الزمان؛ وهذا ليس غريبًا عليه، فقد حفظ القرآن كاملًا في زمن النبي ﷺ.

لكن لا يفوتنا أن نذكر أن العبرانية من اللغات السامية وهي متقاربةٌ جدًّا من اللغة العربية، بل هي من لهجات اللغة العربية.

فقد أمَّنه النبي ﷺ على كتابة الوحي، ومن بعده كلَّفه الخليفة أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجمع القرآن، فكيف لمثله ألا يُؤْمَنَ على ترجمة ما بين النبي ﷺ ويهودَ.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ١٨٦).

**قوله: «فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»:**

قال صاحب (عون المعبود) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أمرني رسول الله ﷺ) أي: بتعلم كتاب يهود (فتعلمت له) أي: لرسول الله ﷺ، (وقال) أي: النبيُّ ﷺ هو عطف على أمرني؛ لبيان علة الأمر، (ما آمن يهودَ على كتابي) أي: أخاف إن أمرتُ يهوديًّا بأن يكتب كتابًا إلى اليهود، أو يقرأ كتابًا جاء من اليهود أن يزيد فيه، أو ينقص (فتعلَّمْتُه) أي: كتاب يهود (حتى حذقتُه) -بذال معجمة وقاف- أي: عرفته وأتقنته وعلمته (فكنتُ أكتب له) أي: للنبي ﷺ (إِذَا كَتَبَ)[1] أي: إذا أراد الكتابة»[2].

وهذا دليلٌ على أن أمرَ النبي ﷺ في التعلم شمَل القراءةَ والكتابةَ، وبهذا يكون قد حقَّق الاكتفاءَ الذاتي في الاعتماد على أفراد مؤسسته بعيدًا عن الاعتماد على الآخرين، خاصَّة على من عُرِفوا بفَنِّ التزوير والتحريف وإتقان الكذب بمهارة.

وفي (الأحكام الصغرى): ذَكَر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن زيد بن ثابت قال: «قال رسول الله ﷺ: **إنَّه تأتيني كتبٌ من أناس لا أُحِبُّ أن يقرأها كلُّ أحد، فهل تستطيع أن تَعَلَّمَ كتابَ السريانية؟** قال: قلتُ: نعم، قال: فتعلَّمْتُها في سبعَ عشرةَ»[3].

وقال الطحاوي في (المعتصر): «رُوي عن زيد بن ثابت أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتُحْسِنُ السريانية؟ أنه يأتيني كتبٌ**، قال: قلتُ: لا، قال: **فتعلَّمْهَا**، قال: فتعلَّمْتُها في سبعة عشر يومًا»، وفي رواية: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلَّم كتابَ يهودَ، فما مرَّ بي نصفُ شهر حتى تعلَّمتُ، وقال ﷺ: **والله إني ما آمَنُ يهود على كتابة**، فلما تعلَّمْتُ كنتُ أكتب إلى يهودَ إذا كَتَبَ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابتَهم»، إنما أمره بتعلم السُّرْيانِيَّة لعدم أَمْنِهِ ﷺ من تحريفهم وخيانتهم، وليكون كتابُه إذا وَرَدَ على اليهود بقراءة عامتهم فَيَأْمَنُ من كتمان

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٦١٨).

(٢) عون المعبود (١٠/ ٥٦).

(٣) الأحكام الصغرى (١/ ٩٧).

ما فيه وتحريفه، لا سِيَّما إن كان الذي يقرؤه لهم من عبَدة الأوثان، الذين في قلوبهم للنبي ﷺ ما لا خفاءَ به ولأهل الكتاب في قلوبهم ما فيها»[١].

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: «كان زيد بن ثابت يتعلم مدراس باسله فتعلم كتابهم في خمس عشرة ليلة، حتى كان يَعْلَمُ ما حرَّفُوا وبدَّلُوا»[٢].

## تعلم لغة العدو أمنٌ قومي:

لما أمر الرسولُ ﷺ زيدًا بتعلم لغة يهودَ كان ذلك في بداية مَقْدَمه إلى المدينة، وعلمِه المسبقِ بوجود كِياناتٍ يهوديةٍ منظَّمةٍ متمكنةٍ، ضاربة جذورها في المنطقة، ومسيطرةٍ بما عندها من نفوذٍ اقتصادي واعتباري بين القبائل.

والاعتمادُ عليهم من خلال اطِّلَاعهم على مكاتبات النبي ﷺ ومراسلاته الصادرة والواردة إليه يُشَكِّلُ اختراقًا أمنيًّا خطيرًا لقلب خصوصيات الدولة المسلمة؛ فعَمِلَ ومن اللحظات الأولى لبناءِ كوادرَ شابَّةٍ من أبناء الدولة المسلمة؛ ليُظهر لنا بجَلاء الحِسَّ الأمني النبويِّ لحماية مشروعه من الاختراقِ اليهودي وغيرهم.

فكان هذا الحذَر الشديد واضحًا في العديد من المرويات عنه ﷺ، قال: «**إِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَلَّمَ كِتَابَ السُّرْيَانِيَّةِ؟**»[٣].

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن زيدًا تعلم الفارسيةَ من رسول كسرى في ثمانية عشر يومًا[٤].

---

(١) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ٣٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٨٧)، وابن أبي شيبة في المسند (١٣٨)، والبيهقي في الكبرى (١٢١٩٤).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٧٠).

## الرسول ﷺ يأمر زيدا بتعلُّم السُّرْيانية:

وفي رواية عن الأَعْمَش، عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ»(١).

وفي رواية عَنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟** قُلْتُ: لَا، قَالَ: **فَتَعَلَّمْهَا؛ فَإِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ**» قَالَ: فتعلمتها في سبعة عشر يومًا(٢).

وفي رواية عنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي أَكْتُبُ إِلَى قَوْمٍ فَأَخَافُ أَنْ يَزِيدُوا عَلَيَّ أَوْ يَنْقُصُوا؛ فَتَعَلَّمِ السُّرْيَانِيَّةَ**»(٣).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَلَّمَ كِتَابَ السُّرْيَانِيَّةِ؟** قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ»، فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَ عَشْرَةَ(٤).

## ما الفرق بين اللغة العِبْرَانية والسُّريانية:

### اللغة السُّريانيَّة:

عن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «من الْأَنْبِيَاء خَمْسَةٌ مَنْ تكلم بِالْعَرَبِيَّةِ مُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ، وإسماعيل بن إبراهيم، وَشُعَيْب، وَصَالح، وَهود، وسائرُهم بالسُّرْيَانيَّة مَا خلا مُوسَى

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٨٧)، والترمذي (٢٧١٥)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٤٦٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٨٧)، وابن حبان (٧١٣٦)، وصححه هو والحاكم (٥٧٨١)، والألباني في التعليقات الحسان (٧٠٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٨٧)، والترمذي (٢٧١٥)، وتقدم، واللفظ هنا لعبد بن حميد في المنتخب من مسنده (٢٤٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند (١٣٨)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٥٥)، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/ ٢١٩).

فَإِنَّهُ تكلم بالعِبْرَانية، والعبرانيةُ هِيَ من السريانية، تكلَّمَ بهَا إبراهيمُ ثمَّ إِسْحَاق ثمَّ يَعْقُوب، فورثه وَلَدُه مِنْ بعدِه بَنو إسرائيل فَهِيَ لغتهم، وَبهَا قَرَأَ مُوسَى التَّوْرَاة عَلَيْهِم»[١].

وقال الأزدي: «العِبْرَانية: لُغَة معدولة عَن السُّرْيانية»[٢].

السُّريانية لغة الإنجيل، والعِبرانية لغة التوراة، والسُّريانية: إحدى اللغات السامية القديمة المحلية في بلاد ما بين النَّهْرَين الشمالية، وهي من ضِمن مجموعةِ اللغة الآرامية، وتُشَكِّل اللهجةَ الخاصَّةَ بمدينة الرُّهَا، وقد أصبحت اللغةَ التقليديةَ لنصارى سورية، وفي القرن السابع الميلادي / الأول الهجري انتشرت اللغةُ العربيةُ إثرَ الفتح الإسلامي، وحلت مكانَ السُّرْيانيةِ في اللغة المحليةِ، وأصبحت السُّريانيةُ لغةَ عبادةٍ لكلٍّ من اليعاقبة والنساطرة»[٣].

## اللُّغة العبرية:

أما اللغة العِبرية فهي تنقسم إلى اللغة العِبرية القديمةِ وهي لغةُ ما قبل السَّبْيِ، واللغة العبرية المُهَجَّنة وهي ما بعد السَّبْيِ البابِلِيّ.

وهي: لغةٌ سامية من مجموعةِ اللغات الشمالية الغربية من الفرع الكنعاني، تنتمي إلى مجموعة اللغات الأفريقية الآسيوية.

واللغةُ العبرية الحديثة منبثقة من اللغة العبرية الكلاسيكية التي لم تَعُدْ مستخدمةً كلغة حديث أو كلغة تعاملاتٍ رسمية، إنما تستخدم كلغة دينية يستعملها المتدينون اليهود في تعاملاتهم الدينية، وهي بدورها (اللغة العبرية الكلاسيكية) نشأت من محاولة إحياء للُّغة العبرية القديمة التي ماتت في القرن الخامس قبل الميلاد.

واللغةُ العبرية القديمة هي العبرية التي كتب فيها العهد القديم، وتشبه إلى حد كبير

---

(١) أخبار مكة، للفاكهي (٢٠).
(٢) جمهرة اللغة، للأزدي (١/ ٣١٩).
(٣) انظر: معجم الحضارات السامية (ص٤٧٥).

لغات قديمة أخرى، مثل اللغة الفينيقية والعمونية والمؤابية؛ ولهذا يعتبر علماءُ اللغات كل هذه اللغات الأخيرة لهجات للُّغة الكنعانية.

**مرحلة العبرية القديمة الخالصة**: بدأت هذه المرحلةُ في القرن العاشر قبلَ الميلاد تقريبًا، كانت اللغة العبرية هي اللغةَ الشائعةَ في المناطق الجبلية في فلسطين، وكانت عبريةُ هذا العصر تتسم بالنقاء والبعد عن أي تأثيرات أجنبية، ودُوِّنَ بها معظم أسفار العهد القديم والأعمال الأدبية الأخرى، وعددٌ من النقوش الأثرية على الصخور والأحجار والعملات.

**مرحلة تدهور اللغة العبرية**: تبدأ هذه المرحلةُ في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث بدأت اللغة العبرية تنقرض رويدًا رويدًا، وأخذت اللغةُ الآرامية تحل محلَّها شيئًا فشيئًا حتى ماتت اللغة العبرية كلغةِ تخاطبٍ وأدبٍ، وظلت تستعمل كلغة دينية فقط.

**مرحلة العبرية التلمودية**: بعد أن أصبحت الآرامية هي اللغةَ الرسميةَ في البلاد، وجَّه الزعماء الدينيون جهودَهم نحو شرح وتفسيرِ العهد القديم باللغةِ الآرامية؛ لكي يَفْهم اليهودُ أصولَ وطقوسَ الدين اليهودي، فكتبوا المشناه والجمارا ثم التلمود، وكانت لغةُ هذه الكتب مختلفةً تمامًا في روحها وألفاظها وتراكيبها عن عِبرية العهد القديم، فظهر فيها التأثُّر الشديد باللغة الآرامية، كما احتوت أيضًا على بعض الألفاظِ من اللغات الأخرى.

**اللغة العبرية الحديثة**: مع بداياتِ انْسِلَال العصابات الصهيونية لفلسطين، يحاول العبرانيون وبكلِّ قوَّة تسهيلَ اللغة العبرية وتصديرَها للجمهور؛ لتكون اللغةَ الأمَّ للجمهور اليهودي، فضلًا عن كونها اللغة الرسمية للكيان الصهيوني، وبعد محاولات حثيثة قاموا بها من تعديل وتطوير نجحوا في إخراج ما يعرف اليوم بـ(اللغة العبرية الحديثة).

وفي القدس تأسَّسَ المَجْمَع اللغوي العبري عام ١٨٨٩م بواسطة مجموعةٍ من المثقفين،

على رأسهم المفكر الصهيوني (إليعيزر بن يهودا)، وقد حاول إحياءَ اللغة العبرية لتكون لغةَ الشارع، لكن قوبلت محاولاته برفض شديد من قبل اليهود المتدينين، الذين كانوا يَرَوْن أن العبريةَ لغةٌ مقدسة يجب ألا تنتقص وتمتهن باستخدامها في غير أمور الدين.

استطاع مجمع اللغة العبرية صياغةَ المصطلحات العبرية الحديثة، والتي تختلف في جملتها عن لغة التوراة التي يصعب على عامة اليهودِ المعاصرين فهمَ معانيها الذين اعتادوا على (العبرية العامية)، وهي في الأغلب خليطٌ من الآرامية، واليديشية، والإنجليزية، بالإضافة إلى لغاتٍ أخرى كالألمانية والروسية والفرنسية وكلماتٍ يعود أصلها إلى اللغة العربية، واللغة العامية لا تختلف كثيرًا عن العبرية الرسمية.

وتتكون اللغةُ العبريةُ من ٢٢ حرفًا صامتًا مرتبةً على شكل (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت)، اشتقت قديمًا من الخط الآرامي، وتُسَمَّى الكتابة بها بالخط المربع.

**سبب تسميتها باللغة «العبرية»:**

١- أجمع غالب المؤرخين على أن التسميةَ ناتجةٌ عن عبور إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهرَ الفرات، ويؤكد هذا الرأيَ ما جاء في سفر يوشع: «وهكذا قال الربُّ إلهُ إسرائيل: في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر»، نسبةً إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نفسِه، فقد ذكر في سفر التكوين باسم: «إبراهيم العبراني»، لأنه عبر نهر الفراتَ وأنهارًا أخرى.

لكن هناك رأيًا مغايرًا ينقل عن الأستاذ شراب: «لفظ العبري أُطلق تاريخيًّا على شراذمَ من الغَجَر الرُّحَّل كانوا يَعِيثُون في الأرض فسادًا، ويتبعون الجيوش الغازية، بوصفهم مرتزقةً يُستعان بهم في الأعمال الدَّنِيَّة، ووصفُهم إبراهيمَ بأنه عبري غير صحيح، إلا إذا أخذنا من لفظ عِبري معنى: التِّرْحال والتنقُّل، وقد ألصق اليهود بإبراهيم وصف «العبري»

ليصلوا إلي وصف لغتهم بأنَّها «عبرية» قديمةٌ ترجع إلى زمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا كلام باطل؛ لأن اللغة العبرية جاءت متأخِّرةً جدًّا عن زمن إبراهيم، وهي لهجة آرامية عربيةٌ، ظهرت بعد عصرِ موسى بحوالَي ستِمائةِ سنةٍ، ولأن التوراةَ نزلت باللغة الهيروغليفية، حيث تُخاطب قومًا في مصر أو أُخرِجوا من مصر»[١].

٢- وقيل: إنهم سُموا بالعبرانيين نسبة إلى «عِبْر»، وهو الجد الخامس لإبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٣- والرأيُ الثالثُ يقول: إن سببَ التسمية يرجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل؛ ذلك أنهم في الأصل كانوا من الأممِ البدويةِ الصحراويةِ التي لا تستقرُّ في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحثِ عن الماءِ والمرعى.

ويرى عبد الوهاب المسيري في موسوعتِه «اليهود واليهودية والصهيونية»: أنَّ كلمةَ «عبري» تَرِدُ أحيانًا مرادفةً لكلمةِ «يهودي» على نحو ما جاء في سفر إرميا[٢]: «أن يُطلِق كلُّ واحد عبدَه وكل واحد أمتَه العبراني والعبرانية، حُرين حتى لا يستعبدَهما أحدٌ»، كما كانت الكلمة مرادفة لكلمة «يسرائيلي»[٣]: «هكذا يقول الرب إله العبرانيين... ويميز الرب بين مواشي يسرائيل ومواشي المصريين»، وفي صمويل الأول[٤]، يقول أحد الفلستيين: «تشدَّدوا.. وكونوا رجالًا لئلا تُسْتَعبَدوا للعبرانيين»، وهو يتحدث عن جماعة يسرائيل.

ويضيف المسيري: «ويفضل بعض الصهاينة العلمانيين أن يَستخدموا كلمةَ (عبري) أو (عبراني) على استخدام كلمة (يسرائيلي) أو (يهود)؛ باعتبار أن الكلمةَ تُشير إلى

---

(١) العرب واليهود في التاريخ (ص ٦٣).
(٢) (٩/ ٣٤).
(٣) خروج (٩: ١ -٤).
(٤) (٤/ ٩).

العبرانيين قبل اعتناقهم اليهوديةَ، أي: أن مصطلح (عبري) يؤكد الجانب العِرْقي على حساب الجانبِ الدينيِّ».

ويقول الدكتور ظاظا: «بعد العودة من بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، اقتصر استخدام مصطلح (عبرانيين) على الإشارة إلى الرَّعيل الأولِ من اليهودِ حتى عصر التهجير البابلي، واستُخدمت كلمةُ (يهود) أو (يسرائيلي) للإشارةِ إلى الأجيال التي أتت بعد ذلك، والتي لم تَعُد تَستخدم اللغةَ العبرية، وإنما تتحدث الآراميةَ وتكتب بها».

## تآكل اللغة العبرية:

تسعى دولةُ الاحتلال وبكل قوَّةٍ إلى فرضِ تعلُّم اللغةِ العبرية على المهاجرين الجُدُد؛ لأنه هو الرابطُ القومي والقاسمُ المشترك الوحيد بين كلِّ مَن انتسب إلى دولة إسرائيل، ومع أنها هي اللغةُ الرسمية للكيان إلا أن عامَّةَ الشعب يتحدث كلٌّ منهم لغتَهم الأصلية، يقرأ الصحفَ المطبوعةَ في الكيان اليهودي وبلغتهم الأصلية الإنجليزيةِ والفرنسية والعربية والتركية اليديشية والألمانية والروسية والإسبانية والفارسية، أما عن الدراساتِ الأكاديمية والأبحاثِ العلمية المنشورة باللغة العبرية فإنها تجدُ معاناةً في ترويجها، فيضطر الباحثُ إلى كتابة رسالته باللغة الإنجليزية؛ لأنَّ مَن يكتبها بالعبرية لن يجد مَن يقرأها؛ ولأن العبريةَ ليس لها مستقبَلٌ ولا تؤهل الخريجين لسوق العمل العالمي؛ لذا تجد أغلب الجامعات في الكيان الصهيوني تدرِّس باللغة الإنجليزية، ومعهد (وايزمان) وهو أبرزُ معاهد ومراكز البحث والدراسات الاستراتيجية في الكيان الصهيوني يتم تدريسُ أغلبِ تخصصاته باللغة الإنجليزية؛ لذلك يَعْجزُ أغلبُ الطلاب اليهود من تقديم محاضرةٍ علميةٍ باللغة العبرية.

وإنَّ المعاييرَ البحثية والعلمية العالمية لا تأخذ بالاعتبار البحوثَ المنشورة بالعبرية؛

مما أدى إلى عزوف الجامعات الصهيونية عن التعامل مع العبرية كلغة أكاديمية.

وأمام هذا التآكل المخيف لقدسية اللغة العبرية في نَظَرِ اليهود يحاول مَجْمَع اللغة العبرية جاهدًا إيقاف هذا التدهور، والاعتراضَ على هذه الممارسات التي تستهين بمكانة اللغة العبرية.

### اللغة اليديشية:

وعندما نتحدث عن اللغة العبرية ينبغي أن نذكر معها اللغة اليديشية، وتعني «يهودية»، كانت في البداية لهجةً ألمانية خاصة باليهود في أوروبا منذ القرن العاشر الميلادي، وهي مستخدمة الآن في الولايات المتحدة، وبخاصة في نيويورك بسبب هجرة اليهود الأشكناز، ٨٠ بالمائة من كلمات اللغة ألمانية، وبعض الكلمات العبرية والسلافية، وخاصة البولندية تبلورت بعد هروب اليهود إلى بولندا وشرق أوروبا بسبب الحروب الصليبية، وعادة ما تكتب اللغة اليديشية بالحروف العبرية.

## من فوائد الحديث

١- قرارُ النبي ﷺ بتكليف أحد رجاله تَعَلُّمَ لغةِ الأعداء هو إجراءٌ وقائي أمني يحمي به خصوصيات أمانة سِرِّ دولته.

٢- تكليفُ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه المهمة ذاتِ الطابَع الخاص شرفٌ وتزكية إضافيةٌ لمكانته عند النبي ﷺ.

٣- وهذا دليلٌ على عناية النبيِّ ﷺ بكل ما يُسْهِم في تطوير الجوانب الإدارية لمؤسسته السِّياديَّة، وحمايةِ بَيْضَتِها.

٤- إجراءُ النبيِّ ﷺ بتكليف زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتعلُّم لغة يهود يبيِّن مدى اهتمام النبي بالتدريب

والتنمية الشخصية، وبرامجِ الإعدادِ لرجالِ دولتِه؛ ليكونوا على قَدْر المسؤولية في إداراتِ مؤسسته السيادية.

٥- الدولةُ الناضجة المستشرِفة لمستقبلها، هي مَن تُعِدُّ المترجمين من قومها؛ لتُحْسِن مخاطبة دول العالم؛ لأنه بهذا تُحْسِنُ وبسهولة إيصالَ رسالتها.

٦- لا يعني تعلُّمُ اللغةِ العبريةِ أو غيرِها من لغاتٍ أخرى إحلالَها مكانَ اللغة العربية، أو بديلًا عنها.

## الحديث السادس عشر

# اليهود يفرِّقون بين الناس في تطبيق أحكام الدين

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ؟ فَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ، لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[1].

## مقدمة

يشير النبي ﷺ كيف أن بني إسرائيل يفرقون في تطبيق أحكام الشريعة بين الشريف ومن دونه، وهو منهج سلكوه في كثير من الأحكام، كما مر معنا تفريقهم في تطبيق حد الرجم.

## شرح الحديث

### قولها: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ»:

اسمُها: فَاطِمَةُ بنتُ أبي الأسود بن عبد الله بن الأسود[2] وهي من أشراف قبائل قريش والعرب الكبرى، كَانَتْ كَثِيرَةَ الِاسْتِعَارَةِ، ولم تَرُدَّ ما استعارته حَتَّى عُرِفَتْ بِذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ بِهَا هَذَا الصَّنِيعُ.

وأحداث هذه القصة كانت فِي غزوة الفتح فِي رمضان سنة ثمانٍ للهجرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٢-٣٧٣٣)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٨٦).

وجاء في رواية مرسلة: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ اسْتَعَارَتْ حُلِيًّا عَلَى لِسَانِ أُنَاسٍ فَجَحَدَتْهَا، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُطِعَتْ»(١)

**قولها: «فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا النَّبِيَّ ﷺ؟»:**

أي: في أمر إقامة الحدِّ عليها، والشفاعةِ عنده ألا يقطعَ يدَها ويعفوَ عنها؛ لجلالةِ نسبها وحسبها.

لأنهم رأوا في قطع يدها عارًا كبيرًا عليها وعلى قبيلتها، فأهمَّ قريشًا شأنُها، واستنكروا أن تُقطع يدُ مخزومية.

**قولها: «فَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ»:**

وتشاوروا فيمن يجعلونه واسطةً إلى النبي ﷺ ليكلِّمه في خلَاصها.

«**فَلَمْ يَجْتَرِئْ**»: فلم يَجْسُرْ أو يَجْرُأْ أحدٌ لمواجهة النبي ﷺ في هذا الطلب، لأن فيه تعدِّيًا على حدود الله، وظنَّ بعضُهم أن هذا من صلاحياتِ رسول الله ﷺ، فرأوا أن أقربَ وأحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ هو أسامةُ بن زيد، وهذا فيه منقبةٌ له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكان رَدُّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأسامة: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**»(٢) معنِّفا محذِّرا من هذه الشفاعة المحظورة، والتي لا تجوز بحال من الأحوال.

وفي رواية عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَاللهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، فَقُطِعَتْ**»(٣).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٣٣٨) بسند صحيح من مرسل سعيد بن المسيب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

وفي رواية: «فَعَاذَتْ -أي: استجارت- بِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ حِبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

وفي أخرى: «أنها عاذت بأم سلمةَ زوج النبي ﷺ»[٢]، وفي أخرى: «أنها عاذت بربيب رسول الله ﷺ»، وذكر ابن أبي الزِّنَاد في آخره أن ربيبَ النبي ﷺ كان سلمة بن أبي سلمة وعمر بن أبي سلمة، فعاذت بأحدهما[٣].

ولأن الأمر أهمَّ قريشًا كان الحراكُ لأجلها جماعيًّا، وفي عدَّة اتجاهات كما يظهر معنا في بعض الروايات، وأن من طلبوا شفاعته كانوا عدَّة نفر من رجالٍ ونساءٍ مقرَّبين من النبي ﷺ، ويبدو أنها جاءت مع قومها.

وفي ذات السياق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن قريشًا استشفعوا فيها إلى النبي ﷺ بأسامة بن زيد»[٤].

قلنا: ولا تضادَّ بين هذه الأحاديث إن شاء الله؛ فإن أمر المرأة المخزومية هذه كان قد أهمَّ قريشًا كما قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلا يبعد أن يكون هؤلاء كلُّهم قد استشفعوا لها، وأمُّ سلمةَ وابناها سلمةُ وعمرُ من بني مخزوم.

**قولها: «فَقَالَ النبي ﷺ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ»:**

وفي رواية الليث: «ثم قام فاختطب، فَقَالَ: **إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا**...»[٥]، وفي رواية يونس: «فلما كَانَ العَشِيُّ قام رسول الله ﷺ خطيبًا، فأثنى عَلَى الله عَزَّوَجَلَّ بما هو أهله، ثم قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ**...»[٦]،

---

(١) أخرجه أحمد (١٥١٤٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٢٤٧)، والحاكم (٨١٤٥) وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) وتقدم.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) وتقدم.

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (١٦٨٨).

وفي رواية البخاريِّ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ...**»[١].

بنو إسرائيل ليست هي الأمةَ الوحيدة التي ضلَّت، لكن اختار رسولُ الله ﷺ بني إسرائيلَ مثالًا يضربُه لأصحابه؛ لأنهم أصحابُ كتابٍ كتبه الله بيده، لكنهم حرَّفوه وكذَبوا على الله، ولأن بقايا هذه الأمة تعيش بينهم، فلهم أن يتلمَّسوا حالهم وما آلت إليه شريعتهم، ولا يبعد عن هذا أحداث قصةِ اليهودي واليهودية اللَّذَين زنيا، وكيف تلاعبوا بشريعة التوراة ليُخَلِّصُوهما من حكم التوراة وهو الرجمُ، وإذا أخذنا مقارنةً بين أحداث القصتين لوجدنا المشابهةَ الكبيرةَ في أصل الفكرةِ، وأنه ربما يصل بالمسلم أن يُنْكِرَ حكما صريحًا صحيحًا في القرآنِ أو السنةِ؛ فيُؤَوِّلَه أو ينكره طلبًا للنجاة من العقوبة الربَّانيَّة.

**قولها: «قال: وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ»:**

هذه الجملةُ تفسيرٌ لجملة: «**إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ**» عَطَّلوا الحدودَ عن الأغنياءِ، وأقاموها عَلَى الضعفاءِ!!

أَحْدَثُوا ذَلِك بعد أَنْبِيَائهمْ ونسبوه إلى شريعتِهم، وأنَّ هذا الأمرَ ليس على سبيل الحصر، فقد أحدثوا الكثيرَ في دينهم.

**قولها: «قال: لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»:**

عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

يَعْنِي: لَو كَانَت السارقةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَقطعتُ يَدهَا، وخصَّها بالذكر هنا لأنها كانت أعزَّ أهلِه عليه؛ وهي أشرفُ من المخزومية دينًا ونسبًا وقدرًا، كيف لا وهي سيدةُ نساء أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٨).

هل المخزوميةُ سرقت أم جحدت العارية؟

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ، وَتَجْحَدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَطْعِ يَدِهَا»(١)، وفي رواية: «إِنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ»(٢) وَقَالَ الْآخَرُ: «إِنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ»(٣).

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ سَرَقَتْ، وكَانَتْ مَعْرُوفَةً بِاسْتِعَارَةِ الْمَتَاعِ، وَجُحُودِهِ، فَعُرِفَتْ بِهَا، وَالْقَطْعُ كَانَ بِالسَّرِقَةِ(٤).

والمراد من ذلك: أن لا شفاعةَ في حدٍّ من حدود الله تعالى؛ ليُغْلِقَ بهذا النبيُّ ﷺ بابَ الشفاعة أو ما يُعبَّر عنه اليوم بـ (الواسطة) التي تكون في حدود الله تمامًا، وهو من باب التعاون على المحرم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وهذا عكس الشفاعة المباحة التي قال الله تعالى عنها: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، وهي نظيرُ أن تَرُدَّ حقًّا لصاحبه، وكالإصلاح بين الناس وردِّ المظالم، والسعي بين الزوجين للتوفيقِ بينهما ونحو ذلك.

## شريعة اليهود وحكم السرقة:

جاء النهي في توراة يهود اليومَ عن السرقةِ والنهب؛ فقد ورد في الوصايا العشرِ في التوراة نصٌّ صريح بالنهي عن السرقة، فقال: (لا تسرق)، لكن هذا النهي ليس على إطلاقه وليس هو لكلِّ أحد، بل إن المنع فقط من سرقة اليهود، وإلا فغيرهم جائزٌ السرقةُ منهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).
(٤) السنن الصغير، للبيهقي (٣/ ٣١٩).

وجاء ذكرُ العقوبات الواردةِ في توراة يهودَ ما بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتحديدًا الأسفارُ الأربعةُ وهي: اللاويين والخروج والعدد والتثنية، لكن اللافتُ في هذه النصوص أنها قامت على فكرة التعويض لا قَطْعِ اليدِ أو نحوِه من عقوبةٍ جسديةٍ أخرى.

وإليكم بعضَ نصوص التوراة الخاصَّةِ بالسرقة وعقوبتها: (إذا سرق إنسان ثورًا أو شاةً فذبحه أو باعه، يعوض عن الثور بخمسة ثيران، وعن الشاة بأربعة من الغنم)، (وإن وجد سارق وهو يَنْقُبُ فضُرب ومات فليس له دم، ولكن إذا أشرقت عليه الشمس فله دم يعوض وإن لم يكن له يبع بسرقته، وإن وُجدت السرقةُ في يده حيَّةً ثورًا كانت أم حمارًا أم شاةً على اللصِّ أن يدفعَ تعويضـًا يعوض باثنين)[1].

قال إسرائيل شاحاك: إن الشريعةَ اليهوديةَ قد أباحت لليهوديِّ سرقةَ ممتلكات غير اليهود «إن سطوَ اليهوديِّ على غير اليهودي غيرُ محظور بلا تحفُّظٍ؛ بل يُحْظَر فقط في حروف معينة مثل: عندما لا يكون الاعتبارُ تحتَ حكمنا ويُسْمَح به إذا كانوا تحت حكمنا».

وجاء في التلمود: «إن الله لا يغفرُ ذنبًا ليهودي يَرُدُّ للأُمِّيِّ مالَه المفقود، وغيرُ جائز رَدُّ الأشياء المفقودة من الأجانب، أما السلبُ بالإكراه فممنوعٌ إطلاقًا إذا كان الضحية يهوديًا، وسَلْبُ غير اليهودي ليس ممنوعًا إطلاقًا بل في ظروف معينة» «عندما لا يكون تحت حكم اليهود».

وتختلفُ المراجعُ الحاخامية في ما بينها حولَ الظروفِ المحددة التي يجوز فيها لليهودي أن يَسْلُبَ غيرَ اليهودي تبرر الوسيلة الإنسانية في مجال العدالة، كما أنَّ قاعدة اليهود: (إنَّ الغاية تبرِّر الوسيلة)، وهنا فتح الحاخاماتُ القُفْلَ الذي كان موجودًا، والباب الذي كان مُقْفَلًا؛ فأباحوا كلَّ محرَّم وحلَّلوا كلَّ ممنوع، وليس ذلك فحسب بل أطلقوا العِنان فجعلوا يفعلون ما استطاعوا من المعاصي، ويُبيحون ما اشْتَهَوا من الشهوات

(١) سفر الخروج (٢٢: ١ – ٤).

واضعين لهم قاعدة ذهبية (الغاية تبرر الوسيلة) فجعلوا الوصيةَ التي تقول (لا تسرق) أي: لا تسرق اليهوديَّ، فليس في قاموس المحرَّمات عندهم حالاتُ الغشِّ والسرقة، فكلُّ ذلك مباح ما دام اليهوديُّ يتعامل مع غير اليهودي[١].

واستندوا إلى ما جاء في التلمود: «مسموحٌ غِشُّ الأُمِيِّ وأخذُ مالِه»، فقد أبدع أحبارهم فنونَ اللصوصيَّة ومهارةَ الخداع، إنهم ولا شك معلِّمو الأبالسةِ وأساتذةُ الشياطين[٢].

وقد أهدروا في سبيل جمع المال كلَّ الأخلاقيات، وفسَّرُوا الوصايا بأنه يَحِقُّ لهم سرقةُ مَنْ هو من غير اليهود[٣].

ومن فتاوى الحاخام «آريل»: «إن الخارجين عن الدينِ اليهوديِّ خنازيرُ نجسةٌ، وإذا كان غيرُ اليهودي قد خُلق على هيئةِ الإنسان فما ذلك إلَّا ليكوَن لائقًا لخدمةِ اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم».

لقد تولَّدت هذه المشاعر بِناءً على روح الانعزالِ لدى اليهودِ، وبناءً على تعاليم الدين اليهودي المتطرِّفةِ وكراهيتِهم لكل الشعوبِ تكوَّنت عقيدةُ (شعب الله المختار)!!

## من فوائد الحديث

١- فيه تركُ الرَّحْمَة فِيمَن وَجب عَلَيْهِ حدٌّ، حتى لو كان من الأقارب؛ لأنه -أي: ترك إقامة الحدِّ- اعتداءٌ على حكمِ الله وحقوقِ الغير.

٢- لحسنِ ظنِّ النبي ﷺ بأسامة بن زيد لم يَتَّهِمْهُ بتعطيل شرع الله أو نحو ذلك.

---

(١) انظر: حقيقة اليهود ومطامع الصهيونية، لمحمد عمر الخطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩.

(٢) انظر: الكنز المرصود (٧٤ - ٧٦).

(٣) انظر: حقيقة اليهود ومطامع الصهيونية (٢١)، وانظر: حقائق عن اليهود، للأرقم الزعبي دار القلم المتحدة للطباعة، الطبعة الأولى (١٩٩٠ -٣).

٣- لا تنافيَ بين حُكم جَحْدِ العارية وبين السرقة؛ فكل ذلك داخل في حكم السرقة.

٤- جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قام فيهم خطيباً، فينبغي على الداعية والإمام أن يقف خطيبًا بين يدي الناس من غير تأخير البيان عن وقت الحاجة، يوضِّح ما الْتَبَسَ عليهم في أمور دينهم العارضة، ومحذِّرًا خطورةَ جهلهم بذلك.

٥- بهذا رسَّخ النبي ﷺ قانونَ العدل والإنصاف الكامل والمثالي الذي لم يُسَاوِهِ أو يُجَارِهِ قانونٌ في الأرض.

٦- رسَّخ رسول الله ﷺ العدل على الجميع القريبِ قبل البعيد، فكان مُرَبِّيًا متميِّزًا بالقدوة.



# الحديث السابع عشر

## السِّحْرُ والشعوذة عند اليهود

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: **يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ**، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: **لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ**»(١).

### مقدمة

وسيلةٌ يهوديةٌ جبانة وخسيسة حرَّمها الشارعُ الكريم في القرآن والتوراة، غيرَ أن اليهود قديمًا وحديثًا يُجيزون تعاطيَ السحرِ للإضرار بغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).

## شرح الحديث

**قولها: «سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ»:**

ذكر الواقِدِيُّ أن هذا السحرَ وقع بعد أن رجع ﷺ من الحُدَيْبِيَة، في آخر ذي الحجة وأوائل المحرم سنة سبعٍ، وقال: جاءت رؤساءُ اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفًا في بني زريق، وكان ساحرًا، فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أَسْحَرُنا، وقد سَحَرْنَا محمدًا، فلم نصنع شيئًا، ونحن نجعل لك جُعلًا -أي: أجرًا كبيرًا- على أن تسحره لنا سحرًا يَنْكَؤُه، فجعلوا له ثلاثة دنانير.

وعن مُدَّةِ السحر جاء في رواية: «أربعين ليلة» وفي رواية عند أحمد: «ستة أشهر». قال الحافظ ابن حجر: «ويمكن الجمع بأن تكون (الستة أشهرٍ) من ابتداء تغيُّرِ مزاجه، (والأربعين) يومًا من استحكامه»[١].

وقد صرَّح الراوي في هذه الرواية بأنه كان يهوديًّا، من يهود المدينة، وقد وقع في رواية لابن عيينة: «رجل من بني زُرَيْق حليفٌ ليهودَ كان منافقًا»[٢]، وبين الروايتين معارضةٌ، وجمع بينهما الحافظ في الفتح بأن مَن أطلق أنَّه يهوديٌّ نظر إلى ما في نفس الأمر، ومَن أطلق عليه منافقًا نظر إلى ظاهر أمره[٣]، ويحتمل أنَّه قيل له: يهودي؛ لكونه من حلفائهم لا أنَّه كان على دينهم، وبنو زُريق بطن من الأنصار مشهورٌ من الخزرج، وكان بين كثير من الأنصار واليهود حِلْفٌ وإخاءٌ قبلَ الإسلام، فلما جاء الإسلام تبرَّأَ الأنصارُ منهم[٤].

على كل حال كان يهوديًّا أو لم يكن يهوديًّا، فقد استطاع اليهودُ تجنيدَه لخدمة

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).
(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).
(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٢/ ١٨٢).

مشروعهم، فهم أمة يستطيعون تحقيق مآربهم بشكل جماعي منظَّم، وقد أخبر ربنا عن ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فهم يعملون مجتمعين وآراؤهم متَّحِدة ضد المسلمين، وكل ذلك حسدًا من عند أنفسهم، يقول الطبري: فذلك دليل على أنه عَنَى الكثرة في العدد(١).

**قولها: «حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ»:**

كان يخيل إليه أنه وَطِئَ زوجاته، ولم يكن وَطِئَهُنَّ، وفي رواية للبخاري: «حتى كان يُرى -أي يظن- أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن»(٢).

**قولها: «حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا»:**

«حَتَّيس إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ» شكٌّ من الراوي، أي أنه ﷺ بعد صبرٍ وطول معاناةٍ الْتَجَأَ إلى الله بالدعاء وكرَّره ثلاثًا، كعادته ﷺ إظهارًا للعجز وإلحاحًا على الله تعالى.

**قولها: «ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟»:**

**قوله: «أشعرتِ»:** أي عَلِمْتِ، وهي رواية ابن عيينة، قوله: «**أفتاني فيما استفتيتُه**»، في رواية الحميدي: «**أفتاني في أمرٍ استفتيتُه فيه**»، أي: أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاءً؛ لأن الداعيَ طالبٌ والمجيبَ مُفْتٍ، أو المعنى: أجابني بما سألتُه عنه؛ لأنَّ دعاءَه كان أن يُطْلِعَهُ الله على حقيقة ما هو فيه لِمَا اشتبه عليه من الأمر.

ووقع في رواية عَمْرَةَ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إِنَّ اللهَ أَنْبَأَنِي بِمَرَضِي**» أي: أخبرني (٣)، أي: إنَّ اللهَ تعالى استجاب دعاءه، وأرسل له الملَكَين، فأخبراه، ثم أخبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بخبر الملَكَين.

---

(١) تفسير الطبري(٢/ ٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٢٨).

قولها: «قال: جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟»:

وكان ذلك في منامه ﷺ، وعند أحمد والطبراني: «**أتاني مَلَكَانِ**»(١) وسمَّاهما ابنُ سعد بجبريل وميكائيل، وربما لمكانة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولشرفه هو الذي كان عند رأس النبي، في رواية للبخاري: «**فقال أحدهما لصاحبه**»(٢).

قولها: «قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ»:

«مَطْبُوبٌ»: أي مسحورٌ، ويقال له: مطبوب؛ تفاؤلًا، كما يقال للملدوغ: سَليم. «مَنْ طَبَّهُ؟»: أي: مَن سحره؟

قولها: «قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ»:

وفي رواية: «**فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ**»(٣).

قوله: «مُشْطٍ»: الأداة التي يُسَرَّحُ بها شعر الرأس.

قوله: «وَمُشَاطَةٍ»: من شعر رأسه ﷺ.

وفي رواية: «جب طلعة ذكر»(٤) وهما بمعنى واحد، وهو الغِشاء الذي يكون على الطلع، ومنها ذكر وأنثى، فلهذا قيَّده بالذكر.

قولها: «قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»:

وفي رواية: «**فِي بِئْرِ ذِي ذَرْوَانَ**»(٥).

وفي رواية: «**قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي ذَرْوَانَ، وذَرْوَانُ بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ**»(٦).

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٥٦٩). (٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، وفي رواية: «وَجُفِّ نَخْلٍ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ» أخرجه النسائي في الكبرى (٧٥٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٦٥٠).

(٥) أخرجه ابن حبان (٦٥٨٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٥٩٣٤).

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٦٤٩٤)، والبغوي في شرح السنة (٣٢٦٠) وقال: هذا حديث متفق على صحته.

قيل: إن الأصل: بئر ذي أرْوَان، ثم لكثرة الاستعمال سُهِّلت الهمزة، فصارت ذروان[١]، زاد البخاري عن عائشة: «**تحت رَعُوفَة**»[٢] وفي رواية في البخاري عن عائشة: «**تحت رَاعُوفة**»[٣]، وفي رواية: «**تحت أُرْعُوفة**» وفي رواية: «**تحت زَاعُوبة**»، والمراد: تحتَ صخرةٍ كبيرةٍ في أسفل البئر[٤].

**قولها: «فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ»:**

عند ابن سعد: «فدعا جبيرَ بن إياس الزُّرَقي، وهو ممن شهد بدرًا، فدلَّه على موضعه في بئر ذروان فاستخرجه، قال: ويقال: الذي استخرجه قيسُ بن محصن الزرقي، ويجمع بأنه أعان جبيرًا على ذلك»[٥].

في رواية: «أنه وَجَدَ في الطَّلْعة تِمْثالًا من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيه إبَرٌ مغروزةٌ، وإذا وُتِرَ فيه إحدى عشرة عُقْدةً، فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدةٌ، وكلما نَزَعَ إبرة وجَد لها ألمًا ثم يجد بعدها راحة»[٦].

**قولها: «ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»:**

كأنَّ ماءَ البئر قد تغيَّر، إما لرداءته بطول إقامته، وإما لما خالطه من الأشياء التي أُلْقِيَتْ في البئر، وفي رواية: «فإذا نخلُها الذي يشرب من مائها قد التوى سَعَفُهُ، كأنه رءوسُ الشياطين» وهذا دلالةٌ على كآبةِ المكان وسُوئِه، وكأنه مأوًى ومرتعٌ للشياطين.

**قولها: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟»:**

وفي روايةٌ: «قلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: **لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللهُ وَشَفَانِي،**

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٩-٢٣٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).
(٤) انظر: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، للسمهودي (٤/ ٢١).
(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).
(٦) فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).

**وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا»** وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ(١).

وفي رواية للبخاري: «أفلا استخرجته؟ قال: **لا**» وقد سبق أنه روي في الصحيح أنه أخرجه، فالمراد من الإخراج المُثْبَتِ إخراجُ الجُفِّ، والمنفيِّ استخراجُ ما حواه، ففي رواية: «فأخرجوه فَرَمَوْا به»، ويحتمل أنَّ مرادَها من طلب إخراجه نشرُه بين الناس، وبقاؤه حتى يروه، وفي رواية للبخاري: «أَفَلاَ؟ - أَيْ: تَنَشَّرْتَ؟» فيحتمل أن يكون من النَّشْر، بمعنى الإخراج والإظهار، فيوافق روايةَ: «أَخْرَجْتَهُ» وروايتنا: «أفلا أحرقته؟» قال النووي: كل من الروايتين صحيح، كأنها طلبت أن يُخْرِجه ثم يُحْرِقه(٢).

**قولها: «قال: لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»:**

وفي رواية للبخاري: «**أَمَا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**»، وفي رواية: «**سوءًا**»، وفي رواية: «**فكرهتُ أن أُثِيرَ على الناس فيه شرًّا**».

و«المراد من الناس عموم الموجودين آنذاك، قال النووي: (خَشِيَ من إخراجه وإشاعته ضررًا على المسلمين من تَذَكُّرِ السحر وتعلُّمه ونحو ذلك، وهو من باب تركِ المصلحةِ خوفًا من المفسدة)، وفي رواية: (**على أمتي**).

وقيل: المراد بالناس هنا لبيد بن الأعصم؛ لأنه كان منافقًا، فأراد ﷺ ألا يثير عليه شرًّا، لأنه كان يؤثر الإغضاء عمن يُظهِر الإسلامَ، ولو صدر منه ما صدر، وفي بعض الروايات: (فقيل: يا رسولَ الله، لو قتلته؟ قال: **ما وراءه من عذاب الله أشدُّ**).

وفي رواية: (فأخذه النبي ﷺ فاعترف، فعفا عنه)، وفي رواية: (فما ذَكَر رسول الله ﷺ لذلك اليهودي شيئًا مما صنع به، ولا رآه في وجهه)، وفي رواية: لما سُئل لبيدٌ عن سبب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٦).

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٨/ ٥٥٤).

سحره للنبي ﷺ: (فقال له: **ما حَمَلَكَ على هذا؟** قال: حُبُّ الدنانير)، قال الزهري: إن النبي ﷺ لم يقتله، ونقل عن الواقدي أن ذلك أصحُّ من رواية من قال: إنه قَتَلَه، والضمير في قوله: (**فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ**) للبئر، وقد تقدم أن الحارث بن قيس هَوَّرَها ودفنها»[١].

## يهود يتَّهِمُون نبي الله سليمانَ بالسحر:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

زعمت الشيطانُ بعدَ موت سليمانَ أنه ما حَصَلَ له من ملك عظيم إلا بسبب تعاطيه السحرَ الذي وجدوه عنده، فكان ذلك ذريعةً وإغواءً لليهود بتعلُّمهم السحرَ وممارستِهم له، مع أنه محرَّم في شريعتهم، وكذلك اتبعوا السحرَ الذي أُنزل على الملَكَين ببابلَ في العراق امتحانًا لهم وابتلاءً من الله لعباده، ومع هذا ما يُعَلِّمان من أحد إلا نصحوه وحذَّروه بكفر متعلِّمه وحرمةِ تعلُّمِه، وأنَّ نبيَّ الله سليمانَ بريءٌ من السحر جملةً وتفصيلًا، وأن وراء تعليمِ الناس السحرَ في بابلَ رجلَين يُدْعَى أحدُهما هاروتَ والآخرُ ماروتَ.

## السحر وسيلة يهودية:

يعتقد كتبةُ التلمود اعتقادًا جازمًا بأنَّ التنجيمَ عِلمٌ يتحكَّم في حياة الإنسان، فالنجمُ يجعلُ الإنسانَ ذكيًّا أو غبيًّا، كما يمتلئ التلمودُ بطقوس السحرِ والشعوذة والعِرَافة، ويعتقد بوجود العفاريت، ويرى كَتَبَةُ التلمود أنَّ الأرواحَ الشريرةَ والشياطينَ (العفاريت) والجِنِّيَّاتِ من ذرية آدم، وهؤلاء يطيرون في كلِّ اتجاه، وهم يَعْرِفون أحوالَ المستقبل باستراقِ السمع في السماء، وهم يأكلون ويشربون مثلَ الإنسان، ويُكثرون من جنسهم[٢].

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٨/ ٥٥٤)، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣١).
(٢) التلمود تاريخة وتعاليمة، ظفر الإسلام خان (ص ٧٥).

لهذا قرَّر جهاز الموساد الصهيوني تدريسَ كتاب السفر جزيرا والسفر هازوهار لعدد من رجال الموساد، وهذان الكتابان دستورٌ للتقاليد اليهودية السِّرِّيَّة التي تعتمد على فلسفة الكابالا، وهي عبارة عن مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر(١).

## حكم السحر في شريعة التوراة:

جاء في التوراة: «لا تَدَعْ ساحرةً تعيش» خص النساءَ هنا؛ لأن معظم من كانوا يمارسون السحر كانوا من النساء، لأن السحرَ تعاملٌ مع الشياطين وهم أعداءُ الله، كما جاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر صموئيل الأول، والإصحاح السادسَ عشرَ من سفر أعمال الرسل.

وجاء: «متى دخلتَ الأرضَ التي يعطيك الربُّ إلهُك، لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنَه أو ابنتَه في النار، ولا من يعرف عِرَافة ولا عائفًا ولا متفائلًا ولا ساحرًا، ولا من يَرْقِي رُقْيَةً، ولا من يسأل جانًّا أو تابعَه، ولا من يستشير الموتى، لأن كلَّ من يفعل ذلك مكروهٌ عند الرب، وبسبب هذه الرجاس الربُّ إلهك طارَدَهم من أمامك، تكون كاملًا لدى الرب إلهِك، إن هؤلاء الأممَ الذي تخلفهم يسمعون للعائفين والعرَّافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا»(٢).

## من فوائد الحديث

١- السحرُ من الكبائر بالإجماع، وأخبر النبيُّ ﷺ أنه من السبع الموبقات.

٢- إنَّ أَثَرَ السحر ظهر على جسد النبي ﷺ وجوارِحه، وهو من باب العجز الجسدي، ولم يؤثِّر على دينه وعقله وقلبه، ولم يؤثر ذلك على تبليغ الرسالة.

---

(١) انظر كتاب: المخابرات الإسرائيلية.. الوثائق السرية للمخابرات الأمريكية، ترجمة وإعداد مجدي نصيف.
(٢) تث (١٨: ٩-٢٢).

٣- لجأ النبي ﷺ إلى الدعاء بعد ما أصابه من أمرٍ مكروه، مع تكراره وحُسْنِ الظن بالله.

٤- لجأ النبي ﷺ إلى علاج تَبِعَاتِ سِحْرِه ومَنْ سَحَرَهُ من غير إثارة أو تهييج أو ردودِ فعلٍ غيرِ متَّزِنة أو مسؤولة.

٥- جواز البحثِ عن السحر ومن تسبَّب به، والخلاصِ من الموادِّ المتسبِّبة بسحر الشخص.

٦- لم يحرِصِ النبيُّ ﷺ على إتيان الساحر مع تكشُّفِ أمره، إلا أنه حرص على الدعاء والصبر ثم التخلُّصِ من السحر لمَّا عَرَفَ أدواتِه ومكانَ دفنِه.

٧- امتهانُ السحر والعمل به وسيلة يهودية جبانة، لجأ لها اليهود لمحاولة تشتيت النبي ﷺ.

٨- من عظيم خُلُق النبي ﷺ أنه لا ينتقم لنفسه، وعُرِفَ عنه الصفحُ والتغاضي عمن أساء إليه.



## الحديث الثامن عشر

# يهودية تَغْدِرُ برسول الله ﷺ وتحاول قتلَه بالسُّمِّ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: لا، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(١).

## مقدمة

محاولاتٌ يهوديةٌ خبيثةٌ يائسةٌ ترمي بجملتها للتخلُّصِ من الرسول ﷺ، محاولة تلو الأخرى دونما كلَلٍ أو مَلَل، ومن جملة هذه المحاولات دسيسةٌ جديدة ومؤامرة خطيرة كادت -لولا لطفُ الله ورعايتُه وتعهُّدُه بحفظه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]- أن يَهْلِكَ بسببها رسولُ الله ﷺ، كما هلك وعلى الفور بشرُ ابن معرور.

خرج رسول الله ﷺ في محرم من السنة السابعة من الهجرة إلى خيبر لغزوِها، فأقام يحاصرها بِضْعَ عشرة ليلة، وبعد قتال شديد اسْتَحَرَّ فيه قتلُ اليهود حتى اضْطُرُّوا للاستسلام فَتَحَها في صفر من نفس العام، وبعد أن أخذ رسول الله ﷺ محلَّه في خيبر يستجمع أنفاسه من معركة ضارية يُقَدَّمُ له على مائدته شاةٌ مَصْلِيَّةٌ دُسَّ فيها أشدُّ أنواع السم في خطَّة يهودية ماكرة تم الإعداد لها بعناية.

محاولةٌ يهوديةٌ بائسة لاغتيال النبي محمد ﷺ، تُنفِّذها امرأة يهودية بدعمٍ وتنسيقٍ من قيادة اليهود في خيبر بعد تحريرها وإجلاء بعض أهلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

## شرح الحديث

**قوله: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ»:**

واليهودية التي أهدت الشاة التي فيها سمٌّ زينبُ بنت الحارث ابنة أخي مرحب اليهودي، ذكر ذلك ابن إسحاق، وابن سعد، والبيهقي، والنوويّ، وابن العراقي، وابن حجر، وغيرهم(١).

فعند ابن إسحاق: «لما اطمأنَّ النبي ﷺ بعد فتح خيبر، أهدت له زينبُ بنت الحارث امرأةُ سلام بن مشكم شاةً مشوية، وكانت سألت: أيُّ عضو من الشاة أحبُّ إليه؟ قيل لها: الكَتِفُ والذراع، فأكثرت فيهما من السُّمِّ».

**قوله: «بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ»:**

وفي رواية: «أَنَّ يَهُودِيَّةً جَعَلَتْ سُمًّا فِي لَحْمٍ، ثم أتت به رسول الله ﷺ»(٢).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي (شرح مُسلم): «وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسُّم اسمهَا زَيْنَب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي، وكان ذلك زمنَ غزوة خيبر سنة سبع للهجرة»(٣)، وفي وفي رواية عند البخاري: «لما فُتحت خيبرُ أُهدِيتْ- (أهديت) على صِيغَة الْمَجْهُول من الإهداء- لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ»(٤).

ويبدو -والله أعلم- أن التي دسَّت السُّمَّ وقامت على تنفيذ عملية الاغتيال غير التي قدَّمت الشاة على مائدة رسول الله ﷺ.

**قوله: «فَأَكَلَ مِنْهَا»:** في رواية: «فتناول رسولُ الله ﷺ الكَتِفَ، فنَهَشَ منها، فلما ازْدَرَدَ

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٠)، والطبقات الكبرى (٢/ ٢٠١، ٢٠٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٦٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٩)، والمستفاد من مبهمات المتن والإسناد (٣/ ١٦٥٥/ حديث رقم ٦٦٩)، وفتح الباري (٧/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٠). (٣) (١٤/ ١٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٦٩).

لقمتَه قال: **إنَّ الشاةَ تُخْبِرُنِي**» يعني: أنها مسمومة، وعند ابن إسحاق: «فلما تناول الذراعَ لَاكَ منها مُضْغَةً، ولم يُسِغْهَا، وأكل معه بشرُ بنُ البراءِ بنِ معرورٍ، فأساغَ لقمتَه، فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ»[١]، وعند البيهقي: «فقال لأصحابه: **أَمْسِكُوا، فإنها مَسْمُومَةٌ**»[٢]، وأمر بلحم الشاة فأُحْرِقَ.

**قوله: «فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا، قَالَ: لَا»**: ولابن إسحاق: «فدعا بالتي سَمَّتْهُ فاعترفتْ»[٣].

## هل قتل النبي ﷺ هذه المرأة المُعْتَدِيَة:

في رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَمَرَ بِهَا فَقُتِلَتْ»[٤].

قَالَ القَاضِي عِيَاض: «وَاخْتلفت الْآثَار وَالْعُلَمَاء: هَل قَتلهَا النَّبِي ﷺ أم لَا؟ فَوَقع فِي (مُسلم): أَنهم قَالُوا: (ألاَ نقتلها؟ قَالَ: **لَا**)، وَمثله عَن أبي هُرَيْرَة وَجَابِر، وَعَن جَابر من رِوَايَة أبي سَلمَة: (أَنه ﷺ قَتلهَا)، وَفِي رِوَايَة ابْن عَبَّاس: (أَنه ﷺ دَفعهَا إِلَى أَوْلِيَاء بشر بن الْبَراء بن معْرور، وَكَانَ أكل مِنْهَا فَمَاتَ بهَا، فَقَتَلُوهَا)، وَقَالَ ابْن سَحْنُون: أجمع أهل الحَدِيث أَن رَسُول الله ﷺ قَتلهَا، وَفِي رِوَايَة أبي دَاوُد: (فَأَمَرَ بهَا فقُتِلَتْ)، وَفِي لفظ: (قَتلهَا وصلتها) وَفِي (جَامع معمر) عَن الزُّهْرِيِّ: لما أسلمت تَركهَا، قَالَ معمر: كَذَا.

قال الزهري: أسلمَت، والناس يقُولُون: قتلَها، وأنها لم تُسلم، وقال السهيلي: قيل: إنه صفح عنها، قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها إلا حين اطلع على سحرها، وقيل لهُ: اقتُلها، فقال: لا، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصًا، فصح قولُهم: لم يقتُلها، أي: في الحال، ويصح قولُهم:

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٦١٠٢). (٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٦٠).

(٣) التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٨/ ٦٠٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٤)، والحاكم (٤٩٦٧)، والبيهقي في الكبرى (١٦١٠٤)، وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

قتلها، أي: بعد ذلك، والله أعلم»[١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «دَفَعَها إلى أولياء بشر فقتلوها»، ومن ذلك الحين لم يأكل عَلَيْهِ السَّلَامُ من هديةٍ تُهدَى له حتى يأمر صاحبَها أن يأكل منها[٢].

لكنه عفا عنهم حين لم يعلم أنه يُقْضَى عليه؛ لأن الله تعالى دفع عنه ضُرَّ السُّمِّ بعد أن أَطْلَعَهُ على المَكِيدة فيه بآية معجِزة أظهرها له من كلام الذراع، ثم عصمه الله من ضرِّه مدةَ حياته، حتى إذا دنا أجلُه بغى عليه السُّمُّ، فوجد ألمَه، وأراد الله له الشهادة بتلك الأكلة[٣].

## هل كان للسُّمِّ أثرٌ في موت النبي ﷺ؟

اشتكى رسولُ الله ﷺ المرضَ في بيت ميمونةَ أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد عودته من حجة الوداع بعد حوالَي ثلاثةِ أشهرٍ، ومات عن ثلاث وستين عامًا في يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول بعد عشرة أيام قضاها ﷺ مريضًا، لكن في الحقيقة كانت بداية شكواه ﷺ منذ العام السابع يوم أن دُسَّ له السم في شاة بعد فتح خيبر، فيكون قد مات من أثر السم بعد أربع سنوات[٤].

جاء في الحديث: «**مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي فِي كلِّ عَامٍ حَتَّى كَانَ هَذَا أَوَانَ قَطْعِ أَبْهَرِي**»[٥]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ**» ذكره البخاري تعليقًا[٦].

---

(١) عمدة القاري (١٥/ ٩٢).
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ٦٠٨).
(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٥/ ٣٤٧).
(٤) انظر: جوامع السيرة، لابن حزم (ص١٢).
(٥) أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي (٨٣)، وأصله عند البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٤٤٢٨) ويأتي بعده.
(٦) ذكره البخاري في الصحيح معلقًا (٦/ ٩)، ووصله البزار في مسنده (١١٥-البحر الزخار)، والحاكم (٤٣٩٣) وصححه، ووافقه الذهبي.

لا شك أن النبيَّ ﷺ ذكر في آخر حياته أثرَ هذا السمِّ في جسده، بل إن الصحابي أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى بعينه تأثير السم في لهوات النبي ﷺ، فقال: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(١).

«**اللَّهَوَاتُ**»: جَمْعُ لَهَاةٍ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى لُهًى، وَهِيَ (أي: اللَّهَاةُ): اللَّحْمَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي أَصْلِ الْحَنَكِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا بَيْنَ مُنْقَطِعِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْقَطِعِ أَصْلِ الْفَمِ»(٢).

**ومِن العلماء مَن يرى أن النبي ﷺ مات شهيدًا من هذا السم:**

وعن أم مُبَشِّرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وهي أم بِشْرِ بن البراء الذي أكل السم معه بخيبر- قالت: «دخلتُ على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قُبض فيه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، ما تَتَّهِمُ بنفسك؟ فإني لا أَتَّهِمُ بابني إلا الطعامَ الذي أَكَلَه معك بخيبر- وكان ابنُها بشرُ بن البراء بن معرور مات قبل النبي ﷺ- فقال رسول الله ﷺ: **وَأَنَا لَا أَتَّهِمُ غَيْرَهَا، هَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي هَذَا**»(٣).

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ تِسْعًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قُتِلَ قتلًا(٤) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٤٧)

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٩٣٣)، وأبو داود (٤٥١٣)، وصححه الحاكم (٤٤٩٦)، ووافقه الذهبي.

(٤) قال الإمام السندي في شرح المسند (٣/ ٢٤٧): ولا ينافي ذلك قولَه تَعَالَى في سورة المائدة آية (٦٧): ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، إذ يكفي فيه العِصْمَة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصم منه ﷺ بلا ريب.

(٥) أخرجه أحمد (٣٦١٧)، وأبو يعلى (٥٢٠٧)، و الحاكم (٤٣٩٤)، وصححه هو، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٥): رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وقال أيضًا (٩/ ٣٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وكان بقي أثرها -أي: أثر السم- مع ضعفه؛ لما يريد الله سبحانه من تكميل مراتب الفضل كلها له ﷺ، فلما أراد الله إكرامه بالشهادة، ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السم ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا»(١).

وقد ذكر ابنُ إسحاق في السيرة أنه ﷺ مات شهيدًا.

وبه قال ابنُ بطال: «أراد اللهُ له الشهادةَ بتلك الأكلةِ»(٢).

وقال ابن المُلَقِّن: «إنَّ السُّمَّ لم يؤثِّر فيه، حتى كان عند وفاته لتجتمع له النبوةُ مع الشهادةِ؛ مبالغةً في كرامته ورفع درجته»(٣).

وذكر الزُّرْقَاني نحوه(٤).

يتضح مما سبقَ أن اللهَ تعالى -وكما وعدَ نبيَّه ﷺ بعصمته من الناس كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]- لم يجعل السم مع كثرتِه سببًا في الفتك بالنبي ﷺ؛ ليؤخِّر الله تعالى موتَه مدةَ ثلاثِ سنوات؛ لِيُتِمَّ رسالتَه ويَلْطُفَ بنبيه ويَغِيظَ عدوَّه ولا يحقِّقَ لهم غايةً، ثم يكرمَه الله تعالى ويختمَ له بالشهادة.

وعن ابن شهاب، قال: «كان جابر بن عبد الله يحدِّث أن يَهُودِيَّةً من أهل خيبر سمَّتْ شاة مَصْلِيَّة، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهطٌ من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: **ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ**، وأرسل رسولُ الله ﷺ إلى

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١١٣).
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٥/ ٣٤٧).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ٦٠٩).
(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١٢/ ٢١١ -٢١٢).

اليهودية فدعاها، فقال لها: **أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟** قالت اليهودية: مَنْ أخبرك؟ قال: **أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي**، للذراع، قالت: نعم، قال: **فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟** قالت: قلتُ: إن كان نبيًّا فلن يَضُرَّهُ، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتُوُفِّيَ بعضُ أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاةِ، حَجَمَهُ أبو هند بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةِ، وهو مولى لبني بَيَاضَةَ من الأنصار»[(١)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن أعمى كانتْ له أمُّ ولدٍ تَشْتُم النبيَّ ﷺ وتقع فيه، فَيَنْهاها، فلا تنتهي، وَيزْجُرها فلا تَنْزَجِر، قال: فلما كانت ذاتَ ليلةٍ جعلت تَقَعُ في النبي ﷺ وتَشْتمه، فأخذ المِغْوَل فوضعه في بطنها واتَّكَأ عليها فقتلها، فوقعَ بين رِجْلَيْهَا طفلٌ، فَلطَّخَتْ ما هناك بالدمِ، فلما أصبحَ ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناسَ فقال: **أَنْشُد اللهَ رجلًا فعل ما فعل، لي عليه حَقٌّ إِلَّا قام**، قال: فقام الأعمى يتخطَّى الناسَ، وهو يَتَزَلْزَلُ، حتى قعد بين يَدَي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحِبُها، كانَتْ تَشْتُمُك وتقعُ فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثلُ اللُّؤلؤتين، وكانت بي رَفيقةً، فلما كانت البارحة جعلتْ تَشْتُمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضَعْتُه في بطنها واتَّكَأتُ عليها حتى قتلتُها، فقال النبي ﷺ: **ألا اشْهَدوا أَنَّ دَمَها هَدَرٌ**»[(٢)].

## محاولةُ قتلِ النبيِّ ﷺ مؤامرة جماعيَّة وليست فرديَّة:

جاء معنا في الحديث الرابع عشر من هذا الكتاب أن النبي ﷺ قال ليهود: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟** قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، وضعفه الذهبي بالانقطاع في (المهذب في اختصار السنن الكبير) (٦/ ٣١٣٦) يعني لانقطاعه؛ لأن الزهري لم يسمع من جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي في الكبرى (٣٥١٩)، وصححه الحاكم (٨٠٤٤)، ووافقه الذهبي.

نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ».

وهذا هو المبرِّر المعلَن والمصرَّح به لاغتيال النبي ﷺ، وبمثله تمامًا صرَّحَتْ زينب بنت الحارث التي نفذت عملية دَسِّ السم، فقالت: «إن كان نبيًّا فلن يضرَّه، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه!»[١].

ويبدو أن هناك أسبابًا أُخَرَ جاءت في بعض المصادر التاريخيَّةِ كقول زينب: «قتلتَ أبي وعمي وزوجي، ونِلْتَ من قومي ما نلتَ»[٢]، وهو الدافع النفسي والذي لأجله اختيرت زينبُ كمنفِّذة لعملية الاغتيال وما تحمله من حقد دفين ورغبة جامحة في الانتقام من النبي ﷺ، ولا سِيَّما أن أهلها من سادة يهود وكبرائهم، فأما والدُها فكان من قادة خيبر وسادتِهم، وزوجها سلَّام بن مِشْكَم فكذا هو من سادات خيبر وقبل ذلك من سادات بني النضير، ومَرْحَب قيل: إنه أخوها أو عمها، وهو من سادات يهود كذلك.

لقد ظنت هذه الحمقاء بعد سلسلة من الهزائم التي مُنِيَ بها اليهودُ أنها في أواخر جولات النبي ﷺ ضدَّهم أنها باستطاعتها أن تُنْهِيَ هذا المشهد، وأن تَرُدَّ لليهود اعتبارَهم وقلاعَهم ومواطنَهم التي أجلاهم منها النبي ﷺ.

فهؤلاء هم مَنْ صَدَرَتِ المرأةُ عن رأيهم، ودفعوها لِدَسِّ السمِّ في الشاة بعد تَحَسُّسٍ وتجسُّسٍ في معرفة عادات النبي ﷺ في طعامه وأي جزء يشتهيه منه، فعلمت أن الذراع هو المفضَّل في طعامه ﷺ، فخصَّته بكثير من السمِّ، ولا أظنُّ أن إحضارَ هذا النوع من السم الذي يَفْتِكُ على الفور لم يكن إلا من خبيرٍ به عارفٍ بالنوع والمقدار المناسب بالفتك

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، وضعفه الذهبي بالانقطاع، وتقدم.

(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٦٧٨).

وطريقة إخفاء أَثَرِهِ في الطعام، من خلال طريقةِ طبخهِ وتتبيلهِ؛ لأن له جُرْمًا يُحِسُّ به كلُّ أحد، جريمةٌ متكاملةُ الأركانِ أشرَفَ على تنفيذها عصابةٌ كاملة وليست زينب لوَحْدِها، كما أن توقيت تحضير الشاة المَصْلِيَّة ووصولِها إلى مائدة النبي ﷺ يحتاج إلى نوع دقيق من التتبع لتحركات النبي ﷺ والتأكُّدِ من أنه لم يأكل طعامًا غيره، وأما طريقةُ دخول الطعام إليه فحتمًا أنها كانت بطريقة مدروسة ومخطَّطٍ لها، وأن زينب استغلت حسنَ علاقتها بزوج النبي ﷺ الجديدة صفية وحداثة سنها، وثقتَها بصاحبتها وقريبتها –ابنة خالتها– التي ظنت بها خيرًا، فانسلَّتْ من خلالها إلى مقرِّ إقامة النبي ﷺ.

ملابسات الحادث تبيِّن أن دراسةً كاملة أُحِيطَتْ بعادات النبي ﷺ وتحرُّكاته حتى وصلته الهديَّة المَلْغُومة بالسُّمِّ، والتي يعلمون أن النبي ﷺ يقبل الهدية ظنًّا منه أن في قبوله لهديتهم تحبيبًا لهم وتطييبًا لخاطر زوجه صفية، ونوعًا من الأمان لحسن المعاشرة والمعايشة معهم الذي يعطيه النبي ﷺ لأهل خيبر.

ويبدو أن التي قدَّمته إلى مائدة النبي ﷺ امرأةٌ أخرى؛ ليأمن جانبَها وجانبَ من زعمتْ أنها هدية منها للنبي ﷺ.

إذًا هذا عمل وحقد وتواطؤ جَمْعِيٌّ مدروس، موزَّعة فيه المهامُّ، كلٌّ وِفْقَ تخصُّصِه ودورِه المكلَّفِ به.

ويُظهر الحديث أن النبي ﷺ قام على التحقُّق مِن واضع السم، فعرف أنها زينب، والتحقُّق على المتواطئين، فعرف أنه مَنْ تبقَّى من يهود في خيبر.

### وثيقة أَرْمِنِيَّةٌ تثبت عملية تسميم النبي ﷺ:

في المجلة العربية للسنة الثالثة، العدد الثالث، كشف رئيسُ تحرير المجلة العربية

الغراء الأستاذ الدكتور منير العجلاني[١] عن مخطوطة أَرْمِنِيَّة قديمة تثبت أن تسميم النبي ﷺ كان بقرار من رؤساء اليهود.

وذلك عندما ظَفِرَ بوثيقة أرمنية قديمة، خلال مطالعته في دارِ الكتبِ الوطنية تتحدث عن ظهور النبيِّ محمد ﷺ في جزيرة العرب، وفي مطلع هذه الوثيقة -التي قام بترجمتها إلى الفرنسية مسيو ماكلر- إشارةٌ إلى حادثة تسميم النبيِّ ﷺ، وهي من تدبير رؤساء اليهود في المدينة وبقرار منهم! وليس ذلك بمستغرب عنهم، فقد تآمروا على قتل الرسول ﷺ وقتاله غير مرة.

ترجمة مَطْلَع الوثيقة: «يقال: إن الأمة اليهودية تحسُد أمةَ النصارى، ولمَّا جاء محمدٌ وعَظُمَ أمرُه اجتمع رؤساء اليهود وقالوا في أنفسهم: لِنَضُمَّهُ إلينا، بأن نزوِّده بأحكام ديننا فينشرها بين الناس؛ وبذلك نتغلَّب على النصارى وأناجيلهم، ولكنَّ المسلمين الذين انتصروا على أعدائهم وفتحوا الفتوحات العظيمة لم يكترثوا لليهود ولم يقيموا لهم وزنًا، بل اضطروا أحيانًا إلى قتالهم! فعاد رؤساءُ اليهود إلى الاجتماع والتفكير في أسلوب يتخلَّصون به من محمد... فاختاروا من نسائهم فتاةً جميلة، وقالوا لها: يجب عليك أن تَدْعِي محمدًا إلى وليمة وتَقْتُلِيهِ! ففعلت المرأة ما أمرها الرؤساء به».

---

(١) منير العجلاني (١٩١٤- ٢٠ حزيران ٢٠٠٤) سياسي سوري ورجل قانون، سليل أسرة دينية عريقة، تولى أبناؤها نقابة الأشراف لقرون، وتقلَّد عدة مناصب حكومية في بلاده، منها العدل والمعارف، قبل أن يتم اعتقاله قُبيل الوحدة السورية المصرية، بتهمة الضلوع في محاولة انقلاب ضد أنصار الرئيس جمال عبد الناصر في سورية، وخلال سنواته الجامعية نَشِطَ في الجمعيات الطلابية ضد الاستعمار الفرنسي في بلاده، وكان يكتب في الصحف الفرنسية، وكان العجلاني من أشهر أساتذة القانون في جامعة دمشق، وقد تولى رئاسة الجامعة بالوكالة عام ١٩٥٤م، وهو أحد مؤسسي تنظيم القمصان الحديدية في سورية، وهو صهر رئيس الجمهورية تاج الدين الحسني، الذي حكم ما بين ١٩٤١-١٩٤٣م.

لقد جاءت هذه الوثيقة بجملتها؛ موافقة لما جاء في السُّنَّة لجريمة تسميم النبيِّ ﷺ، ويبدو أن هذه القصة كان لها صدًى كبيرٌ في زمانها، حتى حفظ النصارى هذا الحدثَ ودوَّنوه، ليأخذوا حِذْرَهم من اليهود.

## النبي ﷺ يأخذ الحَيطة والحذر من أي طعام يُقَدَّمُ له:

أخرج الطبراني عن عمَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ لا يأكل من هديةٍ حتى يَأْمَنَ صاحبَها أو يأكلَ منها؛ للشاةِ التي أُهديت له بخيبر»(١).

وذكره ابن عساكر في «تاريخه» في ترجمة مسلم بن قتيبة: «كان رسولُ الله ﷺ لا يأكل الهديةَ حتى يأكلَ منها مَن أهداها إليه، بعد ما أَهدت إليه المرأةُ الشاةَ المسمومة بخيبر»(٢).

ومن ذلك ما جاء عن ابن الْحَوْتَكِيَّةِ، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ بأرنب يهديها إليه، فقال: **مَا هَذَا؟** قال: هدية، وكان رسول الله ﷺ لا يأكل من الهدية حتى يأمر صاحبَها، فيأكل منها من أجل الشاة التي أهديت إليه بخيبر»(٣).

## نساءٌ يهودياتٌ على خُطَى زينبَ في حقدها:

- امرأةٌ يهودية وبتحريض زوجها في حصار بني قريظة ألقتْ حَجَرًا على خلَّاد بن سُويد فقتلته، فضرب رسول الله ﷺ عنقَها وهي تضحك غير مبالية(٤).

- أُمُّ قِرْفَةَ فاطمةُ بنت ربيعة بن بدر الفَزَارية، عجوز لها جهود تحريضية ضد الرسول ﷺ،

---

(١) أخرجه البزار (١٤١٣-البحر الزخار)، والبيهقي في الشعب (٥٦٥١)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١): رواه البزار والطبراني، ورجال الطبراني ثقات.

(٢) تاريخ دمشق (٢٢ / ١٤٧ - ١٤٨)، وتقدم قبله من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٥٦٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (١٢/ ٨٦).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٨١٦٤) وقال: منقطع.

أَعَدَّتْ ثلاثين فارسًا لمحاولة اغتيال النبي ﷺ، تخلَّص منهم أبو بكر في غارة مباغِتة[١].

- عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن يهوديةً كانت تشتُمُ النبيَّ ﷺ وتقعُ فيه، فخنقَها رجلٌ حتى ماتت، فأبطل رسولُ الله ﷺ دَمَها[٢].

## من فوائد الحديث

١- مِن معجزة الله لمحمد ﷺ أنه لم يؤثِّر السمُّ بذاته، مع أن الصحابيَّ الجليل بشرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات من فوره، وهذا دليل على قوَّةِ السمِّ الذي دَسَّتْهُ اليهوديةُ في الشاة، وسرعةِ تأثيره.

٢- معرفةُ حجم الحقد اليهودي على رسول الله ومَن معه بقوة السم الذي اختاروه ليَفْتِكَ على الفور بالنبيِّ ﷺ.

٣- رسول الله ﷺ مات شهيدًا من أثر السم الذي بقي أثرُه في جسده الشريف.

٤- الحديث دليلٌ على جواز أكل طعامِ أهل الكتاب، وجوازِ مبايعتهم ومعاملتهم مع اشتمال أموالهم على الربا ونحوه من الشبهة.

٥- الحديث يبيِّن أهميةَ الحجامة في إخراج السم من الجسد، ونجوعها في علاج ذلك أو التخفيف منه.

٦- رَفْضُ النبيِّ ﷺ قتلَ المرأة التي دسَّت السمَّ دليلٌ ظاهر أن النبي محمدًا ﷺ لم ينتصر أو ينتقم لنفسه ما لم تُنتهك حرماتُ الله، وصَدَقَ فيه قولُ المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم (٤٦٢)، وأمالي المحاملي (١٥٧)، والضعفاء الكبير، للعقيلي (١٥٧) في ترجمة: يحيى بن محمد بن عباد الشجري راويه عن محمد بن إسحاق، وقال: في حديثه مناكير وأغاليط.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٦٢) وله شاهد من حديث ابن عباس، وقال الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٩١): وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

٧- من فقه الحديث: الدلالة على أن المعاهدَ إذا نقض العهدَ فإن الإمام مخيَّر بين قتله أو العفو عنه.

٨- من معجزاته ودلائل نبوته ﷺ كلامُ الجماد له -الشاة المشوية- وتحذيرُه من السم الذي فيه.

٩- والظاهر من الحديث أن النبيَّ ﷺ لم يُجْرِ على من تبقَّى من أهل خيبر عقوبةً؛ لحاجته إليهم لزراعة الأرض لخبرتهم في ذلك.

١٠- هذه الحادثة تؤكِّد على بشريَّة النبي ﷺ، وأنه يُحْسِنُ الظنَّ وأَمِنَ جانبِ أناسٍ لا يستحقُّون إحسانَ الظنِّ أو ثقةً بهم.

١١- على المؤثِّرين في الأمة أخذُ الحَيطة والحذر في حماية أنفسهم وأتباعهم، وألا يكونوا لقمةً سائغة لأعدائهم.



# الحديث التاسع عشر

## حِيَلُ نسائهم في الإغراء والإغواء

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا» وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ[1].

### مقدمة

لا زال أهل الغواية والفساد يبتدعون الطرق والوسائل التي يفسدون بها، ويزينون عوارهم، حتى يبدو في نظر المغرورين بهم أن لهم جمالًا زيَّنه الشيطان.

### شرح الحديث

**قوله: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»:**

وهذا من تحديث النبي ﷺ عن بني إسرائيل والذي لا حرجَ فيه؛ لأن المخبِرَ عنهم هو النبي ﷺ.

**قوله: «قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ»:**

١ - المُرَاد بالرجلَيْنِ: النَّعْلَانِ، فَكَأَنَّهَا اتَّخذت نَعْلَيْنِ لَهما كَثَافَة فطالت بهما، وجاء في صحيح ابن حبان: «ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ اتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ؛ لِتَتَطَاوَلَ بِهَاتَيْنِ الْمَرْأَتَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ»[2]، وهو ما يعرف اليوم بالكعب تنتعله بعض النساء لذات الهدف الذي لبسته

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٢).

(٢) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٠٥).

هذه المرأة من بني إسرائيل؛ لتبدو إحداهن طويلة رشيقة مع أنه ضار لعمودها الفقري وسبب من أسباب سقوطها، إلا أن بعض النساء يصررن على لبسه!

**قوله: «وخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ»:**

**قوله: «مُطبَق»:** الَّذِي دَاخله فارغ.

**قوله: «حَشَتْه»:** وملأتْ فَصَّهُ مسكًا.

**قوله: «مِسْكًا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ»:** وهذا دليلٌ على أن المسكَ أفضلُ أنواع العطور وأجودُه وأغلاه، وهذا ما تعارف عليه البشر، فهذه المرأة اتخذت كل السبل التي تُغْرِي بها الرجالَ، ومنها أنها اختارت أفضلَ أنواع العطور ولم تكتفِ بهذا، بل كلما مرت بملأ فتحتْ خاتمها وأثارتْ الطيب بأُصْبُعِها حتى يشتم رائحتَه كلُّ من مرت به، أو أخذت بأصبعها منه ثم نَفَضَتْهَا ليتطاير أثرُه مِن حولِها كما بيَّن شعبةُ، ودرءًا للفتنة فقد نهى الرسول ﷺ أن تتطيب النساء عن خروجها، ففي الحديث: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**»(١).

ويُستخرج المسكُ عن طريق الغُدَدِ البطنية للأيل المِسْكِيِّ (غزال المسك) محشوَّةً في كيس شعري باللون البني بما يعادل ٢٥ غرامًا من المسك، وينشِّط الذكرَ خلال فترة التكاثر والذي يَرْغَبُ في جذب الإناث برائحة المسك القوية التي تحدد مكانه.

**قوله: «فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا»:**

وفي رواية: «**فإذا مرَّت بالمسجد أو بالملإ قالت به؛ ففَتَحَتْهُ؛ ففاح ريحُه**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٧٨)، وأبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٥١٢٦)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١١٤٢٦)، وابن خزيمة (١٦٩٩)، وابن حبان (٥٥٩١)، وصححاه.

وفي رواية: «**فَبَعَثُوا إِنْسَانًا يَتَّبِعُهُمْ، فَعَرَفَ الطَّوِيلَتَيْنِ، وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحِبَةَ الرِّجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ**»(١).

**قوله: «فقالت بيدها هكذا»:** قال ابنُ الأثير: العربُ تجعل القولَ عبارةً عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقولُ: قال بيده، أي: أَخَذَ، وقال برجله، أي: مشى(٢).

**قوله: «وَنَفَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ»:** شُعْبَةُ هو: شعبة بن الحجاج أحد أئمة رواة الحديث.

وفي رواية أحمد: قَالَ الْمُسْتَمِرُّ بِخِنْصَرِهِ الْيُسْرَى، فَأَشْخَصَهَا دُونَ أَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ شَيْئًا، وَقَبَضَ الثَّلَاثَ (٣).

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَحَشَتْ تَحْتَ فَصِّهِ أَطْيَبَ الطِّيبِ الْمِسْكَ، فَكَانَتْ إِذَا مَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ حَرَّكَتْهُ فَنَفَحَ رِيحَهُ**»(٤).

وفي رواية عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «**وَصَاغَتْ خَاتَمًا فَحَشَتْهُ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ الْمِسْكِ، وَجَعَلَتْ لَهُ غَلَقًا**»(٥).

وفي رواية عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «**وَجَعَلَتْ لَهُ غَلَقًا، فَإِذَا مَرَّتْ بِالْمَسْجِدِ أَوْ بِالْمَلَإِ قَالَتْ بِهِ، فَفَتَحَتْهُ فَفَاحَ رِيحُهُ**»(٦).

ويبدو أن المرأةَ اليهودية كانت مرشَّحةً أكثرَ من غيرها لأن تنخرط في صفوف حركات تحرير المرأة، وإشاعتِها للفساد والرذيلة وبيوت الدعارة والمرئيات الإباحية؛ لأن التلمود

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٥٨)، وقال الألباني في الصحيحة (٥٩١): وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٤).

(٣) أخرجه أحمد (١١٤٢٦)، وابن خزيمة (١٦٩٩)، وابن حبان (٥٥٩١) وصححاه.

(٤) أخرجه أحمد(١١٣٦٤)، وابن حبان (٥٥٩٢) وصححه.

(٥) أخرجه أحمد (١١٤٢٦)، وأبو يعلى (١٢٩٣)، وابن خزيمة (١٦٩٩) وصححه.

(٦) أخرجه أحمد(١١٤٢٦)، وابن حبان(٥٥٩١)، وابن خزيمة (١٦٩٩) وصححاه.

كان سببًا للحط من قدرها ومكانتها، وجعلِها سلعةً تُحَقِّقُ مآرب اليهود، فكان لها الدورُ الأساسُ في حركات التمحور حول الأنثى، وكان الداعي إلى ذلك في الغرب وعند كل مَن تأثَّر بدعاوى تحرير المرأة، هو:

١- ارتدادُ المرأة اليهودية عن دينها الذي هو سببُ الحطِّ من كرامتها وإنسانيتها، والتعاملِ معها على أساسِ الاحتقارِ والتقليلِ من شأنها، فحاولت أن تجد من التحرر سببًا لعزَّتها ورفعة شأنها وردِّ الاعتبار لها.

٢- التحللُ وممارسة الرذيلة مع غير اليهود أوامرُ شرعيةٌ حضَّت عليها الكتب المقدسة وفتاوى حاخامات اليهود، كل ذلك هيَّأ الأنثى اليهودية لتقبُّل الفاحشة والرضا بها دونما شعورٍ بالإثم أو تأنيبِ الضمير.

هذه الأسباب جعلت من المرأة اليهودية أكثرَ ترشيحًا من غيرها للقيام بأدوار التحرُّر والتفلُّت الأنثوي على القيم والمبادئ، والمساهمة الفاضحة في نشر الرذيلة وإشاعتها بين الناس، فكانت أولُ هذه الحركات النسوية بين النساء اليهوديات الألمانيات.

جاء في كتاب (وجه المرآة) للمؤلفة الصهيونية (ياعيل دايان) ابنة الإرهابي موشي دايان الذي كان زعيمًا لعصابات الهاجاناه تقول فيه: «فالفتاة الإسرائيليَّة تستطيع أن تعيش مع أربعة، وأن تعاشر عشرين... نحن نعيش اشتراكية كاملة مطلقة». وجاء في بروتوكلات حكماء صهيون: «علينا أن نكسب المرأةَ؛ ففي أيِّ يومٍ مدَّتْ إلينا يدَها رَبِحْنَا القضية»، وفي هذه البروتوكلات المنسوبة لبني صهيون، نجد أنَّ فيها حثًّا كبيرًا للنساء اليهوديات على نشر الفساد الأخلاقي، وأن تتصرَّف في جسدها كما تشاء!

### شرعنة الدعارة:

وفي عام ١٩٨٠ صدر قانونُ إباحةِ الدعارةِ وتنظيمِها في الكيان الصهيوني.

ففي تقريرٍ أعدته لجنةُ التحقيق البرلمانيةُ برئاسة عضو الكنيست الإسرائيلي زهافا جعلون: أنه جرى خلال السنوات الماضية تهريبُ ما بين ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ امرأة من الخارج إلى إسرائيل؛ لغرض تشغيلهم بالدعارة.

وفي ما يسمى بدولة إسرائيل تعتبر أعلى نسبةَ إجهاضٍ في العالم، يقول عضو الكنيست «شاكي»: إن مليون عملية إجهاض تمت في إسرائيل منذ قيامها.

وقد أدرك الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين مدى خطورة الأخلاق اليهودية وكيف أنها كانت سببًا رئيسًا في فساد المجتمع، حتى أعلن صرخته في بيان عام ١٧٨٩م، وقال: هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة.. هذا الخطر هو اليهود؛ ففي كل بلد يستقرُّون فيه يحطِّمون الروح المعنوية.

ولهذا حث هتلر الألمانَ على محاربةِ الدعارة التي نشرها اليهودُ.

يحرِّم أغلب الحاخامات تجنيدَ النساء في الجيش؛ لذا يَحِقُّ لمن تُعلن عن نفسها أنها متديِّنة إعفاؤها من الخدمة العسكرية، لخطورة اختلاط المجندات بالمجندين؛ حتى ألَّف الحاخام «مايل» كتاب «الفرخة والذئاب»؛ لأن التجنيدَ طريقٌ إلى الإباحية.

في كتاب (العالم السفلي) لمؤلفه (نتان) مراسل دافار لشؤون الشركة سابقًا: يصل عائدُ سوق المخدرات في إسرائيل سنويا ٢ مليار دولار، يذهب نصفها إلى الحاخامات ومؤسساتهم الدينية، وأن هناك أكثر من ١٥٠ محطة دينية يهودية مرخَّصة على أساس التعليم الديني، نصفُها للأفلام الإباحية وترويجِ الدعارة.

لم تكن ردَّة فعل النساء اليهوديات فقط على التفلُّت من القيود الدينية، فقد كانت هناك فئة منهن تعمل باتجاه المطالبة بالحقوق الدينية، وهو ما سعت إليه اليهودية الإصلاحية التي

أُعلنت عام ١٩٧٢م عن الحاخام الأنثى «سالي برايساند» كمحاولة لإعطاء الأنثى العبرية دورًا دينيًّا محوريًّا، وفي عام ١٩٧٣م تم الموافقة على أن تكون المرأةُ ضمن النصاب (منيان) اللازمِ لإقامةِ الصلاة والقراءة من التوراة في المعبد، ومشاركةِ الرجال في العبادات الخاصة بحائط البراق، وأسَّسْنَ لذلك هيئة «نساء الحائط» وارتدين شالًا «طاليت» خاصًّا بالإناث، وهي عبادات كانت مقصورةً على الذكور فقط، وشيئًا فشيئًا بدأت تأخذ دورَها ومكانتَها بشكل أكبرَ، حتى شمل أغلبَ الطقوس اليهودية، فقد وافقت اليهوديةُ المحافظةُ على قبول الإناث كحاخامات في ١٩٨٥م، وكمنشدات (حزان) عام ١٩٨٧م.

لقد تمادت حيلُ النساء العبريات بعد تجاوزِها مرحلةَ اختراقِ جميع العبادات الخاصة بالرجال، والتي كانت محصورةً عليهم، حتى إلهُ اليهود حاولت بعض الجماعات أن تشير إليه (الإله الأنثى الذكر) أو الاقتصار فقط على وصفه الإلهَ الأنثى، كقولهم: «ملكة الدنيا»، و«سيدة الكون» و«الشخيناه».

وقد استوحى هذا الفريقُ من النساء هذه الرؤيةَ من أساطير يهودية تقول: إن لآدم زوجةً أولى قبل حواء اسمها (ليليت) المنتقمة من الإله، والنساء، المتزوجات، وكل شيء أنثى، وتقتل الأطفال.

وقد استحدثوا عيدًا أنثويًّا «عيد القمر الجديد» استنادًا إلى نص في التلمود يقول: «القمر سيصبح يومًا ما مساويًا للشمس»، وهو تأويل يشير إلى المساواة والنِّدِّيَّة بين الذكر والأنثى.

لقد كان كُتَّابُ التوراة والتلمود وفتاوى الحاخامات المُلْهِمَ لهم لفساد نسائهم وتجرُّئهم على الدعارة ونشرِها بين الناس، وسنتطرَّق إلى بعض النصوص التوراتية الشاذة

والمنحرفة والتي تحكي أخلاقَ نساءِ وبناتِ أنبيائهم، ومدى الانحراف المخيف، وإليكم بعضَها من كتابهم المقدس التوراة:

## بنات نبي منحرفات وشاذات:

جاء في سفر التكوين: «وصعد لوطٌ من صوغر وسكن في الجبلِ وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكنَ في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه»(١).

وفيه: «وقالت البكرُ للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض»(٢).

وفيه: «هَلُمَّ نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه؛ فنحيي من أبينا نسلًا»(٣).

وفيه: «فسَقَتَا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها»(٤).

وفيه: «وحدث في الغَدِ أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا، فادخلي اضطجعي معه؛ فنحيي من أبينا نسلًا»(٥).

وفيه: «فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها»(٦).

وفيه: «فحَبِلَتِ ابنتا لوط من أبيهما»(٧).

وفيه: «فولدت البكر ابنًا، ودعت اسمه مواب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم»(٨).

---

(١) (١٩: ٣٠).
(٢) (١٩: ٣١).
(٣) (١٩: ٣١).
(٤) (١٩: ٣٣).
(٥) (١٩: ٣٤).
(٦) (١٩: ٣٥).
(٧) (١٩: ٣٦).
(٨) (١٩: ٣٧).

- الحَمْوُ يزني بزوجة ابنه:

جاء في سفر التكوين: «فأخبرت ثامار وقيل لها: هو ذا حموكِ صاعد إلى تمنة ليَجُزَّ غنمه»(١).

وفيه: «فخلعت عنها ثياب تَرَمُّلِها وتغطَّت ببرقع، وتلفَّفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة؛ لأنها رأت أن شيلة قد كَبِرَ وهي لم تعطِ له زوجةً»(٢).

وفيه: «فنظرها يهوذا وحسبها زانيةً؛ لأنها كانت قد غطت وجهها»(٣).

وفيه: «فمال إليها على الطريق، وقال: هاتي أَدْخُلْ عليكِ؛ لأنه لم يعلم أنها كَنَّتُهُ، فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل عليَّ؟»(٤).

وفيه: «فقال: إني أُرسِل جدي معزي من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهنًا حتى ترسله؟»(٥).

وفيه: «فقال: ما الرهن الذي أعطيكِ؟ فقالت: خاتمك وعِصَابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها فحَبِلَتْ منه»(٦).

- امرأة نبيٍّ كاذبةٌ ومخادعةٌ وزانية:

جاء في سفر التكوين: «فخدم يعقوبُ براحيلَ سبع سنين، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها»(٧).

وفيه: «ثم قال يعقوب للابان: أعطني امرأتي، لأن أيامي قد كملت فأَدْخُلَ عليها»(٨).

---

(١) (٣٨: ١٣).
(٢) (٣٨: ١٩).
(٣) (٣٨: ١٥).
(٤) (٣٨: ١٦).
(٥) (٣٨: ١٧).
(٦) (٣٨: ١٨).
(٧) (٢٩: ٢٠).
(٨) (٢٩: ٢١).

وفيه: «فجُمع لابان جميعَ أهلِ المكان وصنعَ وليمةً»[١].

وفيه: «وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنتَه وأتى بها إليه فدخل عليها»[٢].

وفيه: «وأعطى لابانُ زلفةَ جاريتَه لليئةَ ابنتِه جاريةً»[٣].

**تعليق:**

هنا المرأة تنافِسُ أختها على الزوج؛ فليئة تخدع يعقوب على أنها راحيلُ ليدخل بها وتكون زوجته قبل راحيل، بالإضافةِ إلى أن ليئة كاذبة، فهي أيضًا لا تقدِّر معنى الأخوة.

إن وجود هذه الرواية -وأيًّا كانت هذه المرأةُ- يُعطي مشهدًا تصويريًّا: كيف أنَّ نساءَ وبناتِ الأنبياء ظَهَرَ منهن الشَّبَقُ والتساهل في الحرام!.

## التوراة تَكْرَهُ النساء:

جاء في سفر الجامعة: «المرأة أمرُّ من الموت: ولا وجودَ لمرأةٍ صالحةٍ ولو بنسبة واحد في الألف!» [٤].

وفيه: «فوجدت أَمَرَّ من الموت المرأةَ التي هي شِبَاكٌ وقلبها أَشْرَاكٌ ويداها قيودٌ، الصالحُ قُدَّامَ الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها»[٥].

وفيه: «التي لم تزل نفسي تطلبها فلم أَجِدْها رجلًا واحدًا بين ألفٍ، وجدت إمَّا امرأةٌ فبَيْنَ كلِّ أولئك لم أجد»[٦].

**تعليق:**

هنا تتعرض المرأةُ إلى سَيْلٍ من الاتهامات والإهانات وفي الكتاب المقدس!! وهذا حكمٌ شموليٌّ على النساء بحيث لا تُوجَدُ واحدةٌ بالألف امرأةً صالحةً، فيا لَلْمرأةِ المسكينةِ

---

(١) (٢٩: ٢٢).
(٢) (٢٩: ٢٣).
(٣) (٢٩: ٢٤).
(٤) (٢٤: ٧).
(٥) (٧: ٢٦).
(٦) (٧: ٢٨).

في دين اليهود!!.

### المرأةُ حمقاءُ وهي سبيلٌ الى الهاوية:

جاء في سفر الأمثال:«المرأة الجاهلة صخَّابةٌ حمقاءُ ولا تدري شيئًا»(١).

وفيه: «ولا يعلم أن الأخيلة هناك، وأن في أعماق الهاوية ضيوفَها»(٢).

**تعليق:**

في هذا النص وصفٌ وضيع للمرأة أيضًا؛ لتنطبع صورةٌ مُشوشةٌ عنها في مُخَيِّلَة القارئ، فأين الوصفُ الرفيع لها؟

### وصف المرأة بالخيانة:

جاء في أرميا: «حقًّا إنه كما تخون المرأةُ قرينَها هكذا خُنْتُمُونِي يا بيتَ إسرائيل يقول الرب»(٣).

وفيه: «سُمع صوتٌ على الهضاب، بكاءٌ تضرعاتُ بني إسرائيل؛ لأنهم عوجوا طريقهم، نسوا الرب إلههم»(٤).

**تعليق:**

لماذا تنصبُّ اللعناتُ دائمًا على المرأة؟ لماذا ربُّ بني إسرائيل يشبِّههم بالمرأة الخائنة ولا يشبههم بالرجل الخائن؟ إنها عقدة اليهود الراسخة ضد المرأة.

### - الرب يعاقب داود بانتهاك عرض نسائه:

جاء في صموئيل الثاني: «وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أختٌ جميلة

---

(١) (٩: ١٣).
(٢) (٩: ١٨).
(٣) (٣: ٢٠).
(٤) (٣: ٢١).

اسمها ثامار، فأحبَّها أمنون بن داود»[١].

وفيه: «وأُحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أختِه؛ لأنها كانت عذراء، وعَسِرَ في عينَي أمنون أن يفعل لها شيئًا»[٢].

وفيه: «فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع، وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكًا أمامه وخبزت الكعك»[٣].

وفيه: «وأخذت المِقْلَاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل، وقال أمنون: أَخْرِجوا كل إنسان عني، فخرج كل إنسان عنه»[٤].

وفيه: «ثم قال أمنون لثامار: ائتي بالطعام إلى المِخْدَعِ فآكُلَ من يدكِ، فأخذتْ ثامارُ الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع»[٥].

وفيه: «وقدمت له ليأكل، فأمسكها وقال لها: تعالَي اضطجعي معي يا أختي»[٦].

وفيه: «فقالت له: لا يا أخي، لا تُذِلَّنِي؛ لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل، لا تَعْمَلْ هذه القَبَاحة»[٧].

وفيه: «أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكونُ كواحدٍ من السفهاء في إسرائيل، والآن كلم الملك؛ لأنه لا يمنعني منك»[٨].

---

(١) (١٣: ١).
(٢) (١٣: ٢).
(٣) (١٣: ٨).
(٤) (١٣: ٩).
(٥) (١٣: ١٠).
(٦) (١٣: ١١).
(٧) (١٣: ١٢).
(٨) (١٣: ١٣).

وفيه: «فلم يشأ أن يسمع لصوتها، بل تمكَّنَ منها وقَهَرَها واضطجع معها»[١].

**تعليق:**

هذه القصة ذكرها واخترعها الأفَّاكون كدليل على عقاب الربِّ لداودَ؛ لأنه زنى بجارته، فالعقوبةُ هي أن تنتشر الدعارة ببيته، ففي صموئيل الثاني: «هكذا قال الرب: ها أنا ذا أُقيم عليك الشرَّ من بيتك، وآخُذُ نساءك أمام عينيك، وأُعْطِيهِنَّ لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس»[٢].

الانحلال الجنسي نتيجةٌ طبيعية، ومُخْرَجٌ من مُخْرَجات التربية التوراتية والتلمودية، وهو يكفي لتنشئة جيل نسائي فاجر ومعبَّأٍ بالنصوص الدينية التي تبرِّر أفعالَها المشينة، وتكسِر كل القيود التي تدعو إلى العفة والشرف، وهي المهنة التي عُرفوا بها وروَّجوا لها بلا ضمير أو قيود.

### إفساد شباب المسلمين:

كما أن النساء عند اليهود يوظَّفْنَ في فتنة أبناء المسلمين وإفسادهم، وإبعادهم عن دينهم، يُغْرِينَهُمْ، وإغراؤهم لهم في أماكن العمل والشوارع والطرقات، ويعملن على إسقاط الشباب والفتيات في براثن العَمَالة للاحتلال من خلال الجنس وغيره.

فقد ذَكَرت إحصائيةٌ حديثة أن منطقة تل أبيب وضواحيها يَعْمَلُ فيها ١٣٨٧ موقعًا، ما بين مركزٍ علني رسمي مرخَّص للدعارة، ومؤسساتٍ سياحية وفنادقَ ومراكزَ صحيةٍ ورياضيةٍ تقدِّم نفسَ الخدمات، حيث يمثل ذلك ما نسبته ٥٧٪ من مجموع المواقع الموجودة في الكيان اليهودي !!، حيث لم يَضَعْ أيًّا من القوانين والتشريعات التي تحرِّم

---

(١) (١٣: ١٤).
(٢) (١٢: ١١).

ممارسة الدعارةِ والبغاءِ، ولا يعتبرها مخالفةً جنائيةً.

وكشفت أسبوعيةُ «يروشاليم» اليهوديةُ في أحد أعدادها أن هذا النوعَ من التجارة تميَّزت في إسرائيل أكثرَ من بعض دول شرق آسيا وأمريكا اللاتينية؛ وذلك لاعتبارات سياسية أكثر من كونها ماديةً تجاريةً.

«ووصف وزير السياحة (أمنون روبنشتاين) المجتمعَ اليهودي في فلسطين بأنه من أكثر المجتمعات إباحيةً»(١).

وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

إفسادُ المسلمين بالكشف عن عورتها، أو التزيُّنِ لهم، أو القيام بإغوائهم وإغرائهم وفتنتهم في دينهم، من خلال الإغراءات الجنسية وغيرها، فإنها تُعتَبر بذلك محارِبةً، يجوز قصدُها بالقتل، وذلك أن فتك هذا السلاح في الأمة أنكى من فتك السهام والسيوف والبنادق والقنابل، فالمرأة التي تُعتبر عاملَ إفساد للمسلمين في دينهم تُعتَبر عسكريةً؛ لأنها تشارك في الحرب العسكرية وكذلك الدينية.

وأثناء الاشتباكات والمواجهات التي جرت في انتفاضة الأقصى بين الشبان الفلسطينيين والجنود اليهود في منطقة المنطار قربَ مدينة غزة، قام جنودُ الاحتلال بالاختفاء فجأة في مواقعهم العسكرية، ثم خرجت مجندة يهودية واعتلت مقدِّمة دبابة، وبدأت بخلع ملابسها أمام المتظاهرين حتى تعرَّتْ بالكامل، وأضافت الصحيفة: «ما كان من الشبان إلا أن تقدَّموا، وأمطروا المجندة بوابل من الحجارة والزجاجات الفارغة، لكنها

(١) موسوعة اليهود واليهودية (٥/ ٢٥١).

شرعت بإطلاق الرصاص على رؤوسهم وصدورهم من خلال مسدس كانت تخفيه في ملابسها الداخلية !»[١].

ويصف الرئيس الألماني السابق أدولوف هتلر حجمَ صدمته من الفساد الأخلاقي الذي كانت تبثُّه الجماعات اليهودية في أوربا وتحديدًا ألمانيا، فيقول: «لقد لمستُ الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثِّله اليهودُ في ترويج سوق الدعارة والاتِّجار بالرقيق الأبيض»[٢].

وإنجيل متَّى يصف كذبَهم ودعواهم الورعَ الكاذبَ: «يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون تتكلموا بالصالحات، وأنتم أشرار»[٣].

## من فوائد الحديث

١- لا زال الطِّيْبُ هو من وسائل جذب النساء للرجال؛ لهذا جاء تحريم تعطُّرِ المرأة خارجَ بيتها، أو بين من هم ليسوا محارمَها، في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا**» يَعْنِي: زَانِيَةً[٤].

٢- جاء في الأثر أن فتنةَ بني إسرائيل في النساء، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[٥].

---

(١) جريدة الرأي العام ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ الموافق ١٣ أغسطس ٢٠٠١ العدد (١٢٤٧١).
(٢) كفاحي، أدولوف هتلر (ص ١١).
(٣) إنجيل متى، الإصحاح (٢٣) العدد (٢٥).
(٤) أخرجه أحمد (١٩٧١١)، والترمذي (٢٧٨٦)، وقال: حسن صحيح.
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- استغلَّ مروِّجُو الفتنة والغَوَاية -وعلى رأسهم اليهودُ- النساءَ في غَوَاية الرجال وإسقاطهم في مستنقعات الرذيلة والمخابرات؛ لاستخدامهم في اختراق الأمة والعبث في مصيرها.

٤- اليهودُ هم من تخصَّصُوا دون غيرهم في المتاجرةِ بأعراضِهم ديانةً وخدمةً لمشاريعهم الأمنية والسياسية والعسكرية وغيرها من أهداف أخرى.



## الحديث العشرون

# هلاكُ بني إسرائيل بسبب وَصْلِ نسائهم شعورَهُنَّ

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ، فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ، وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيٍّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ وَيَقُولُ: **إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ**»[1].

## مقدمة

أهلك اللهُ تعالى أُمَمًا على ذنوب اسْتَمْرَأُوها في أعينهم هي من الصغائر، لكنها عند الله من المهلِكات الفانيات، أُخِذَ بسببها أممٌ.

## شرح الحديث

**قوله: «أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ»:**

وَكَانَ ذَلِك فِي سنة إِحْدَى وَخمسين، وَهِي آخرُ حجَّة حَجَّها مُعَاوِيَة فِي خِلَافَته[2].

كان أمراءُ المسلمين حريصين على قومهم من اقترافِ المعاصي مهما صَغُرَتْ، فكانوا يَلْحَظون الصغائر، ولا يغضُّون الطرْف عنها، كما يلحظون الكبائر، ولا يسكتون عنها.

وكانوا يعلمون أن اقتراف الصغائر مَدخلٌ للتساهلِ وطريقٌ لاقتراف الكبائر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٨)، ومسلم (٢١٢٧).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٥٤).

**قوله: «فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ، وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيٍّ»:**

**قوله: «قُصَّةً من شعر»** بضم القاف: ما أَقْبَلَ على الجبهةِ من شعر الرأس، سُمِّي بذلك لأنه يُقَصُّ[١].

**قوله: «حرسي»:** أي: مِنْ خَدَمِه الذين يحرسونه، وقد يُراد به الجندي، أو كالشُّرَطِيِّ وهو غلام الأمير.

**قوله: «فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟!»:**

سُؤَال للإنكار بسبب تقصيرهم في إغفالهم إنكارَهم على نسائهم هذا المنكرَ، وغفلتِهم عن التحذير منه.

**قوله: «أين علماؤكم»:** يحتمل أن يريد: ليَشهدوا لِمَا أقول، ويحتمل أن يريد: ليتعلَّموا ما أقول، فقد غَفَلُوا عنه[٢].

**قوله: «أين علماؤكم؟!»:** فيه إشارة إلى قلَّة العلماء يومئذ بالمدينة، ويَحتمل أنه أراد بذلك إحضارَهم؛ ليستعين بهم على ما أراد من إنكار ذلك، أو ليُنكرَ عليهم سكوتَهم عن إنكارِهم هذا الفعلَ قَبْلَ ذلك[٣].

ولكن لا يعني ذلك أن هذا المنكرَ استشرى في أهل المدينة، لكنه ظهر في بعض نسائها، فحرص معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مقاومتِه والتحذيرِ منه قبل فشوِّه فيهم.

**قوله: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ؟»:**

وفي روايةٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَفِي يَدِهِ قُصَّةٌ مِنْ شَعْرٍ يَقُولُ: مَا بَالُ نِسَاءٍ يَجْعَلْنَ فِي رُءُوسِهِنَّ مِثْلَ هَذَا؟ سَمِعْتُ

---

(١) فتح الباري (١/ ١٧٤).
(٢) شرح مسند الشافعي، للرافعي (٣/ ٤١).
(٣) فتح الباري (١٠/ ٣٧٥).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَجْعَلُ فِي رَأْسِهَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ غَيْرِهَا، إِلَّا كَانَ زُورًا»**[١].

وهو ما نهى عنه النبيُّ ﷺ كما أخبر عن ذلك الصحابيُّ الجليل ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ**» قَالَ نَافِعٌ: الْوَشْمُ فِي اللِّثَةِ[٢].

**قوله: «وَيَقُولُ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ»:**

هذا دليل على أن حكمَ وصل الشعر لإطالتِه والتزيُّنِ به محرَّمٌ في شريعة بني إسرائيل؛ لأنهم استحقوا العقوبة لمَّا اتخذته نساؤهم.

**قوله: (هلكت):** كان ذلك سببَ هلاكهم، أي: بسبب اتِّخاذِهن وصلَ الشعر، ولم يكن من رجالهم أو من أهل النَّهْيِ عن المنكر مَنْعُهُنَّ من ذلك، إذ كان محرَّمًا فخالف النساءُ وفعلْنَه، وسكت الرجالُ فلم يمنعوهن، والمراد بالمنهيِّ عنه وصلُ الشعر.

**قوله: «الكُبَّة» من أشكال التزوير في شعر النساء:**

عن سَعِيد بْنَ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قدم معاوية المدينة فخطبنا وأخرج كُبَّة من شعر، فقال: «ما كنت أُرَى أن أحدًا يفعله إلا اليهودَ، إن رسول الله ﷺ بَلَغهُ فسماه الزُّور»[٣].

قال السِّنديُّ: قوله: كأنه يعني الوصالَ، أي: وَصْلَ شعر المرأة بشعر غيرها.

**قوله: (سماه الزور):** أي: سمَّى وصل الشعر زورًا، والزور الكذب والتزيين بالباطل، والوَصْل داخل فيه.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٥١٠)، وأبو يعلى (٧٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٤٥)، وصححه ابن حبان، وصححه الألباني أيضًا في التعليقات الحسان (٥٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٧).

عن سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ، قَالَ: «قَدِمَ مُعَاوِيَةُ المَدِينَةَ، آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا، فَخَطَبَنَا فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ»، يَعْنِي: الوَاصِلَةَ فِي الشَّعَرِ[١].

الكُبَّة: -بضم الكاف وتشديد الباء- هي شعر مكفوفٌ بعضه على بعض[٢]، وهي كلمة لا زالت معروفة في بلاد الشام وغيرها.

وفيه: تحذير ووعيد لمن اتخذتْ شعرًا من شعر غيرها، ووصلَتْهُ بشعرها لتُوهِمَ غيرَها أنه شعرها، فقد تستهين بعض النساء أو تعبث في استعمال الشعر المستعار، أو الذي يسمى في زماننا «الباروكة» فتغيِّر من شكلها إيهامًا للناس أنه من شعرها، وتنسى الوعيد الذي ترتَّب على هذا الفعل الذي وُصف بالزُّور، ومِن فعلِ اليهود، ومن أسباب لعن الله لها، وتستحق العذاب عليه.

## من فوائد الحديث

١- أن الوصْل فيه خُدعةٌ وتدليسٌ وتغريرٌ للخاطب وغيره من المرأة الواصلةِ شعرَها.

٢- أن أولَ من أحدث وصلَ الشعر بالشعر هم اليهود، وكان محرَّمًا في شرعهم.

٣- اعتاد اليهودُ على الكذب والتزوير؛ لأنه يجري في عروقهم مجرى الدم، فكل شيء في دينهم وعُرْفِهم طاله التزويرُ والتحريف عن حقيقته.

٤- الإسلام يربِّي أتباعه على الوضوح وتحرِّي الحقيقة وعدمِ التلبيس على الناس وتزويرِ مظاهرهم، ومنه حذَّرَ النبي ﷺ في موضع آخر، فعَنْ أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٨)، ومسلم (٢١٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٤/ ١٠٨).

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»[١]. (**المُتَشَبِّعُ**): المتزيِّن والمتظاهر شُبِّهَ بالشبعان، (**كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**): كمن يَلْبَسُ ثوبين ليسا له، إنما هم أمانةٌ أو نحوُ ذلك، أو من يتصنَّع الزهدَ وهو ليس كذلك، وقيل: من يلبس ثوبًا ويَصِلُ بكُمَّيه كمين آخرين ليوهم الناس أنهما ثوبان، وهما ليس كذلك.

٥- المعاصي مهما صَغُرَتْ إذا انتشرت في مجتمعٍ ما، ولم تجد لها منكِرًا، استحق الجميعُ عقوبةَ الله.

٦- وصلُ الشعرِ ضربٌ من ضروب الإغراء المزور، مِثْلُه مثلُ تلك المرأة التي اتخذت رجلين من خشب؛ لتبدوَ طويلةً وهي ليست كذلك!



(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

# الحديث الحادي والعشرون

## اليهود مُروِّجو ثقافةِ العُرْي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالحَجَرِ(١).

### مقدمة

لم يَسْلَمْ أحدٌ من أنبياء الله تعالى من أذَى اليهود، حتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنه من خاصَّة أنبيائهم والمنزَّل عليه كتابُهم، إلا أنهم طعنوا به واتَّهَمُوه ولم يَسْلم منهم ومن آذاهم، فما بالُنا بغيره من أنبياءَ فضلًا عن عامة الناس، فهذا من المُحَال وضربٌ من ضروب الخيال.

لكنَّ الله أبى إلا أن يُدافع عن رسله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] ومن مدافعة الله عن موسى أن سخَّر له حجرًا يجري بثوبه إلى بني إسرائيلَ، ويجري خلفَه موسى ليستقرَّ هو والحجرُ عند من اتَّهَمُوه بالأُدْرَةِ فيُبَرِّئَهُ الله مما قالوا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب: ٦٩]»، وهو ابتلاءٌ يَبتلي به الله تعالى الأنبياء والصالحين، ويَختبر صبرَهم من أذى

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨)، ومسلم(٣٣٩).

السفهاء والجُهَّال، وبصبر موسى أشاد نبيُّنا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «... **رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»(١).

أمَّةٌ يطاردها لعْنُ الله لهم وعلى لسان أنبيائهم؛ لكثرة فسادهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩].

## شرح الحديث

**قوله: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»:**

**قوله: «كانت»:** مِن اللُّغَويين مَن يؤنِّث المجموع مطلقًا، أي: جماعةُ بني إسرائيل، وهم الأغلب والأعم منهم، أي: يغتسلون جماعاتٍ في مكان واحد.

**قوله: «إِسْرَائِيلُ»:** هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

واغتسالهم عراةً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض: هل كان في شرعهم جوازه؟ وإن كان الأكمل خلافه، أو كان في شرعهم منعه كما في شرعنا وكان فعلهم ذلك من عصيانهم ومخالفتهم؟

اختلف في ذلك، فقال القاضي عياض: «فيه أن ستر العورة لم يكن واجبًا في شرع موسى؛ إذ ذكر أنه إنما فعل ذلك -يعني الاغتسال وحده حياءً- وأنه لم ينكر على قومه ما كانوا يفعلونه، وأن الله تعالى أظهر ذلك منه لقومه حتى نظروا إليه»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٥٠).

وقال أبو العباس القرطبي: «إنما كان بنو إسرائيل تفعل هذا معاندة للشرع ومخالفة لموسى، وهو من جملة عتوهم وقلة مبالاتهم باتباع شرع موسى، ألا ترى أن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يستتر عند الغسل، فلو كانوا أهل توفيق وعقل اتبعوه، ثم لم تكفهم مخالفتهم له حتى آذوه بما نسبوا إليه من آفة الأدرة، فأظهر الله براءته مما قالوا فيه بطريق خارق للعادة؛ زيادة في أدلة صدق موسى؛ ومبالغة في قيام الحجة عليهم» انتهى(١).

وسبقه إلى ذلك ابن بطال فقال: «وأما اغتسال بني إسرائيل عراةً ينظر بعضهم إلى بعض فيدل: أنهم كانوا عصاةً له في ذلك غير مقتدين بسنته؛ إذ كان هو يغتسل حيث لا يراه أحدٌ ويطلب الخلوة، فكان الواجب عليهم الاقتداء به في ذلك، ولو كان اغتسالهم عراةً في غير الخلوة عن علم موسى وإقراره لذلك لم يلزمنا فعله؛ لأن في شريعتنا الأمر بستر العورة عن أعين الآدميين، وذلك فرضٌ علينا» انتهى(٢).

وأما في شرعنا فقد جاء المنعُ صريحًا في عدم رؤية عورة الآخرين، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّا نُهِينَا أَنْ نَرَى عَوْرَاتِنَا»**(٣).

وقال رَسُولَ اللهِ ﷺ: **«لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»**(٤).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ١٨٩).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٤٩٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٦٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٤٧٢) من حديث جَبار بن صخر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير (٢٥٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قوله: قال: «وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ»:**

وهذا حياءً منه وتنزُّهًا من فعلٍ تَعَافُه الفِطَرُ السليمة، وأنه كان محرَّمًا في شريعتهم، إلا أن قومه كانوا لا يتناهَون عن منكر فعلوه، وفي رواية: «**وَكَانَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ الْحَيَاءُ، وَالْخَفَرُ، فَكَانَ يَسْتَتِرُ إِذَا اغْتَسَلَ، فَطَعَنُوا فِيهِ بِعَوْرَةٍ**»(١).

**قوله: «فَقَالُوا: وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ»:**

أي: قال بعض بنو إسرائيل لبعضٍ: امتنع موسى من الاغتسال معنا عريانًا؛ بسبب ما في خِصْيَتَيْهِ من عيب، والْأُدْرَةُ: نَفْخَةٌ فِي الْخصْيَةِ، وهو تضخُّمُ الخصية من فَتْقٍ أو غيره، وهي: التي تسميها الناس: القيلة.

**قوله: قال: «فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ»:**

أي: ذهب يغتسل بعيدًا عن مَرْأى الناس، فنزع عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كامل ثيابه، ولم يبق عليه شيء منها، ووضعها على حجر.

واغتسال الأنبياء عَرَايا من غير ثياب ليس معيبًا في حقهم؛ طالما أنه في الخلوة بحيث يأمن أعينَ الناس، ولا يكون تمامُ التطهُّر إلا بذلك، وقد ثبت عن نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه اغتسل عاريًا، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**»(٢).

**قوله: «فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ»:**

وفي رواية مسلم: «**ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ**» مرتين(٣)، أي: أعْطِنِي ثوبي يا حجرُ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩١٤)، وأصله عند البخاري (٣٤٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩). (٣) أخرجه مسلم (٣٣٩).

**قوله: «في أَثَرِه»:** أي: بعدَه.

**قوله: «ثَوْبِي حَجَرُ»:** أي: دَعْ ثَوْبِي، أَوْ أَعْطِنِي ثَوْبِي، وفي رواية: «**جَمَحَ موسى بأثره**»: أي: أسرع في مشيه إسراعًا.

استعظم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأخذ الحجر ثوبه مع علمه بأنه ثوبه، فعامله معاملة من لا يعلم أنه ثوبه؛ كي يرجع عن فعله ويرد له ثوبه، وخاطبه موسى كمخاطبة مَن يَعْقِلُ كونَه يأخذ ثوبًا ويفرُّ به لقصدٍ ولجهةٍ معلومة، وجرتْ عادةُ البعضِ بمخاطبة الجماد حال الغضب أو الدهشة.

وربما خاطبه مخاطبةَ مَن يدرك؛ لظنِّه أن الحجر فرَّ بعلمٍ وإدراكٍ بثوب موسى من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

**قوله: «حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ»:**

نظروا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مندهشين مستغربين:

**أولًا:** لأنه ليس من عادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتعرَّى مثلَهم وبينهم.

**ثانيًا:** أنهم اكتشفوا أنه ليس في جسد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يَعِيبُه، بل هو أحسن ما يكون من غير عيوب ولا أمراض جسدية.

فكان قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]

وكانت حكمةُ الله في ذلك لِيُظْهِرَ حكمَ جواز النظر للعورة حال الضرورة، قال ابن بطال: «وفي حديث موسى دليلٌ على إباحة النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية إلى

ذلك من مداواةٍ، أو براءةٍ مما رُمِيَ به من العيوب كالبرص وغيره من الأدواء التي يتحاكم الناسُ فيها مما لا بد فيها من رؤيةِ أهلِ النظر بها، فلا بأس برؤية العورات للبراءة من ذلك، أو لإثبات العيوب فيه والمعالجة»[١].

## تَفَحُّشُ اليهودِ في أنبيائهم:

أمَّا موقفُ اليهود من الأنبياء الذين أقرُّوا لهم بنبوَّتهم فكما جاء ذلك في توراتهم التي بين أيديهم اليوم، وَلْنَنْظُرْ في المفارقة الخطيرة والفاحشة بين ما يؤمن به المسلمون وما يؤمن به اليهود، وكيف امتلأت كتبُهم المقدسةُ -كما يزعمون- بالطعْن والذَّمِّ الوضيع الذي لا يليق بعموم البشر، فضلًا عن أنبياءَ زعموا أنهم أنبياؤهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر تفحُّشُهم في بعض الأنبياء الذين انتَسَبوا إليهم، ومنهم:

«**نوح**»: يتعرَّى داخل خِبائه، ويَسْكَرُ حتى الثُّمَالة حتى يرى عورتَه أصغرُ أبنائه، فيسخر منه مع إخوانه[٢].

«**إبراهيم**»: خليل الله وأبو الأنبياء، يتاجر بزوجته الحسناء عند الملوك ليجمع المال[٣].

«**لوط**»: يزني بابنتَيْهِ، وتحملان منه سِفَاحًا[٤].

«**يعقوب**»: زنى بكَنَّتِه «ثامار»، وشكيم يزني بابنته دينه، وسرق نُبوَّة أخيه «العيص»[٥].

«**يوسف**»: المستغِلُّ والمحتكِر لشعب فلسطين ومصر[٦].

«**داود**»: يزني بزوجة أحد جنوده، بعد أن احتال عليه وغيَّبه في إحدى المعارك.

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) الإصحاح التاسع من سفر التكوين.

(٣) التكوين (١٩-٢٠).

(٤) سفر التكسوين (٣٠:١٩ -٣٧).

(٥) سفر التكوين (٣٨: ٦-١١).

(٦) سفر التكوين (٤٧: ١٣- ٢١).

«سليمان»: ابنُ زنى من (بتشبع) التي تتهم التوراةُ أباه داود أنه زنى بها حين كانت زوجة لأوريا الحيثي الجندي الذي أرسله داود للمعركة ليتخلص منه [١].

وعابد للأوثانِ آلهةِ النار يُطيع بذلك زوجاتِه الوثنياتِ، فيعاقبه اللهُ بتمزيق مملكته بسبب ذلك [٢].

وينغمس في الجنس، وألف امرأة وثنية في عصمته[٣]، وعذارى بنات مملكته مشاعات له.

أما سفر (نشيد الإنشاد) فإنه يحكى قصةَ غرامٍ بين سليمان وعشيقتِه التي انسلَّ إليها ليلاً في بيتها ليتغزَّلَ بها، ثم يضاجِعَها بوصفٍ تهتزُّ له الأبدانُ.

وبهذا يتضح كذبُ وزورُ دعوى اليهودِ محبتهم لأنبيائهم؛ فكيف للمُحِبِّ أن يقول أسوأَ وأقذَعَ الأقوالِ التي ليست في محبوبه، فضلًا عن كونهم أنبياءَهم!

**قوله: «فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالحَجَرِ:**

**قوله: «فَطَفِقَ»:** هو بكسر الفاء وفتحها، أي: جعل وأقبل يضربه ضربًا.

**قوله: وَاللهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالحَجَرِ:**

النَدَبُ: بفتح الدَّال الأثرُ، ويقال لأثر الجُرْح: نَدَبٌ، وبقاءُ أَثَرِ الضرب على الحجر دلالةٌ على قوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوةِ تأثُّرِه وحزنه من تكشُّفِ عورته أمام الملأ، حتى يبيِّن لقومه ويؤكِّد أنَّ فعل الحجر هو أمرٌ يخالف ما عَهِدُوا موسى عليه من السَّتر والحياء، وأراد مِن ضربه تأديبَ الحجر على عصيانِه أمرَ موسى بردِّ ثوبه إليه، وإظهارَ معجزتِهِ لقومه بأثر الضرب في الحجر، وربما كان ذلك وحيًا، والله أعلم.

---

(١) سفر صموئيل الثاني (١٢: ١٩-٢٥).
(٢) سفر الملوك (١١: ١١-١٣).
(٣) سفر الملوك الأول (١١: ١ – ٥).

**قوله: «سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالحَجَرِ»:**

بحيث يتبيَّن للناظر وبشكل واضحٍ أثرُ ضرباتِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ التي كانت نحوًا من ستةٍ أو سبعةٍ، وهذا دليلٌ على قوَّة موسى، فلم تَجْرِ العادةُ من ضرب الحجر بالعِصِيِّ ضرباتٍ قليلةً كهذه أن يؤثِّر فيه، وفي اختلاف العدد شكٌّ من الراوي.

وفي رواية: «**حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَوَسَّطَهُمْ، فَقَامَتْ وَأَخَذَ نَبِيُّ اللهِ ثِيَابَهُ، فَنَظَرُوا فَإِذَا أَحْسَنُ النَّاسِ خَلْقًا وَأَعْدَلُهُ صُورَةً، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: قَاتَلَ اللهُ أَفَّاكِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانَتْ بَرَاءَتُهُ الَّتِي بَرَّأَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا**»[1].

## من فوائد الحديث

١- فيه دليل على إباحة كشف العورة في الخَلوة في حالة الاغتسال، وبه قال الأئمة الأربعة وجمهور العلماء من السلف والخلف[2].

٢- عِنَادُ الكثير من بني إسرائيل لنبيِّهم، وعدمُ اتباع هَدْيِه في الاغتسال بعيدًا عن أعين الناس.

٣- عادةُ بعض بني إسرائيل في إساءةِ الظنِّ بنبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واتهامِه في خلقته.

٤- جعلوا من عفة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبرِّرًا في الطعن به وعيبِه في عضوٍ يَستحي أن يكشفه للناس ليدفع عن نفسه تهمتهم.

٥- جرت سنة الله تعالى أن: «الْأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ النَّقَائِصِ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، سَالِمُونَ مِنْ الْمَعَايِبِ»[3].

٦- حتى يكشفَ زيغَهم وكذبهم أَلْجَأَهُ اللهُ تعالى إلى هذا الموقف ليُبرِّأَ ساحة نبيه عليه الصلاة والسلام، ويُظهر سلامتَه من العيوب، وفيه جوازُ النظر إلى العورة حال الضرورة من ختانٍ أو تطبيب أو نحوه.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠٩١)، وأصله عند البخاري (٣٤٠٤).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٢٢٥). (٣) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ٢٢٨).

٧- ضَرْبُ موسى للحجر بعد فراره بثوبه -مع أنه لا يعقل والذي جعله الله سببًا لإظهار سلامة جسد موسى أمام ملأ بني إسرائيل- ليؤكِّد أن عُرْيَ بني إسرائيل فيما بينهم أمرٌ ليس من شريعته وموجِبٌ لغضب الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٨- أذى بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كبيرًا حتى لاحقوه في خاصة نفسه وتدخَّلوا في شأن عورته؛ حتى أدرك نبيُّنا محمد ﷺ عِظَمَ ما ابتُلِي به موسى، فقال: «**لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»(١).

٩- أثرُ الضرب على الحجر دلالةٌ تاريخية، وشهادة لأهل زمانه على حياءِ موسى، وإنكارِه تَعَرِّيَ قومِه فيما بينهم.

١٠- ضربُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للحجر ليس مجرَّدَ انتقامٍ من جمادٍ، بل تأكيدًا على عفته وحيائه ورفضِه كليًّا -وبإصرار- لمبدأ التعرِّي أمام الملأ.

١١- طالما أن الحجر مَشَى بمعجزة فسَيَشْعُرُ ويُحِسُّ بأثر ضرب موسى له وبمعجزة أيضًا؛ لأن الجماد لا يمكن أن يتحرَّك من غير وحي، والله أعلم.

١٢- فيه خرق العادات للأنبياء، وصحة معجزاتهم وآياتهم من فرارِ الحجر، وبقاء أثر ضرب العصا فيه.

١٣- لو كان بنو إسرائيل أهلَ توفيقٍ وهدايةٍ واستقامةٍ لمَا وَلَغُوا في عِرض موسى وخاصَّة نفسِه وتدخَّلوا في شأن عورته وما اسْتَتَرَ منه عن الناس، وكان الأَوْلى بهم الانشغال في أنفسهم وإصلاحها واستقامة حالها.

١٤- جرت سنة الله تعالى في خَلق وخُلق أنبيائه أن نزَّهَهم عن النقائص والمعايب، التي ربما تكون سببًا في انفضاض الناس عنهم.



(١) سبق تخريجه.

# الحديث الثاني والعشرون

## اليهودُ يُعطُون الرّشوةَ

عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: «أَفَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَاخْرُجُوا عَنَّا»(١).

### مقدمة

هذا ما أوصى الله تعالى عباده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨]، قامت شريعةُ الإسلام على العدل حتى مع المخالف مع بغضنا لهم، ومَا هم عليه من كفرٍ، ولا يحملكم بغضهم على عدم العدل، اعدلوا ولو كنتم تبغضونهم.

### شرح الحديث

**قوله: أَفَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:**

فُتِحَتْ خَيْبَر عَنْوَةً عام (٧) للهجرة، وخيبر تبعد ١٥٣كيلًا عن المدينة، وكانت دارًا لليهود.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٥٣)، وأبو داود (٣٤١٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٢١): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

**قوله: «فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ»:**

وفي رواية عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن عمرَ بن الخطابِ أجلى اليهودَ والنَّصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين، وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرهم بها، أن يكفوا عملها، ولهم نصف الثمر، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا»، فَقَرُّوا بِهَا، حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء»[(١)].

كان النبي ﷺ قد عامل أهلَ خيبر يوم أن فتحها على النِّصف من النخيل والزرع عوضًا عن العمل فيها، إلى أن يجد ﷺ من المسلمين مَن تَهَيَّأ وتمرَّس ليقومَ بالعمل فيها نيابةً عنهم، فقد كانت كوادر المسلمين منشغلة في المعارك وإدارة المدن، وتعليم الناس القرآن الكريم، ولم يكن منهم مَنْ يكفيهم مؤونة هذه المهمةِ التي تحتاج خبرة ودراية وتفرغ، وقد أقرهم النبي ﷺ على العمل فيها إلى حين كما جاء عن ابن عمر: «أنَّ النبيَّ ﷺ قاتل أهلَ خيبر حتى ألجأهم إلى قصرِهم، فغلب على الأرض والزَّرع والنَّخل، فقالوا: يا محمَّد، دعنا نكونُ في هذه الأرض نصلحُها ونقومُ عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، فأعطاهم خيبر على أنَّ لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء، ما بدا لرسول الله ﷺ...» أخرجه البيهقي [(٢)].

وما كان من نصف للمسلمين فهو لرسول الله ﷺ والمسلمين، والنصف الآخر لحاجات الناس ومن نزل من الوفود عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣٨)، ومسلم (٥٥٥١).

(٢) أخرجه ابن حبان (٥١٩٩)، والبيهقي في الكبرى (١١٧٣٦)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (٥١٧٦).

وقد ترك النبيُّ ﷺ لنفسه توقيتَ منعهم من النصف، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا**»، فَقَرُّوا بها حتى أجلاهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى تيماء وأريحاء.

«...فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ» (١).

**قوله: «فَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ»:**

وقد أوكل النبي ﷺ مهمةَ جمعِ الثمار وتقسيمها بينه وبين يهودَ لعبد الله بن رواحة ابن ثعلبة بن امرئ القيس ويكنى بأبي مُحَمَّد، ويُقال: أَبُو رواحةَ، ويُقال: أَبُو عَمْرو المدني، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ، صاحبُ رَسُول اللهِ ﷺ وشاعره، وأمه كبشةُ بنتُ واقد، وأخو أبي الدرداء لأمه، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا والمشاهدَ، وبعثه النبي ﷺ سَرِيَّةً فِي ثَلَاثِيْنَ رَاكِبًا إِلَى أُسَيْرِ بنِ رِزَامٍ اليَهُوْدِيِّ بِخَيْبَرَ فَقَتَلَهُ.

شهد بدرًا والعقبةَ، وهُوَ أحدُ النقباء بِهَا، وشهد المشاهدَ كلَّها إلا الفتحَ ومَا بعده، فَإِنَّهُ قتل في غزوةِ أو سريةِ مُؤْتَة، وهُوَ أحد الأمراء فيها، وهي أول غزوة للمسلمين خارج حدود الجزيرة العربية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ووقعت الغزوة في بلدة مُؤْتَة محافظة الكرك في الأردن في جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة بين جيش المسلمين من جهة، والروم والغساسنة العرب المتحالفين معهم من جهة أخرى، استمرت المعركة مدةَ ستةِ أيام كاملة، صمد فيها ثلاثة آلاف مقاتل مسلم أمام مائتي ألف من الروم ومن معهم من القبائل العربية، بعد إجراء انسحاب ناجح قام به القائد العام خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لكن عبد الله بن رواحة لم يَدُم خارصًا لزروع خيبر سوى عامٍ واحد فقط، بعد أن مات في مؤتة، ثم استعمل النبي ﷺ بعده جبار بن صخر بن خنساء، كما جاء ذلك من

---

(١) ذكره البخاري في الصحيح معلقًا (٣/ ٩٤)، وأسنده (٢٢٨٥) من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رواية: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: إنما خرص ابن رواحة على أهل خيبر عامًا واحدًا فأصيب يوم مُؤْتَة، ثم إن جَبَّارَ بن صخر بن خنساء كان يبعثه رسول الله ﷺ بعد ابن رواحة فيخرص عليهم [١].

**قوله: «فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ»**: والخَرْص: الحَزْرُ في العدد والكيل، والخارص: يَخْرُص ما على النخلة، ثم يقسم الخراج على ذلك[٢]، إذ هو تخمين وتقدير ما على النخل من ثمر بعد بدءِ نضجه، فخرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق، ويقدر الْوَسْقُ وَالْوِسْقُ: بِستِّينَ صَاعًا بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ [٣].

**قوله: «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللهِ».**

**اليهود قتلة الأنبياء:**

وقد أخبر اللهُ تعالى عن قتلِ اليهودِ للأنبياءِ في أكثر من موضع، وفي ذلك دلالةٌ واضحة على كثرة المغدورين من الأنبياءِ على أيديهم، واستمرائهم ذلك دون أدنَى شعورٍ بالذنب والخطيئة!

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٧٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٧٥): رواه الطبراني في الكبير، وهو مرسل، وإسناده صحيح.

(٢) العين (٤/ ١٨٣).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦/ ٣٠٥).

وذكر بعض المفسرين أسماءَ هؤلاء الذين قتلهم بنو إسرائيل، قال البيضاوي في تفسيره: فإنهم قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم.

ولم يرد في السنة نص صحيح في قتل هؤلاء المذكورين، ولعل خبرهم مأخوذ عن أهل الكتاب، جاء في إنجيل متى[١]: «يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين».

لهذا كانت عقوبةُ قتل الأنبياءِ من أشد العقوبات يوم القيامة، عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ**»[٢].

لم يأت القرآن الكريم ولا السنة المطهَّرةِ على ذكرِ أسماءِ المقتولين من الأنبياءِ مع كثرتهم، كما في رواية أبي أمامة عن أبي ذر، قلت: يا رسولَ الله، كم وفَّى عدةُ الأنبياء؟ قال: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا»[٣].

وفي رواية ابن حبان: «وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ وَشُعَيْبٌ وَصَالِحٌ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ»[٤].

غير أن بعضَ المفسرين وأهلَ السير والتاريخ ذكروا بعضًا من الأنبياء الذين شاع خبرهم بقتل اليهود لهم، مثل:

١- أشعياء عَلَيْهِ السَّلَامُ: كان يعظهم وينصحهم، ويذكرهم بفضل الله تعالى عليهم، فلما فرغ من وعظهم عدَوا عليه محاولين قتله، فهرب منهم، فلما أدركوه نشروه نصفين بالمنشار.

---

(١) الإصحاح (٢٣-٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٦٨)، والبزار (١٧٢٨-البحر الزخار)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١١)، وقال الشيخ شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٦٥): إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧)، وصححه ابن حبان (٣٦١)، و الحاكم (٣٠٣٩)، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن حبان (٣٦١) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

٢- أرميا ودانيال وحزقيل وعاموص عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وكانوا في فترة زمنية واحدة، فلما استخلف الله تعالى أرميا عَلَيْهِ السَّلَامُ على بني إسرائيل بعد قتلهم أشعياء، وكان ذلك في الفترة التي كان يحكم فيها بُخْتَنَصَّر، إلا أنهم كذَّبوه ونبذوه وحبسوه ثم قتلوه.

٣- دانيال عَلَيْهِ السَّلَامُ: كان وغيره من الأنبياء المعاصرين لأرميا، وكان معه بعضُ الأنبياء الآخرين، وكانوا هم وأرميا ضمن السبي البابلي الذي قام به نَبُوخَذْنَصَّر، فقتلوهما واحدًا تلو الآخر.

٤- حزقيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: في منفاهم وزمن أسرهم في أرض بابل، وثب عليه نفر منهم فقتلوه.

٥- زكريا وولده يحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لم يرد في السنة نص صحيح في قتل هؤلاء المذكورين، ولعل خبرهم مأخوذ عن أهل الكتاب.

لكنهم لا ينكرون محاولةَ قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل يؤكدون ذلك كما أخبر المولى عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقد مرَّ معنا في أحدِ فصولِ هذا الكتاب كيف حاولوا اغتيال النبيِّ محمد ﷺ في أكثر من موضع.

جاءت بعضُ المروياتِ التي تكشف لنا عن أعدادِ المغدورين من الأنبياء على أيدي اليهود المتلطخةِ بدماءِ أشرفِ البشر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد جاء عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كانت بنو إسرائيل تقتلُ في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقوم سوقُ بَقْلِهم من آخر النهار»[(١)].

لهذا من الطبيعيِّ جدًّا أن ترى اليهودَ مُفْرِطين في المجازر ضد غيرهم، مُنْتَهِكي حرمة دماء من ليس منهم، وكأنَّ أمرًا لم يكن، وإن المجازر – التي ترتكب بأقسى الأساليب الوحشية المنتهكة لأدنى خُلُق ورحمةٍ إنسانية، ويراها العالم عيانًا عبر البث المباشر بشكل يومي- لهي دليلٌ قاطعٌ على وحشيَّة هذا الصنف من المخلوقات الذي خرج من دائرة البشر.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٧٣٦)، وسنده صحيح.

## اليهود يكذبون على الله:

لا يتورع اليهودُ البتةَ في الكذب على الله تعالى، واتهامِه بأقذعِ الأوصاف، فقد نقل لنا المولى عن تعديهم على ذاته سبحانه، ومنها:

زعْمُهم أن يدَه مغلولةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأن اللهَ فقيرٌ وهم الأغنياء: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونسبوا له الولد: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وإن المتصفِّح لتوراة يهود اليوم المزورة والمصحفة[١] عن سوء قصد؛ ليجد فيها عجب العجاب من الكذب الصراح على الله تعالى، فأول الكذب على الله هو التوراة التي بين أيديهم، التي كتبها الله تعالى بيده[٢]

## قوله: «وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ»:

وقد أقرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لهم مبغضٌ، لكن مع بغضه لهم فإنه لن يحيفَ عليهم، ولن يظلمهم ويبخسهم حقهم، وسيكون منصفًا معهم عادلًا في قسمته لهم، بحسب ما اتفقوا فيه مع النبي ﷺ، بل ذكر في رواية أخرى أنه يبغضهم أكثر من بغضِ القردةِ والخنازيرِ، كما جاء عن الشَّعْبي قال: «دفع رسولُ الله ﷺ خيبرَ إلى أهلها بالنِّصف، فبعث عبدَ الله ابنَ رواحة ليخرُص النخلَ، فقال لهم ابنُ رواحة: جئتكم من عند رجلٍ هو أحب إليَّ من

---

(١) يقول الإمام السخاوي في تعريف التصحيف: «هو تحويل الكلمة عن الهيئة المتعارفة إلى غيرها». «فتح المغيث» (٣/ ٧٢).

(٢) من حديث محاجة آدم وموسى أنَّ آدم قال لموسى: «أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، تَلُومُنِي عَلَى أَمرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، و مسلم (٢٦٥٢).

نفسي، ولأنتم أبغضُ إليّ من القِرَدة والخنازير، فقالوا: كيف تعدل علينا وأنت هكذا؟ فقال: ليس يمنعني ذلك من العدل عليكم، قالوا: بهذا قامت السموات والأرض، قال: فخرص عليهم ثم جعله نصفين، فخيرهم أن يأخذوا أيهما شاؤوا، قال: فما زاد أحدهما على الآخر شيئًا»(١).

**قوله: «قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي»:**

وفي روايةٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «... وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام، يخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، قال: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله، أتطعموني السحت، والله، لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير...»(٢).

**قوله: «فَقَالَوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»:**

وهذا اعتراف صريح منهم أنه عادل حكَم لهم بالعدل، ولم يبخسهم حقهَّم أو يجُر عليهم، لكنهم ظنوا أن قضاتَنا كقضاتهم، لما استشرت الرشوة وفَشَت فيهم، حتى طالت مَن يُظَنُّ فيهم أنهم من أهل العلم والديانة، ذكر طرفًا من ذلك السُّدِّي فقال: «كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم، وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعضٍ العهودَ أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استُقضي ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي...»(٣).

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (١٤٣٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٣٦١)، مرسلاً، واللفظ لأبي عبيد.

(٢) أخرجه ابن حبان (٥١٩٩)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٢٩)، وصححه ابن حبان، وأصل الحديث عند البخاري (٢٣٢٨)، ومسلم (١٥٥١).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/ ٥٣٨).

**قوله: فقال لهم: «قَدْ أَخَذْنَا فَاخْرُجُوا عَنَّا»:**

فأخرجهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها بعد ذلك؛ عملًا بأمر رسول الله ﷺ: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ**»(١).

ويروي لنا عبدُالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تفاصيلَ أحداثِ وأسبابِ إخراجِ اليهود من خيبرَ زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: «فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ والْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا قَدِمْنَاهَا، تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: فَعُدِيَ عَلَيَّ (٢) تَحْتَ اللَّيْلِ وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي، فَفُدِعَتْ (٣) يَدَايَ مِنْ مِرْفَقِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتُصْرِخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ فَأَتَيَانِي، فَسَأَلَانِي عَمَّنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ، قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَأَصْلَحَا مِنْ يَدَيَّ، ثُمَّ قَدِمُوا بِي عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: هَذَا عَمَلُ يَهُود، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَقَالَ: «**نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ اللهُ**» وَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى مَالِهِ هُنَاكَ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ كَمَا بَلَغَكُمْ مَعَ عَدْوَتِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِ قَبْلَهُ، لَا نَشُكُّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُمْ، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمَ. فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ، أَتَاهُ رَئِيسُهُمْ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ، وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا؟ لَا تُخْرِجْنَا، دَعْنَا نَكُونُ فِيهَا كَمَا أَقَرَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ.

فَقَالَ عُمَرُ لِرَئِيسِهِمْ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وفي رواية حَمَّاد بْن سَلَمَة: «أَلْقَوا ابْنَ عُمَر مِن فَوْق بَيْت، فَفَدَعُوا يَدَيْهِ!».

(٣) الْفَدَع: زَوَال الْمِفْصَل، فُدِعَتْ يَدَاهُ: إِذَا أُزِيلَتَا مِنْ مَفَاصِلهمَا. فتح الباري (٨ / ٢٨١).

**مِنْ خَيْبَرَ، تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ[١] لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ نَحْوَ الشَّامِ»**؟ فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً[٢] مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ، قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ الثَّمَرِ مَالًا، وَإِبِلًا، وَعُرُوضًا[٣] مِنْ أَقْتَابٍ[٤] وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[٥].

## من فوائد الحديث

١- اليهودُ قومٌ ترسَّخ فيهم الجشعُ، يستمرئون السرقةَ والرِّشوةَ متجاوزين قوانين السماء والأرض.

٢- يحاولون رِشوةَ وكيلِ ولي الأمر وإغراءَه بالمال، واختراقَ الدولة وتفتيتها، ونشرَ الفساد الإداريِّ والمالي فيها وفي رجالها، وهذا شأنهم في كل زمان ومكان.

٣- المسلمون عدولٌ منصفون مع أعدائهم، ملتزمون بعهودهم ومواثيقهم.

٤- لما أدرك عمَّال النبي ﷺ حقيقةَ اليهود عرفوا كيف يَحْذَرونهم ويَصُدُّونهم ويُوقفونهم عند حدهم، وأن لا يتمادَوا في غيِّهم وطغيانهم ونشر فسادهم، فحموا دولة الإسلام منهم.

٥- ولما جهِل المسلمون اليومَ حقيقةَ اليهود وطريقةَ الحذر منهم ومن دسائسهم اخترقوا الأمة، فعاثُوا فيها فسادًا عريضًا صعبًا رفعُه، والله المستعان.

---

(١) القَلوص: هي النَّاقَة الصَّابِرَة عَلَى السَّيْر، وَقِيلَ: الشَّابَّة. فتح الباري (٨/ ٢٨١).

(٢) الهُزَيْلَة: تَصْغِير الْهَزْل، وَهُوَ ضِدُّ الْجَدِّ. فتح الباري (٨ / ٢٨١).

(٣) الْعُرُوض: مَا ليس نقدًا ومَا لاَ يَدْخُلهُ الْكَيْل، وَلاَ يَكُون حَيَوَانًا، وَلاَ عَقَارًا. فتح الباري (٨ / ٢٨١).

(٤) القتب: الرحل الذي يوضع تحت الراكب حول سنام البعير.

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣٠).

# الحديث الثالث والعشرون

## اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ-: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

### مقدمة

مع أنه لَيْسَ فِي قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَا هُوَ مُؤَكَّد سِوَى قَبْرِ نَبِيِّنَا محمد ﷺ، فإن اليهود يتلمسون مواضعَ هنا وهناك، وخاصة في الأرض المقدسة (فلسطين) لأناس مجهولين، فيزعمون أنها لنبيٍّ من أنبيائهم أو أحدَ صالحيهم، ثم ينصُبونها ويتخذونها مزارًا، يبنون عليها الأضرحة ثم يشُدُّون الرحالَ إليها، يبتدعون لها أذكارًا خاصَّةً من تأليف حاخاماتهم ليحشدوا عميانَهم عندَها.

ومن حرص النبيِّ ﷺ على أمَّته أن لا تسلكَ طريقَ وطريقةَ اليهود في اتخاذهم قبورَ الأنبياء مساجدَ، كان هذا التحذيرُ حالَ مرضه الذي لم يَقُم منه، وفي آخر أيام حياته ﷺ.

### شرح الحديث

**قوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ»:**

أمرٌ يستوجب اللعن لا شكَّ أنه أمرٌ خطير جدًّا، دعاءٌ من النبي ﷺ، وهو طرد من رحمة الله، وهي ليست المرةَ الأُولى التي يدعو فيها على اليهود، ففي روايةٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) أخرجه البخاري(٤٤٤١)،ومسلم(٥٢٩).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١).

وفي روايةٍ أخرى: أَنَّ عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَا: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى**... يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» (٢).

وفي هذا الحديثِ قَدَّمَ الْيَهُودَ في اللعن على النصارى، قيل: لابتدائهم باتخاذ القبور مساجدَ، ثم تبعهم النصارى في ذلك.

ولخطورة الأمر حذَّر منه ﷺ أمته وهو على فراش الموتِ، فكيف بنا نرى من المسلمين -هداهم الله - من يعصي أمر النبي ﷺ، ويسير على خُطى يهودَ في تعظيم الأضرحةِ وقبورِ الصالحين، أو المدفونين فيها من المجهولين، ويقصدونها بالزيارة والتبرك، ومنهم مَن يطوف ويَسْتَجْدي المدفونين فيها الرزقَ والولدَ وغيرَ ذلك مما لا يُطلَب إلَّا من الله تعالى!

قال المُلَّا عليٌّ القاري في (مِرقاة المفاتيح شرح مِشكاة المصابيح): «سبب لعنهم إما لأنهم كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيمًا لهم، وذلك هو الشرك الجلي، وإما لأنهم كانوا يتخذون الصلاة لله تعالى في مدافن الأنبياء، والسجود على مقابرهم، والتوجه إلى قبورهم حالة الصلاة؛ نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء، وذلك هو الشرك الخفي لتضمنه ما يرجع إلى تعظيم مخلوقٍ فيما لم يؤذن له، فنهى النبي ﷺ أمته عن ذلك لمشابهة ذلك الفعل سنة اليهود، أو لتضمنه الشرك الخفي»(٣).

### قوله: «اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»:

وَكَأَنَّهُ قِيلَ له مَا سَبَبُ لعنهم؟ قال: «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وفي روايةٍ عن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠). (٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٠٠-٦٠١).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زادت فيها: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»(١)، وفي روايةٍ قالت: «لولا ذلك لُأبرِزَ قبرُه، خُشي أن يُتخذَ مسجدًا» (٢) وهو من باب امتناعِ اتخاذ قبره وقبور الأنبياء مساجدَ، وأن اتخاذَها مساجدَ ليس من شريعة الإسلام.

وهذا سببُ الدعاء، أنهم جعلوا من قبور أنبيائهم قبلةً يُصَلُّون إليها، ويَدعون ويتوسلون حاجاتهم عندها، وقال المُباركفوري: «(**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**): كَانُوا يَجْعَلُونَهَا قِبْلَةً يَسْجُدُونَ إِلَيْهَا فِي الصَّلَاةِ كَالْوَثَنِ»(٣).

لأن اتخاذها مساجدَ أخصُّ من مجرد الصلاة فيها؛ إذ إنها مضاهاةٌ لبيوت الله تعالى، قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْلَا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ، خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

أيْ: لولا الخوفُ من اتخاذ قبره ﷺ مسجدًا ومزارًا -كما فعل اليهودُ والنصارى وغيرُهم من الوثنيين بأنبيائهم ورموزهم- لأُبرز قبرُه، ولم يُتخذ عليه ما يحول بينه وبين الناس، وكان النهي من النبي ﷺ من باب سد الذرائع وهو القائل ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٥).

وعن أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: آخرُ ما تكلم به النبي ﷺ: «**أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) تحفة الأحوذي (٢/ ٢٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٣).

أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد» [١].

وذلك ليحميَ النبيُّ ﷺ جزيرةَ العرب مهبطَ الوحي وقبلةَ المسلمين من مظاهر الشرك وأيِّ محادَّة للكعبة، التي جعلها الله قبلةً للمسلمين؛ حتى لا ينتقصَ من شأنها أو تُحادَّ بغيرها.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» [٢].

ومن حكمة الله تعالى أن طلب موسى من ربه أن يميته قريبًا من الأرض المقدسة رميةً بحجر، بعيدًا عن أعين بني إسرائيل زمن كانوا في التيه، فضلُّوا مكانه حتى لا يتخذوا قبره عيدًا.

حكى ابن بطالٍ عن بعضهم أن معنى بعده منها رمية بحجر: «ليعمى قبره؛ لئلا يعبده جهال أهل ملته ويقصدوه بالتعظيم»[٣].

قال المُهَلَّب: «هذا النهيُ من باب قطع الذريعة؛ لئلا يَعبدَ قبرَه الجهالُ كما فعلت اليهود والنصارى بقبور أنبيائها»[٤].

ولتشوفهم للقبور والأضرحة -وكانت صحراء سيناء خالية من القبور والأضرحة- اتخذ بنو اسرائيل عجلًا من حلي نسائهم عبدوه!

لقد اختلطت المصلحةُ الشرعيةُ اليهوديةُ عندَ الملتزمين منهم بالمصلحة الصهيونية،

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩١)، والدارمي (٢٥٤٠)، وأبو يعلى (٨٧٢)، وقال الهيثمي (٥/ ٣٢٥): رواه أحمد بإسنادين، ورجال طريقين منها ثقات متصل إسنادهما، ورواه أبو يعلى.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٠)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي في الكبرى (٢١٨١)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٣١٧٩)، والحاكم (١٣٨٤).

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٢). (٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٣/ ٣١١).

والتي يرمي كِلَاهما إلى إثبات الذاتِ اليهوديةِ والبحث عن الهوية اليهودية المفقودة، وترسيخ علاقتهم بالأرض المقدسة، ليُثبتوا للعالم مِصداقية دعواهم بأحقيتهم في فلسطين، وأنها ملكهم بوعدِ ربِّهم لهم، توارثوها بصكِّ التوراة!!

**ومن باب سدِّ الذرائع وقطعِ الطرق المُوصلة لتعظيم القبور نهى الشَّرع عن تجصيص وبناء القبور، كما جاء في الأثر: «أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ: أَبْعَثُك عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ لا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُه، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُه»**[1]، وهذا النهيُ يفيدُ التحريمَ.

**بعض المساجد والقبور والمواقع التاريخية التي حولها اليهود إلى معابد وكنائس لهم:**

جاء في بعض الروايات أن النبيَّ ﷺ قال: «**كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ**»[2]، ونرى اليوم كيف أن اليهودَ في فلسطين ما تركوا من قبرٍ إلاَّ واتخذوه مزارًا، بل أنشأوا قبورًا وأضرحة ومزاراتٍ لم تكن تُعرف وليس لها أصل، بغرض تشويه الحقائق وطمسِ المعالم التاريخية -مع تأكيدنا على حرمة تشييد المقابر والأضرحة- وذلك كما يأتي:

١- مسجد بلال بن رباح (مسجد قبة راحيل) في مدينة بيت لحم: قامت قوات الاحتلال اليهودية بالاستيلاء عليه بعد احتلال سنة ١٩٦٧م، وحولوا المسجد مزارًا وكنيسًا يهوديًّا، ومنعوا المسلمين من الدخول إليه.

٢- المسجد الإبراهيمي في الخليل: بعد المذبحة التي قام بها الصهيوني باروخ غولدشتاين في ٢٥/ ٠٢/ ١٩٩٤م، قامت السلطاتُ اليهودية بتقسيم المسجد الإبراهيمي، وتحويل الجزء الأكبر منه إلى كنيس يهودي.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

٣- مسجد صموئيل – قرية صموئيل: قرية فلسطينية منكوبة تهدم معظمُ بيوتها منذ السبعينيات، أو كما يسميها الصليبيون «جبل البهجة»، ويعتقد اليهود أن في موقع قبر النبيِّ صمويل بقايا رفات النبي صمويل، الذي يعتبرونه أحدَ أنبيائهم.

وحافظ المسلمون على مقام الضريح على مر العصور، وهو في المبنى السفلي للمسجد، وفي الموقع بقايا حصن صليبي وكنيسة، بُني هذا المسجد في القرن السادس عشر فوق قبر يعتقد أنه قبر النبي صموئيل من العهد القديم، قام ببنائه الظاهر بيبرس وأطلق عليه اسم القرية، والمسجد بناءٌ قديم مؤلف من ثلاثةِ طوابق، الطابق الأرضي عبارة عن مَغارَة، وللمسجد مئذنةٌ، وفيه عشر غرف واسعة، منع الاحتلال المسلمين من ترميمها، يخضع المسجد اليوم لسيطرة سلطات الاحتلال.

٤- مقام يوشع –قرية كفل الحارس– قام اليهود بترميم المكان المكون من غرفتين، إحداهما مسقوفة، والأخرى مكشوفة، وممر مؤدي للقبر، وأعدوا مقاعد للجلوس، ثم نسبوا هذا القبر لهم.

٥- مقام النبي يوسف –مخيم بلاطة، مدينة نابلس– استولت السلطات الإسرائيلية على مقام النبي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحولته إلى مزار ومدرسة دينية يهودية.

٦- مقام ياقوت – قضاء طبريا – حُوِّل إلى قبر لليهود باسم حبقوق.

٧- مقام الست سكينة في طبريا – حُوِّل إلى قبر يهودية باسم راحيل.

٨- مقام الشيخ دانيال – دنة، قضاء بيسان – حُوِّل إلى قبر يهودي باسم دان.

٩- مقام سمعان – قلقيلية – حُوِّل إلى قبر يهودي باسم شمعون.

١٠- مقام النبي يامين – قلقيلية – حُوِّل إلى قبر يهودي باسم بنيامين.

١١- مقام أبي هريرة -في يبنى، قضاء الرملة- حُوِّل إلى قبر ليهودي باسم الرابي جمليئيل.

١٢- مسجد النبي روبين - جنوب يافا - حُوِّل إلى قبر يهودي باسم رؤوبين.

١٣- مقام الشيخ الغرباوي - غربي قرية المدية وبجوارها - موديعين - حُوِّل إلى قبر يهودي باسم متتياهو.

وكل ما سبق هو ضمن الأوقاف الإسلامية.

ومن ضمن الإجراءات الخبيثةِ التي سعى إليها الصهاينةُ للاستيلاء على الأوقاف، تقسيم الأوقاف إلى دينيَّة وعلمانيَّة، فالأوقاف الدينيَّة هي المختصة بالمساجد والمقابر ودُورُ العبادة، أما الأوقاف العلمانية -حسب توصيف الصهاينة- فهي المزارع والمحلاتُ التجاريَّة والسكنيَّة، وفي حين أن الأوقاف كانت تصل إلى حوالي ١,٠٨ مليون دونم خلال فترة الانتداب البريطاني، فإن ٧٥٪ من أوقاف فلسطين نقلت في هذه الفترة.

استطاع الصهاينة -بنَفَس طويل- امتلاكَ الأوقاف بالكلية، - بحُكم القوة والأمر الواقع، ثم العمل على استيعاب إدارتِها والإشرافِ عليها، وتقسيمِها إلى أوقافٍ دينية وأوقافٍ علمانية، وإسناد أمرِ الأوقافِ الدينية إلى وزارةِ الأديان، والأوقاف العلمانية إلى سلطات الدولة المختصة.

## اليهود وعقدة النقص:

يشعر اليهود في قرارة أنفسهم بعُقْدَة النقص، المُنْبَثِقة من حاجتهم الماسَّة لكل ما يُثْبِت هويَّتَهم الدينيةَ ومدى ارتباطها بالأرض المقدسة، وهم يَرَون انعدامها إذا ما قيست بالأماكن المقدسة لدى المسلمين؛ لذلك فهم يَتَوَهَّمون باطلًا تلك الأماكن، ويدَّعون أنها مقدسةٌ لليهود بين ليلة وضحاها، يبتدعونها، ويَدَّعون أنها مقدسة كما في كتبهم المحرفة.

وذهب كاتب يهودي «إيموس إيلون» في كتاب صدر بالإنجليزية عام ١٩٩٠م بعنوان «القدس مدينة المرايا» إلى أن القدس ليست مقدسةً عند اليهود، وليس لهم أَيَّةُ آثارٍ دينية، ولكن اليهود اتخذوا منها طُعْمًا للهجرة وجمع المال، بينما يتمسك بها الزعماء اليهود لمكانتها العالمية، وموقعِها الاستراتيجي في قلب فلسطين، ولكي تكونَ هدفًا لمفاخرةِ قادة اليهود باحتلالِها واتخاذِها عاصمةً لهم.

وكذلك يفعلون في بعض الدول المجاورة لفلسطين، والتي طَبَّعَت علاقتَها مع اليهود، فهم يَدَّعون أن لهم فيها أماكنَ يهوديةً مقدسةً.

وهذا ليس غريبًا على الأخلاق اليهودية الواضحة الجلية للعالم أجمع، تدليس الحقائق، وتحريف الدين، واتخاذه وسيلةً للتكسُّب خُلُق متأصِّل في نفوس اليهود، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

## نوايا اليهود الحقيقية:

**لليهود في تلك الادعاءات والافتراءات نوايا خبيثة دنيئة، ومنها:**

١- التخلص من عقدة النقص التي يعاني منها سادةُ اليهود وقادتُهم بانعدام أماكنهم المقدسة على أرض فلسطين وغيرها من مواقع تَشْرَئِب إليها أعناقهم.

٢- فرض واستحداث تاريخ وثقافة وحضارة يهودية مزعومة لهم على أرض فلسطين وما حولها، وربطُ الأجيال اليهودية بها.

٣-ربطُ اليهود بأرض فلسطين ومدنها بمزاعم واكتشافات وادعاءات من صنيعهم، ليس لها أصول في كتبهم ولا تاريخهم ولا تراثهم.

٤-تأسيسٌ للمبررات والدعاوى الكاذبة للاستيلاء على المساجد والمقابر والأراضي،

لتبرير الوجود اليهودي في القدس وأرض فلسطين.

٥- نزعُ الصفة الإسلامية عن أرض فلسطين، بادعاء أن كلَّ المقدسات الإسلامية هي مقدسات يهوديةُ الأصلِ، وأنَّ المسلمين دُخلاءُ على تلك الأرض، وأن الوجودَ اليهوديَّ اليومَ في فلسطين هو بعثٌ جديدٌ لردِّ الحق اليهودي إلى أهله، زعموا!

٦- طمسُ المعالم الإسلامية والتاريخية والحضارية والثقافية والعربية وغيرها لمدن فلسطين ومدينة القدس على وجه الخصوص، والاستيلاءُ تدريجيًّا على الأماكن المقدسة الإسلامية.

ولقد أشار إلى ذلك بكل وضوح زعيمُ المنظمة الصهيونية العالمية ثيودر هيرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤م) قائلًا: «سوف ألمِّح باختصار شديد إلى حج المحمديين إلى مكة، وإلى حج الكاثوليك إلى لوردز، وإلى أماكن أخرى كثيرة، يعود منها الناس وقد ملأ الإيمانُ قلوبَهم بالغبطة وهكذا، فإننا سنخلق أيضًا مركزًا للحاجات الدينية العميقة لشعبنا، وسيفهمنا حاخاماتنا أولًا، وسوف يكونون معنا في هذا السبيل، سوف نَدَعُ كلَّ إنسان يبحث عن خلاصه هناك بطريقته الخاصة»[١].

وقال في موضع آخر: «إذا حصلنا على مدينة القدس وكنت لا أزال حيًّا وقادرًا على القيام بأي عمل، فسوف أزيل كلَّ شيء ليس مقدسًا لدى اليهود منها، وسوف أُحرق جميع الآثار التي مرت عليها قرونٌ».

وبشكل مضطرد يزداد عدد الأماكن اليهودية المقدسة في فلسطين كلما زاد عدد سنوات احتلالهم لها، فبعد أن كان عددها ٤٩ موقعًا مقدسًا عام ١٩٤٩م وفق ما دوَّنه الانتداب البريطاني العميل زورًا وبهتانًا، وصل إلى ٣٢٦ موقعًا في عام ٢٠٠٠م.

وبعد مراجعةِ أسماءِ الجهاتِ العاملةِ في تهويد القدس، وجدنا شبكة واسعة يعملون

---

(١) انظر: الدولة اليهودية، ثيودور هرتسل.

ضمن مشروع تهويد القدس.

وأهمُّ المؤسسات الرسمية في دولة الكيان اليهودي في فلسطين تُدعم وتُدفع -من خلال أذرعها الوزارية- إلى تحقيق أكبرِ قدرٍ ممكن من تهويد المعالم التاريخية في فلسطين، مثلُ وزارةِ الإسكان المسؤولة عن مشاريع البناء، ووزارةِ الاستيعاب، التي تعمل على توطين اليهود القادمين من الخارج وتحشدهم في القدس، ووزارةِ الأديان التي تهيِّئ الأجواء الدينية من خلال بناء الكُنُس والأضرحةِ والمعابد اليهودية بأنواعها، وسلطةِ الآثار التي تعمل على تضليل الجمهور من خلال المعالم المزورة، وفي ذات السياق تعمل على طمس المعالم التاريخية، وهكذا من خلال قائمةٍ لا تنتهي من المؤسسات الحكومية والأخرى الأهلية المتديِّنَة منها والعلمانيَّة، والتي لها أذرع تدعمها في كثير من دول العالم بميزانيات كبيرةٍ جدًّا.

## من فوائد الحديث

١- فيه جوازُ لعن اليهود، وأنهم أمةٌ ملعونةٌ.

٢- ليس في الإسلام شيءٌ من الوثنية أو القبورية.

٣- حذر النبيُّ ﷺ من اتخاذ قبره مزارًا تُشدُّ إليه الرحال.

٤- هذا نهيٌ ووعيدٌ يُوجِب هدمَ ما بُني من مساجد على القبور، مع النهي عن الصلاة فيها.

٥- مع حرص الصحابة على التمسك بسنة النبيِّ ﷺ، فلم يُعرف عن واحد منهم أنه التجأ إلى قبر النبيِّ ﷺ يدعوه ويَتوسل إليه في حاجة من حوائج الدنيا والآخرة.

# الحديث الرابع والعشرون

## السبتُ شعارُ ضُلَّالِ اليهودِ

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ»(١).

### مقدمة

حكمةُ الله الغالبةُ قضت بتفضيل يومِ الجمعةِ على سائر أيام الأسبوع، وليلةِ القدر على سائر ليالي العام، ويومِ عرفة على سائر أيام السنة.

ولقد اختار اللهُ لليهود هذا اليومَ شعارًا لهم، لكنهم أبوا كعادتهم وجِبلَّتِهم التي مُزجت بالعناد، فاختاروا يومَ السبت معاندةً لله وانصرافًا عن الخير والهدى.

### شرح الحديث

**قوله: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا»:**

قد فُرِضَ عَلَيْهِمْ يَوْمٌ مِنَ الْجُمُعَةِ، وُكِلَ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ؛ لِيُقِيمُوا فِيهِ شَرِيعَتَهُمْ، فَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الْأَيَّامِ يَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ، وَلَمْ يَهْدِهِمْ اللهُ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَادَّخَرَهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ،

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٦).

وَهَدَاهُمْ لَهُ تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، فَفُضِّلَتْ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ؛ إِذْ هُوَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ؛ وَفَضَّلَهُ اللهُ بِسَاعَةٍ يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ[١].

**قوله: «فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ»:**

أَمَرَهُمْ بِالْجُمُعَةِ وَأَخْبَرَهُمْ بِفَضْلِهَا، فَنَاظَرُوهُ أَنَّ السَّبْتَ أَفْضَلُ، فَقَالَ اللهُ لَهُ: دَعْهُمْ! لما أمروا بالجمعة اختاروا السبت، فتركهم اللهُ وشأنَهم باختيار يوم السبت.

السبت: تعني القطعَ [٢]، وتعني كذلك الحَلْقُ [٣].

قال الجوْهَرِيُّ: وسُمِّيَ يومَ السَّبْت، لانْقطَاع الأَيَّام عندَه [٤].

وسبت فلان: صار في السبت، وقوله: ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾ قيل: يوم قطعهم للعمل، وقيل: معناه لا يقطعون العمل.

**المعنى العبري لكلمة السبت:**

الأصلُ العبريُّ «شبت» «Shabbat»، مأخوذ من الفعل «شَبَتَ»، ومعناه «يتوقف»، أو «يستريح»، وهي مشتقة من كلمة «شبتو» البابليَّة، التي كان يستخدمها البابليون للإشارة إلى أيام الصوم، والدعاء، وإلى مهرجان القمر المكتمل (البدر)[٥].

**أحكام يوم السبت في التشريع اليهودي:**

جاء في سِفْر الخروج: أن الله تعالى قدَّسَ يومَ السبت، وأمر بني إسرائيل في الوصايا العشرة حفظَ يومِ السبت، والتوقفَ من العمل، «اذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ، سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ١٥٥).

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٤١٢).

(٣) تاج العروس، محمد الحسيني (٤/ ٥٣٤). (٤) المصدر السابق (٤/ ٥٣٥).

(٥) انظر: موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري (الباب ١١ – صـ٧١).

وَتَقُومُ بِجَمِيعِ مَشَاغِلِكَ، أَمَّا اليَوْمُ السَّابِعُ فَتَجْعَلُهُ سَبْتًا لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، فَلَا تَقُمْ فِيهِ بِأَيِّ عَمَلٍ، أَنْتَ أَو ابْنُكَ، أَو ابْنَتُكَ، أَو عَبْدُكَ، أَوْ أَمَتُكَ، أَوْ بَهِيمَتُكَ، أَو النَّزِيلُ الْمُقِيمُ دَاخِلَ أَبْوَابِكَ؛ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ صَنَعَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَرَاحَ فِي اليَوْمِ السَّابِعِ؛ لِهَذَا بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَجَعَلَهُ مُقَدَّسًا»(١).

ويرى اليهودُ أن يومَ السبت تعود قدسيَّتُه إلى عهدٍ وولاءٍ بين الخالق تعالى، وشعب إسرائيل، كما جاء في التوراة: «لِيَحْفَظْ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ وَيَحْتَفِلُوا بِهِ فِي كُلِّ أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا، هُوَ بَيْنِي وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَامَةُ عَهْدٍ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي اليَوْمِ السَّابِعِ فَرَغَ مِنَ العَمَلِ وَاسْتَرَاحَ»(٢).

ويتكرَّر يومُ السبت في العام العبري أكثر من خمسين مرة، وهو مقدَّس جدًّا لدى اليهودِ، ويُعتبر أكثرُ الأعياد اليهودية قداسةً.

وجاء في موسوعة اليهود واليهودية(٣)، أن تقديس يوم السبت كان أمرًا مختصًّا بشعب إسرائيل، وجزءًا هامًّا من العهد الذي قطعه الله مع إسرائيل في سيناء.

وقد كان اليهود يتطلَّعون إلى السبت بفرح وبهجة، وكان حرمانهم من الاحتفال بالسبت في السبي عِقابًا لهم من الله.

ويُعتبر يوم السبت يوم التوافقِ التامِّ بين الإنسان والطبيعة، والإنسان والإنسان، والتوقفُ عن العمل فيه يعني التخلُّصَ من المشاركة في عملية التغيير الطبيعي، والاجتماعي، والتحرُّر من قيود الزمن.

وكان المتمسك بالتعاليم اليهودية الخاصة بيوم السبت يطلق عليه مصطلح «حافظ

---

(١) سِفْر الخروج (٢٠: ٨-١١).
(٢) سِفْر الخروج (٣١: ١٧).
(٣) موسوعة اليهود واليهودية، لعبد الوهاب المسيري (الباب ١١ - ص٧١).

حرمة السبت»، يعني هو ذلك اليهودي المتمسك بتعاليمِ حرمةِ السبت، مجتنبًا محرمات هذا اليوم ومحظوراتِه.

ويومُ السبت هو العيد الأسبوعيُّ، أو يومُ الراحة عند اليهود، ويُحرَّم فيه العمل، فإن الله بارك هذا اليومَ وقدَّسه، وحرَّم فيه القيامَ بأيِّ نشاطٍ، وقد جاء أكثرُ من نص صريح في التوراة يفيد هذا المعنى(١).

ويرى آخرون تمادَوا في كفرهم أن تحريمَ العملِ يومَ السبت يعود إلى أن الإنسان ندٌّ للإله، وشريك في عمليةِ الخلقِ، فالإلهُ عمِل ثم استراح، والإنسانُ يعمل بدوره في الخلق، ثم عليه أن يستريح، وهذا تعبيرٌ عن الطبقة الحلولية في التركيب الجيولوجي اليهودي.

ويرى فريقٌ ثالثٌ أنَّ تقديسَ السبت إحياءٌ لذكرى خروج اليهود من مصر، وتخليصهم من العبودية، وتؤكد أسفارُ موسى الخمسةُ، في غير موضعٍ ضرورةَ الحفاظ على شعائرِ السبت كعهدٍ دائم بين الإلهِ وجماعةِ إسرائيلَ؛ وبذا يصبح السبتُ أحد علاماتِ الاصطفاءِ، وإقامةُ هذه الشعائرِ يُعجِّل بقدوم الماشيَّح. والماشيَّح يعني مسيحَهم المخلِّصَ لهم في آخر الزمان(٢).

ومن عادة الحسيديم: مفردها حسيد، وهي تعني الإحسانَ، وهو اسمٌ لجماعة من اليهود الأرثوذوكس يحتفلون بقدوم يوم السبت بالاغتسالِ قبل مغيب الشمس بساعة أو ساعتين من يوم الجمعة، وتكون الحمَّامات في الوقت الذي ذكرناه من أكثر الأماكن الحسيدية انشغالًا، وأشدَّها ازدحامًا، ويُعتبر الاغتسالُ هذا واجبًا عندهم، والكثيرُ من الحسيديم يتجشَّمون مصاعبَ السفر، وتعبَه من أجل أن يكونوا مع مرشدِهم الديني،

---

(١) سفر التكوين (٢: ١ - ٣).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري (١٤/ ٧١).

وفي هذا اليوم أوجبَ الحاخامات أكلَ ثلاثِ وجبات، وأن يأكل في كلِّ وجبة خبزًا، وهذا الوجوبُ ينطبق على المرأة اليهودية كذلك [١].

**من أعمال كهنةِ الهيكل يومَ السبت، وهو المعبدُ اليهوديُّ الذي يحاول اليهود بناءه على أنقاض المسجد الأقصى لا قدَّر الله:**

يستعدُّ الكهنة للاحتفال بالسبت في الهيكلِ معَ الكهنةِ الذين يقومون بالتناوب فيما بينهم على أعمالِ هذا العيد في الهيكل، وأهمُّها الإعلانُ عن الاحتفال بثلاث نفخاتٍ في أبواق الكَهَنَة، ليتوقف الكلُّ عن العمل ليُشعَل مصباحُ السبت، ويرتدي الكلُّ ملابسَ العيد.

وينفخ الكهنةُ مرةً أخرى بالأبواق ثلاثَ نفخاتٍ، للإعلان عن بَدْءِ فعاليات طقوسِ السبت، ثم يَتِمُّ الاقتراعُ بين رؤساء العشائر ذاتِ الأصول القديمة كما يزعمون، لتحديد أدوارِ الخدمة لكلِّ واحدٍ منهم طوالَ أيام الأسبوع، وأولُ أعمال الكهنة في هذا اليوم هو تغييرُ خبز الوجوه، وهو خبزُ الفطير الذي كان يُصْنع كلَّ سبت، ويقدَّم على مائدة الذهب ساخنًا، وكان يُقدَّم منه اثنا عشر رغيفًا بقدر عدد أسباط بني إسرائيل... وسمِّيت خبزُ الوجوه؛ لأنها كانت دائمًا أمامَ الرب، وكانت تُغيَّر كل يوم سبت.

### آخر أعمال يوم السبت:

يُخْتَتم الاحتفالُ بعيد السبت بترانيم تسبحةِ موسى الواردةِ في التوراة[٢]؛ ليُعلنوا أن السبت هو فرارٌ من عبودية فرعون (إبليس)، وانتصارٌ روحيٌّ على جنوده، وللانطلاق خلال البَرِّيَة إلى الأرض الموعودة (فلسطين).

---

(١) اليهود الحسيديم، د. جعفر هادي حسن (ص ١١٥)، بتصرف.

(٢) سِفر الخروج (١٥).

## عطلة السبت في دولة الكيان اليهودي قرار رسمي:

وبعد أن أصبح للجماعات، والفرق، والأحزاب الصهيونية، واليهودية دولةٌ في فلسطين، تم اعتبار يوم السبت إجازةً رسميةً وعيدًا يهوديًّا أسبوعيًّا، وهو من أهم الأعياد اليهودية، فقد جاء في قانون العملِ لدولة الكيان الصهيونيِّ في فلسطين المحتلة، الصادر عام ١٩٥٦م، ما ينص على أن السبتَ يومُ الراحة الأسبوعية.

ثم فرضت الدولة العبرية، وبمساعدة المتدينين اليهود قوانينَ، تَضع تقييداتٍ كبيرةً على الحركة العامة أيامَ السبت، وعلى المؤسسات الحكومية، والتجارية، وحركة المواصلات العامة، وغير ذلك.

ثم سيَّرت ما يسمى: بـ«دوريات السبت»، وهم عناصرُ شرطة من غير اليهود، يقومون بتحرير المخالفاتِ ضدَّ كلِّ مَن يخالف تعاليم السبت.

## عقوبة انتهاك حرمة السبت عند اليهود:

في الشريعة اليهودية الأمر بقتل مَن يعمل يوم السبت، والإعدامُ رجمًا هي عقوبةُ مَن يقوم بخَرْق شعائر السبت، ولم يكن عند اليهود خطيئةٌ أعظمُ منها، إلا عبادة الأوثان.

وقد جاء النصُّ على ذلك في التوراة: «كلُّ مَن صنع عملًا يوم السبت ممكن قتله»[(١)]، وإنَّ أحكامًا كهذه يعتقد بها اليهود، حتمًا ستقودهم إلى أن يَفرضوها على أنفسهم، وغيرهم، حتى ولو كان ذلك بالقوة.

## اعتقادهم بجرمة السبت مبعثه الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

نسبوا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التَّعب، والحاجة إلى الراحة لَمَّا خلقَ السماء والأرض، كما

---

(١) سفر الخروج (٣١: ١٥).

جاء في التوراة أيضًا: «لأنه في ستةِ أيامٍ صنع الربُّ السماءَ والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفَّس»[١].

## الواجب على اليهود فعله يوم السبت:

أمَّا جملةُ المحرمات التي حرَّمها اليهودُ على أنفسهم فلم تأتِ مفصَّلةً، لكن التقطوها من عدة مصادرَ، مثلِ العهد القديم، والكتب المفسَّرة له كالمشناة، والجمارا التي دوَّنت أقوال علمائهم الشفوية، وتأويلاتهم الخاصة، حتى وصل عدد محرمات يوم السبت إلى تسعة وثلاثين عملًا رئيسيًّا، يتفرع منها أعمالٌ أُخَرُ شبيهةٌ بها.

يُحرم على اليهودي يومَ السبت، والمطبقِ لتعاليم التوراة الخروجُ من البيت، وهو يحمل معه ما من شأنه أن يكون سببًا في ممارسة أي عمل، أو يساعد على ذلك من حمل أدوات أو أموال، أو ما من شأنه أن يشغلَه عن ذكر الرب، من بيع، أو شراء، أو الكتابة ونحوها، والذهاب للعمل، أو إيقاد جميع أنواع النار، لطهي الطعام على ما يسمَّى بالطبَّاخ أو الحطب، وحَرمت طائفةٌ (القراؤون) مضاجعة الرجل زوجته في هذا اليوم، كما يُحرم السفر، أو المشي مسافات تزيد على نصف ميل.

إذ يجب عليه ألا يحمل معه أي شيء سوى التوراة، أو كتاب الصلوات، غير أن (جابوتنسكي)[٢] يشير إلى أحد الحاخامات الذين أجازوا حمل التوراة، والسيف معًا في يوم السبت؛ لأنهما أُرسلا معًا من السماء.

---

(١) سفر الخروج (٣١: ١٣-١٧).

(٢) هو زئيف فلاديمير جابوتنسكي، قيادي صهيوني ولد في أوكرانيا في ١٨ أكتوبر ١٨٨٠م، بدأ نشاطه الصهيوني عام ١٩٠٣م، بحضور المؤتمر الصهيوني السادس، هلك في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م، وبعد تأسيس دولة للصهاينة في فلسطين نقل ليفي أشكول رفات جابوتنسكي وزوجته لدفنها في القدس.

## طقوس وهرطقات يهودية ليلة السبت ويومها:

عندما يبدأ السبتُ في الدخول يتشبَّع الهواءُ برائحةٍ رقيقة وطيِّبة، من نوع خاصٍّ، لا يُعادلها أيُّ نوع من العطور، لكن هذا العبير لا يستمتع به سوى هؤلاء الذين يُراعون السبتَ ويُحافظون على قداسته، وهذه الرائحة الطيبة تتخلَّل أيضًا طعامَ الأتقياء، فتُكْسِبه نكهةً ألذَّ من أيِّ طيب على وجه الأرض [١].

## ومن أعمال يوم السبت عند اليهود:

يتم إشعال قنديل من الزيت في البيت، أو نورٍ من الشمع عند البعض، بالإضافة إلى الثُّرَيَّات، والمصابيح الكهربائية قبل غروب الشمس.

والرجال يذهبون إلى الكُنُس للصلاة، ويقرؤون سفرَ نشيد الإنشاد، ثم يعودون إلى بيوتهم، ويتم تناول وجبة طعام دسمة يُدْعى لها الضيوفُ.

وقبل تناول الطعام تُتلى الآياتُ من سِفر التكوين على كأسٍ من النبيذ، أو رغيفَين من الخبز، وتُسمَّى هذه البركة (قِدُّوش هَيُّوم) بالعبرية، بمعنى: يجعلُ اليومَ مقدسًا.

ثم يُبْدَأُ بتناول الطعام، وتُنْشَد الأناشيد الخاصة بيوم السبت، ويُتَحَدَّث عن وصايا التوراة[٢].

ومن أعمال ربَّة البيت اليهودية بمناسبة قدوم هذا اليوم، إشعال شمعتين، وتسمى (شموع السبت)، وتضع على مائدة الطعام مقدَّمًا –لحرمة ذلك يوم السبت– رغيفين لكل وجبةٍ من الوجبات الثلاث، والرغيفان يُعبِّران عن ذكرى الطعام الذي أرسله الربُّ لبني

---

(١) السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، د.محمد الهواري (ص ٢٨).

(٢) موقع المجلس اليهودي الأمريكي على الشبكة العنكبوتية العالمية

http: //www.aslalyahud.org/index.php

إسرائيل في البريَّة، ويكونان على شكل جدائلَ –وأخشى أن تكون الجبنةُ البيضاء المجدلة التي تُباع في الأسواق يعود أصل فكرتها الى ما سبق– رمزًا لإكليل العروس.

ثم يُغطَّى الطعامُ بالمَفْرَش، ثم يُدعى الأطفالُ ليبارِكَهم الأبوان.

ومن مهامِّ ربَّة البيت في هذا اليوم أيضًا أنها تقوم بقراءة دعاء مقدم السبت (قيدوش) بعد أن تمسك بيدها كأسَ الخمر، وهي كذلك مَن يختتم هذا اليوم بقراءة دعاء انتهاء السبت (هافدالاه).

أما فرقة القبَّالاه –كلمة عبرية تعني التقبُّل أو القبول أو ما يتلقى وهي فرقة يهودية صوفية حلولية، تُعنَى بدراسةِ المعاني الخفيةِ للتوراة، تتعامل بالسِّحر والعدد والرموز– فإنها تحول الاحتفال يوم السبت إلى أهمِّ الاحتفالات، وأكثرِها دلالةً ورمزيةً، إذ إن السبتَ عندهم يُرمز له بالعروس في التراث القبَّالي، إذ اعتبروه شكلًا من أشكال الزواج المقدَّس بين الملك/ العريس / الشمس / الإله من جهة، والملكة/ العروسة/ القمر/ الملكوت (أي الشخيناه أو كنيست يسرائيل) من جهة أخرى، ويُعَدُّ يومُ السبت يومَ القبَّالاه بالدرجة الأولى.

وقد كان الاحتفالُ بمقدَمِه يشبه الزفافَ، وكانت ليلةُ السبت الليلةَ التي يعاشر الإله فيها (بستان التفاح المقدَّس)، لينجب أرواحَ الصالحين (أي اليهود) – تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا–، وكان القبَّاليون في صفد يَخرجون ظهيرةَ يوم الجمعة بملابسهم البيضاءِ إلى حقلٍ يقع خارجَ المدينة، وينتهي إلى بستانِ (التفاح المقدَّس) انتظارًا للعروس، يُغنُّون بعضَ المزامير، وكذلك نشيدَ الإنشاد، وعند مساء السبت، يتمُّ إنشادُ الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر الأمثال، وكأنه أنشودة زفاف[1].

(١) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري (١٤/ ٧٣).

**قوله: «وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ»:**

لما أُمروا بالجمعة اختاروا الأحد؛ فتركهم اللهُ وشأنهم في اختيار يوم الأحد بسبب حدوث قيامةِ يسوعَ وفقًا للمعتقدات المسيحية.

كما أنهم تركوا السبتَ مخالفةً لليهود مع أنهم من بني إسرائيل، وكانوا ممَّن يُعظِّم السبت ويقدسونه، إلا أنهم وبعد زمانٍ من رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تركوا السبتَ بغضًا لليهود، وعظَّموا الأحدَ من غير دليل، وتركوا يومَ الجمعة الذي أُمروا به.

ووفقًا لرواياتٍ مسيحيةٍ كانوا يجتمعون يوم الأحد منذ القرنِ الأول للميلاد من أجلِ العبادةِ واللقاءاتِ الدينية.

وفي القرن الرابع الميلادي أقرت الكنيسةُ رسميًّا أن يومَ الأحد من كلِّ أسبوع يومًا للراحة.

ومرجعهم في ذلك ما جاء في سفر الرؤيا، يقول القديسُ يوحنا: «وفي يوم الرب (الأحد) صَرت في الروح»[1]، فقد دعا القديس يوحنا يومَ الأحد يومَ الربِّ باعتباره يومَ راحة وعبادة، وذكرى مستمرة لقيامةِ مخلِّصهم كما يعتقدون، وأنه اليوم الأول لعمل الله الخلاق – تعالى الله عما يقولون–.

**قوله: «فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»:**

**قوله: «فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ»:**

يبدو أن ترتيب الأيام على نحو ما ذكره النبي ﷺ وأن الجمعة هي أولها، وهذا نوع فضل لها.

---

(١) رؤ (١: ١٠).

قال المازري: «فيه دليل على فساد تعلق اليهود والنصارى بالقياس في هذا الموضع؛ لأن اليهود عظَّمت السبت لما كان فيه فراغ الخلق، وظنت ذلك فضيلة توجب تعظيم اليوم، وعظَّمت النصارى الأحد لما كان فيه ابتداء الخلق، واتَّبع المسلمون الوحي والشرع الوارد بتعظيم يوم الجمعة فعظَّموه»(١).

## أحكام يوم الجمعة في الإسلام:

يومُ الجمعة اختيارُ الله للأمة المسلمة، كما جاء في حديث الباب، يومُ عيدِ المسلمين الأسبوعيِّ، وليس من يوم من أيام الأسبوع خصَّه الله بسورة تقرأ فيه (سورة الكهف) سوى يومِ الجمعة، وهو اليومُ الوحيدُ الذي نزلت باسمه سورةٌ في القرآن، وهي (سورة الجمعة).

## الجمعة أفضل أيام الأسبوع:

عن أوس بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون: بليت -؟ فقال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»(٣).

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (١٦٧٨)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٤).

## فضل من يموت يوم الجمعة:

عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**»(١).

## ساعة إجابة ليست في يوم سوى الجمعة:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يريد ساعة- لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَتَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ**» (٢).

## الجمعة والعيدين اختيار الله للمسلمين:

أنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ؟! جاء عن النبي ﷺ نصوصٌ عامَّةٌ تنهى عن التشبِّه بالكفار في كل شيء من سَنَنهم، سواء أكانت عادةً، أو عبادةً، وذلك في قوله ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**» (٣).

لقد أخبر النبي ﷺ عن اصطفاء الله العيدين للمسلمين فيما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال: «**كَانَ لَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ**»(٤).

لقد عملت الشريعةُ على اعتبار الحاجات الغريزية في البشر، ومنها ما يحتاجه من أيام

---

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٢)، والترمذي (١٠٧٤)، وقال: وهذا حديث ليس إسناده بمتصل.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي في الكبرى (١٧٠٩)، وصححه الحاكم (١٠٣٢)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا النووي في خلاصة الأحكام (٢/ ٧٥٥)، وحسنه الحافظ في الفتح (٢/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (١٢٠٠٦)، أبو داود (١١٣٤)،والنسائي في الكبرى (١٧٦٧)، وصححه الحاكم (١٠٩١)، ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في بلوغ المرام (ص٢٠٩).

تُخصَّصُ للفرح والتَّوْسِعَة على النفس والعيال، في قول النبي ﷺ: «**وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ**»، وهذا فيه إشارةٌ إلى أن القلبَ لا يتسع للعوض والمعوَّض عنه، كالذي يملأ ناظرَيه بالحرام فيستغنى بذلك عن النظر، والتمتع بزوجته، وكالذي يملأ جوفه بالغناء فلا يبقى مكانٌ للقرآن.

في المقابل سوَّغ بعضُ ضِعاف الانتماءِ لدين الإسلام لأنفسهم اتباعَهم سَنَن الكفار وعاداتهم، معتقدين أن لا ضَيْرَ فيها وأنها من العادات لا العبادات، كقولهم: إننا لا نأخذ من يوم السبت سوى العطلة والراحة الأسبوعية، لقد نسي هؤلاء أو تناسوا كيف اختُزِلت بدعةُ ما يسمى بعيد الأم في ٢١/ مارس من كل عام، لينحصر بهذه المناسبة الدخيلة حبُّ كثير من الناس لأمَّهاتهم في يوم واحد من أيام العام، وفيه يقدمون لها الهدية دون سواه من أيام العام، لتكون مناسبةً يتيمةً ينحصر فيها تقديم الهدايا والعطايا، ونحو ذلك من حطام، ظنًّا منهم أنها ما هي إلا مناسبةٌ عائليةٌ لا شأن للدين بها، حتى اختُزل حبُّهم لأمهاتهم في هذا اليوم المبتدع، فحُرمت الأمُّ الحبَّ، والحنان، وكلماتِ الاحترام طوال العام.

لقد تمادى بهم الأمر وتعاظم، فطالعونا ببدعة كلُّها سفاهةٌ، وانحطاط في الأخلاق، وهي ما يسمُّونه بـ«عيد الحب»، نسبة إلى كافر هالك يسمى «فلنتاين»، فأصبح هذا العيد في هذا اليوم ١٤/ ٢ من كل عام ميلادي، مبررًا عامًّا لانحطاط الأخلاق بعباراتهم، وأفعالهم، وشعاراتهم، وبكل وقاحة يندى لها الجبين.

نعم سوَّغ لهم فعلُ القليلِ إلى التمادي إلى الكثير، وأصبحت الدِّياثَةُ -أن يرى الرجلُ المنكرَ في أهله دون أن يحرك ساكنًا-، عادةً يتبارى الناسُ بها ويفتخرون.

إن مشابهتَنا للقوم الكافرين تُفضي إلى المعصية، وربما إلى الكفر والعياذ بالله.

## حكم الإسلام في تعطيل الأعمال يوم الجمعة ديانة:

١- روى أشهب عن مالك قال: «إنَّ الصحابة كانوا يكرهون ترك العمل يوم الجمعة على نحو تعظيم اليهود للسبت والنصارى للأحد»(١).

وجاء في (فيض القدير) مثلُه عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وزاد: «لئلَّا يصنعوا فيه كما فعل اليهود والنصارى في السبت والأحد»(٢).

ونقل شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ، عن مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إجماعَ الصحابة على كراهة ترك العمل يومَ الجمعة ديانةً كما يفعلُ اليهود والنصارى في يومَي السبت والأحد، فقال: «ويُكره تركُ العمل يومَ الجمعة كفعلِ أهل الكتاب يومَ السبت والأحد»(٣).

وجاء في كتاب إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم: «وفيه جوازُ العمل يوم الجمعة قبل النداء، والتجارة، والمبايعات، وقد كان أصحابُ النبي ﷺ يكرهون ترك العمل يوم الجمعة، كي لا يتشبه باليهود»(٤).

ونقل صاحب (التاج والإكليل)، عن ابْنِ عرفة: «كراهةَ ترك العمل يوم الجمعة كأَهل الكتاب، وعن أَصْبَغَ: مَنْ ترك العمل اسْتِراحةً فلا بأس به، وأَمَّا اسْتِنَانًا فلا خَيْرَ فيه»(٥).

وجاء في (المُدَوَّنة) -وهو من أنفس المراجع في هذه المسألة-: «ولا يُمْنَع أهلُ الأسواق البيعَ والشراء يوم الجمعة إلَّا في الساعة المذكورة، ويُكره تركُ العمل يوم الجمعة كفعل أهل الكتاب في السبت والأحد»(٦).

ويكون خلاصةُ ما جاء في هذه المسألة أنه لا يجوز اعتبار إجازةِ يوم الجمعة ديانةً ومطلوبةً شرعًا، إذا كانت هذه الإجازة على وجه التعبد والتعظيم، والله أعلم.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ (١/ ١٨٥).
(٢) فيض القدير (٤/ ٤٣٠).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٩٥).
(٤) إكمال المعلم (٣/ ١٣٢).
(٥) التاج والإكليل (٢/ ٢٦٣).
(٦) المدونة (١/ ١٢٠).

**قوله: «وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»:**

تبعٌ لنا يدخلون الجنة بعدنا، وهذا من تفضيل الله تعالى لأمة محمد ﷺ.

الظاهر: أن معناه أنا أول من هداه الله للجمعة، وأقام أمرها وعظَّم حرمتها، فمن فعل ذلك فهو تبع لنا[١].

وقال الحافظُ وليُّ الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاهرُ: أن معناه أنا أولُ من هداه الله للجمعة، وأقام أمرها، وعظَّم حرمتَها، فمَن فعل ذلك، فهو تبعٌ لنا»[٢].

**قوله: «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»:**

أي: كنا بعدهم في الخلق ورسولُنا خاتَمُ الأنبياء والمرسلين ونحنُ آخر الأمم، وأننا أولُ مَن يدخل الجنة من الأمم.

**قوله: «الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»:**

وَفِي رِوَايَةٍ وَاصِلٍ: «**الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ**» أي: الذين يُقضى بينهم يوم القيامة فيما يتعلق بحقوقهم، قضاؤه لأمة محمد قبلَ سائر الأمم، أي: نحن الأولون الذين يُقضى لهم بدخول الجنة قبل الخلائق.

**شريعة الإسلام تنهى عن تعظيم يوم السبت:**

يكره إفراد يوم السبت بالصوم؛ لحديث عبد الله بن بُسر عن أخته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ**»[٣]، فإن لم يُفرد ذلك، وصام الجمعةَ والسبتَ معًا فلا كراهةَ.

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ١٥٧).

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، الإثيوبي (١٦/ ٥٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٠٧٥)، وأبو داود (٢٤٢١)، والترمذي (٧٤٤)، وابن ماجه (١٧٢٦)، وقال الترمذي: حديث حسن.

والذي عليه العملُ عند أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أن المنع من صوم يوم السبت المرادُ به من قصدُ يوم السبت تعظيمًا للسبت؛ لأنه شعارُ اليهود، واليهودُ يعظمونه، ويحلفون به، وقدُ أمرنا بمخالفة أهل الكتاب، وهذا أصلٌ في جميع ما ورد، مثل يوم عرفة لو وافق يومَ سبت ونحو ذلك من الأيام المفردة، فإنه يشرع صيامها، ولا بأس في ذلك، ولا حرجَ أن يصومه؛ لأنه يصومه لسبب شرعي معلوم.

## حرمة السبت شريعة منسوخة:

العملُ يوم السَّبت كان مباحًا قبل شريعة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثمَّ انْتُسخت تلك الإباحة بشريعة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان اسم السَّبْت علمًا للتَّحريم؛ لأنَّ السَّبْت مختصٌّ بشريعته، فاليهود نُهوا عن العمل يوم السَّبْت، ولم يؤمر النَّصارى بترك العمل يوم الأَحد، ثمَّ أباحه الشَّارعُ الكريمُ لنا، فصار السبت بعَيْنه علمًا للإباحة، فهو يومٌ من أيام الله لا يحرم العمل به، فقد جاء الإسلام لينسخ حرمته إلى حرمة العمل وقت صلاة الجمعة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الجمعة: ٩].

ويرى اليهودُ أن لا نسخَ في شريعتهم، وما نقلوه من تأْبيد شريعةِ موسى وتأْبيد تحريم السَّبْت افْتراءٌ على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل: أَوَّلُ مَن وضع لهم ذلك هو ابن الرَّوانْدِيِّ[١]، لِيُعَارِضَ به دعوى الرِّسالة من محمدٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

---

(١) ابن الراوندي: هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، نسبة إلى قرية راوند بين أصفهان وكاشان في إيران، ولد عام ٢١٠هـ وتوفي في الأربعين من عمره، شهدت حياته تقلبات عقدية وفكرية، فكان من أعلام المعتزلة ثم تحول إلى التشيع ثم تحول إلى اللاأدريين والزندقة.

(٢) كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري (٣/ ٢٤٣).

ومعلوم أن النسخَ إنما يقع في الأمر والنهي، ولا يجوز أن يقع في الأخبار المحضة[١].

وكان ممَّن رد عليهم في جواز النسخ في شريعة اليهود، الحكيمُ السموءلُ المغربيُّ في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود)[٢]، فقد قال: «إن التوراة حرمت الأعمالَ الصناعيَّة في يوم السبت بعد أن كان مباحًا، وهذا بعينه هو النسخ»[٣].

فإن كان الله نهَى عن عمل الصناعات في يوم السبت لعينِ السبت، فينبغي أن يكون هذا التحريمُ على إبراهيم، ونوح، وآدم أيضًا؛ لأن عينَ السبت كانت أيضًا موجودةً في زمانهم، وهي علةُ التحريم؛ وإذا كان ذلك غيرَ محرم على إبراهيم ومن تقدمه، فليس النهي عنه لِعَيْنه، أعني: في جميع أوقات وجود عينه، وإذا لزمكم أن تحريم الصناعة في يوم السبت ليس تحريمًا في جميع أوقات السبت، فليس يمتنع أن يُنسخ هذا التحريمُ في زمن آخر[٤].

وقال مخاطبًا اليهود: ما تقولون في السبت؟ أيُّهما أقدم: افتراضها عليكم، أو افتراض الصوم الأكبر؟ فيقولون: السبت أقدم؛ لأنهم إن قالوا: الصومُ أقدمُ، كذَّبناهم بأن السبتَ فُرضت عليهم في أول إعطائهم المنَّ، والصوم الأكبر فرضٌ عليهم بعدَ نزول اللَّوحين ومخالفتِهم وعبادتهم العجل، ولَمَّا رفعَ عنهم عقابَ ذنبهم ذلك في هذا اليوم، فرض عليهم صومَه وتعظيمَه.

فإذا أقرُّوا بتقديم السبت قلنا لهم: ما تقولون في يوم السبت؟ هل فُرضت فيه عليكم الراحةُ، والدَّعَة، وتحريمُ المشقات أو لا؟ فيقولون: بلى.

---

(١) الناسخ والمنسوخ، ابن حزم (ص ٨).

(٢) الحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، وهو من أعظم أحبار اليهود قبل إسلامه، المتوفى ٥٧٠هـ.

(٣) بذل المجهود (ص ٢٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٨).

فنقول لهم: فلِمَ فرضتم فيه الصومَ إذا اتفق صومُكم الأكبر يوم السبت؟ مع كون صومِكُم فُرض بعدَ فريضة السبت؟ ولكم في هذا الصوم أنواعٌ من المشقة، ومنها القيامُ جميعَ النهار، أليس هذا أيضًا قد نَسخ فريضة السبت؟[١].

## إجازة السبت في بلاد المسلمين وما فيها من أخطاء:

لا بد أن يُعلم ابتداءً أن اليهود هم أولُ من أوجب على أنفسهم عطلةً أسبوعية يحتفلون لأجلها، وعطلة يوم السبت تحديدًا أقدم من جميع عطلاتهم الدينية الأخرى، ثم تتابعت كثيرٌ من الملل في الأرض في تقديس أيام أصبحت شعارًا لها، تقيم لها الاحتفالات وتفرض فيها العطل والإجازات.

إن الناظرَ في طبيعة قانونِ يومِ السبت باعتبارِ إقراره عطلةً رسميةً في بلاد المسلمين، يلحظ فيه الأخطاءَ التاليةَ:

١- موافقةٌ ورضًى بما عند اليهود دون حاجة ملحة، بل اتباعٌ وانصياع وتقليد أعمى، كما أخبر نبينا محمد ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ!**»[٢].

٢- إقرارُ إجازة يوم السبت، وتعطيلُ نهارها في الدول الإسلامية، ما هو إلَّا حلقةٌ في سلسلة ضياع الهوية، والصِّبغة الإسلامية عن دولنا ومجتمعاتنا، بانسلالٍ كثير من عباداتٍ، وطقوسِ الكفار، على أنها من العادات المباحة، دون النظر إلى عواقب الأمور ومآلاتها.

٣- إن استبدالَ يوم السبت بإجازة الجمعة، أو إضافته كإجازةٍ رَديفَة ليوم الجمعة، فيه رفع من شأن هذا اليوم، أو مساواته بيوم الجمعة، لقد أخبر النبي ﷺ، عن العيدين فقال: «**كَانَ لَكُمْ**

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا وَقَدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ»** (١).

إنه يومُنا لا نقبل له ندًّا، أو ضدًّا، أو المساومةُ عليه، أو التفريطُ بمكانته التي خصَّنا بها الشارع الكريم، وإنَّا لنخشى أن يأتي اليوم الذي فيه تُلْغى إجازةُ يوم الجمعة كليًّا، وما رافقها من أحكام تعظِّم هذا اليوم، كما هو شأنُ بعض الدول العربية التي غالبية أهلها من المسلمين، حيث جعلت من يوم الجمعة يوم عمل رسمي، فضاعت فيه هيبة هذا اليوم، حتى غدت صلاة الجمعة عند الغالب الأعم منهم ليس لها وقت مستقطع من ساعات العمل الرسمية، بل يعاني كل من لبَّى نداء الله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

نعم يعاني الكثيرُ ممَّن أرادوا أن يلبوا نداء الله للسعي إلى صلاة الجمعة، من بعض أرباب العمل الذين يحرمونهم تأديةَ هذه الفريضة على أكمل وجه، ويقفون في وجوههم رافضين اقتطاعَ دقائق من أجل صلاة الجمعة، بل وشاهدنا كثيرًا من هؤلاء لا يأتيها إلَّا وهو مثقل، فضلًا عن عدم استقبالها مغتسلًا متطيبًا مبكرًا لها، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، فَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ، صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»(٢).

٤- يقول د. محمد سالم في مقالة له بعنوان: (عطلة السبت عقيدة قبلانية): «إنَّ الدلالةَ التي ارتبطت بيوم الجمعة في القرآن الكريم هي دلالة إيجابية، تحثُّ على السعي إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، وتركِ كل ما سوى ذلك؛ لذا فقد قرَّر علماؤنا الأجلاء، واستنبط فقهاؤنا المحدثون النُجباء، أن البيع والشراء في وقت صلاة الجمعة، وخطبتها هو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٦٢)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي في الكبرى (١٦٩٧)،وابن ماجه (١٠٧٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

حرام شرعًا، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، وبهذا اكتسب يوم الجمعة مظهرًا قدسيًّا إسلاميًّا، ومنزلة عَقَدِيَّة خُصَّ بها الدينُ الإسلامي، فضلًا عن أنَّ هناك معطياتٍ دينيةً ارتبطت بهذا اليوم، منها: خلق آدم، وخروجه من الجنة، وموته، وأول يوم أشرقت فيه الشمس، وقيام الساعة، ونجاة موسى من فرعون.

ويكتسب الحديث عن يوم السبت مساحةً معرفيةً واسعةً؛ نظرًا لدلالات الثيولوجيا[١] المتعلقة به، وقد ورد السبتُ في القرآن الكريم في خمس آيات هي على التوالي: (البقرة ٦٥، النساء ٤٧ و ١٥٤، والأعراف ١٦٣، والنحل ١٢٤)، وجميعُها تحمل إشاراتٍ سلبيةً عن هذا اليوم الذي عصى اليهود ربَّهم فيه، وعمدوا إلى صيد الأسماك بعد أن نهاهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن الصيد في هذا اليوم تضييقًا عليهم، وتحمل هذه الآيات الخمس دلالاتٍ سلبيةً لحقت باليهود، منها: (الاعتداء، واللعنة، والتجاوز على حقوق الغير، وعدمُ الطاعة لأوامر الخالق، وارتكابُ المعصية، واتباعُ هوى النفس، وعدم الثقة بقدرة الخالق على العقوبة)[٢].

٥- فيه مخالفةٌ لمقصَد الشارع في الأمر بمخالفة اليهود، فالمرءُ يُحشر مع مَن أحبَّ، كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[٣].

٦- السبتُ شعار اليهود، وأصلٌ في عقيدتهم، مهما حاولوا من تهوين الأمور، واعتبار عطلة السبت سوى إجازةٍ أسبوعية لا حرج فيها، وإن كان الأمر كذلك، وبما أنها وافقت ما عند اليهود؛ فإنه يجب علينا لزامًا مخالفتهم ديانةً، فإنه من الخطورة بمكان أن نرى ونرضى بتمرير مشاريعِ اليهود، والتطبيع معهم، حتى تغرق الأمة بسيل جارف ليس له أول من آخر، بمشاريعَ تهويديةٍ واختراقاتٍ مجتمعية يضيع بعدها الدين والدنيا.

---

(١) الثيولوجيا: هو علم اللاهوت مكونة من كلمتين يونانيتين هما ثيوس THEOS بمعنى الله، ولوجوس LOGO بمعنى عقيدة، وبالمفهوم الضيق هو التعليم عن الله وبالمعنى الأوسع والأكثر شيوعًا تضم كلمة ثيولوجيا بداخلها كل العقائد المسيحية.

(٢) موقع رابطة أدباء الشام http: //www.odabasham.net/show.php?sid=3360

(٣) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

٧- بحجة ارتباط هذه الإجازة بمؤسسات مالية عالمية، كان مبررًا، ودعوى فرض هذه الإجازة عالميًّا، وما شأن سائر الشعوب بهذه المؤسسات المالية، ولماذا لم تلتزم هذه المؤسساتُ إجازةَ يوم الجمعة التي عليها غالبيةٌ كبيرة من أهل الأرض، أو حتى يوم الأحد، والذي عليه الغالبية الأخرى!

والجواب: أن هذه المؤسسات ومن وراءها يملكها ويسيطر عليها يهودُ، والمعروف عرفًا، وعقلًا، وشرعًا بحسب كل شريعة، أو ديانة، أن كلَّ ديانة تتخذ إجازتَها في اليوم الذي تقدسه، وتحترمه خاصَّةً إن ملكت من القوة ما يؤهلها أن تفرض آراءها واعتقاداتها.

٨- الغريبُ في الأمر أنه لم يقدموا لنا بعدُ المبرِّرَ الاقتصادي المقنع في فرض إجازة السبت، كما أننا لم نطالع بعدُ الدراساتِ التي طرحت الإيجابيات، أو المنفعة بأي شكلٍ من أشكالها التي جنتها مؤسساتُنا المالية، أو حكوماتنا، أو شعوبنا من هذا القرار التاريخي الجريء!.

٩- فيه تشبُّهٌ باليهود، وهو أمر منهيٌّ عنه كما أخبر نبينا محمد ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[(١)]؛ لذلك لما عزم النبي ﷺ على صوم عاشوراء، أمر بصيام يوم قبله، أو بعده، ليتجنب التشبه باليهود.

## من فوائد الحديث

١- اختيارُ يوم الجمعة مَكْرُمةٌ وخصيصةٌ من الله تعالى لأمة محمد.

٢- شرعُ الله خصَّنا وأكرمنا بتجنب أي شيء فيه مشابهة لليهود والنصارى.



(١) أخرجه أحمد (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤٠٣٣).

# الحديث الخامس والعشرون

## اليهودُ يتحايلُونَ على الحَرَامِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بلغ عمر بن الخطاب أن فلانًا باع خمرًا، فقال: قاتل الله فلانًا، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا**»(١).

### مقدمة

هذه من العقوبات المعجلةِ على اليهودِ في الدنيا قبلَ الآخرة، وما عند الله أعظمُ وأكبرُ؛ لعلَّهم يرتدعون ويتوبون ويستدركون على أنفسهم، كما مسخ منهم القردةَ والخنازيرَ والفئرانَ، وما أخبر به ربُّنا في القرآن الكريم والسنة من عقوباتٍ على بني إسرائيل ما هي إلا للعِظَة والعِبْرة للمسلمين؛ حتى يتَّعظوا بهم ولا يسيروا على خُطاهم.

### شرح الحديث

**قوله: «يَقُولُ: قَاتَلَ اللهُ فُلَانًا»:**

يقول ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه بلغ عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ سَمُرَةَ بن جُندب بن هلال الفزاري، حَلِيف الأنصار -صحابيٌّ مشهور، مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالبصرة سنة (٥٨هـ)- (بَاعَ خَمْرًا) متأولًا جواز ذلك. والظاهر-والله أعلم- أنه علم بتحريم الخمر، ولم يعلم بتحريم بيعها؛ ولذلك اقتصر عمرُ على ذمِّه، دون عقوبته، وهذا هو الظن به(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (١٥٨٢).

(٢) انظر بتوسع: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، الإثيوبي(٣٣/ ٥٦).

**قوله: «قاتل الله فلانًا»:** لم يُرِد به ظاهره، بل هي كلمة تقولها العربُ، عند إرادة الزجر، فقالها في حقِّه؛ تغليظًا عليه.

يحتمل أنه لم يُرد به الدعاءَ، والظاهرُ أن الراوي لم يصرح بسمرة تأدبًا من أن ينسب لأحد من الصحابة ما في ظاهره بشاعةٌ[١].

**قوله: «أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ»:** أي: ألم يعلم سَمُرةُ قولَ النبي ﷺ، وفي روايةٍ قَالَ: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ»[٢]، دعا عليهم النبي ﷺ بالهلاك؛ فإن من قاتله الله وأعلن الحربَ عليه هلك.

**قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا»:** وفي رواية: «**فَجَمَّلُوهَا**»[٣].

وفي رواية: «**ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»[٤].

**قوله: «حُرِّمَتْ»:** حُرم عليهم أكلُها ولو حُرم عليهم بيعُها لما أذابوها، **(فَجَمَّلُوهَا)** يعني: أذابوها، يقال: جمَلْتُ الشحمَ أجمُلُه جَمْلًا واجتَمَلْتُه، إذا أذبته[٥].

أَذَابُوهَا بِالنَّارِ لِيَزُولَ عَنْهَا اسم وهيئة الشُّحُومِ لتتحول إلى وصف وَدَكًا، وَذَلِكَ لَا يُفِيد الْحِلّ؛ فَإِنَّ التَّحْرِيم تَابع لِلْحَقِيقَةِ، وَهِيَ لَمْ تَتَبَدَّل بِتَبَدُّلِ الِاسم[٦].

واحْتَالُوا بِذَلِكَ فِي تَحْلِيلِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّحْمَ الْمُذَابَ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الشَّحْمِ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ الْوَدَكُ[٧].

---

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني (٤/ ١٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٤).
(٥) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٦/ ٣٤٧).
(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٩/ ٢٤٤).
(٧) تحفة الأحوذي، المباركفوري (٤/ ٤٣٥).

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قال ابنُ جرير: يقول تعالى: وحرَّمنا على اليهود كلَّ ذي ظفرٍ، وهو البهائم والطَّير ما لم يكن مشقوقَ الأصابع: كالإبل والنَّعام والإوز والبط.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قال السُّدِّي: يعني: الثَّرْب وشحم الكُليتين، وكانت اليهودُ تقول: إنَّه حرَّمه إسرائيلُ فنحن نُحرِّمه. وكذا قال ابنُ زيدٍ.

وقال قتادةُ: الثَّرْبُ وكلُّ شحمٍ كان كذلك ليس في عظمٍ.

**قوله: «إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا»** يعني: ما علق بالظّهر من الشُّحوم.

وقال السُّدِّي وأبو صالح: الأَلْيَة مما حملت ظهورُهما.

وقوله تعالى: **أَوِ الْحَوَايَا**، وهو ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللّبن، وهي المباعر، وتُسمَّى: المرابض، وفيها الأمعاء.

قال: ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومَهما إلَّا ما حملت ظهورهما، أو ما حملت الحوايا.

وقوله تعالى: **أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ** يعني: إلَّا ما اختلط من الشّحوم بعظمٍ فقد أحللناه لهم.

وقال ابنُ جريج: شحمُ الأَلْيَة ما اختلط بالعُصْعُص فهو حلالٌ، وكلُّ شيءٍ في القوائم والجَنْب والرأس والعين وما اختلط بعظمٍ فهو حلالٌ، ونحوه. قاله السّدي.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: هذا التَّضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاةً على بغيهم ومُخالفتهم أوامرنا، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

**وقوله:** ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: وإنَّا لعادلون فيما جازيناهم به.

وقال ابنُ جرير: وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم، لا كما زعموا من أنَّ إسرائيلَ هو الذي حرَّمه على نفسه.

قال أبو جعفر: والصوابُ في ذلك من القول أن يُقال: إنَّ اللهَ أخبر أنه كان حَرَّم على اليهود من البقر والغنم شحومَهما، إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورُهما أو الحَوَايا أو ما اختلط بعظم. فكلُّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم، فإنه كان محرَّمًا عليهم[(١)].

قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ، حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ**»[(٢)].

مع أن هناك أشياء كثيرة حرَّم الله أكلَها ولم تُحرم أثمانُها، كالحُمُر الأهلية وسِباع الطير.

لَمْ يَنْتَفِع اليهود بِذات الشَّحْم إِنَّمَا اِنْتَفَعُوا بِثَمَنِه! إذًا فالواجبُ النظرُ إلى المقصود وإنِ اختلفتِ الوسائلُ؛ لأنَّ اللهَ لعنهم على استحلالهم الثمنَ.

لذا كانت شريعةُ اليهود حرمت أكلَ الشحوم، وأنها نجِسة كنجاسة الخمرِ والميتة في شريعتنا، حرامٌ بيعُها وحرامٌ شراؤُها.

عقيدة اليهود في عدم تعظيم شأن الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه يتعب ويُصارع ويُستغفل، هي التي أسست طبيعةَ تعاملِ اليهود مع الله، وأنه يمكن مراوغتُه أو اسْتِغْفالُه والتحايل على أوامره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢١)، وأبو داود (٣٤٨٨)، وصححه ابن الملقن في تحفة المنهاج (٢/ ٢٠٤).

## من فوائد الحديث

١- هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي شُرع فيها جوازُ لعن اليهود صراحةً.

٢- التحايلُ على أحكام الشريعة مشابهةٌ لليهود موجبٌ للَّعن.

٣- عمرُ قائدٌ مُحَنَّك اكتفى بزجره بهذه الكلمات من باب تحذير الناس، وهي من باب إِقَالَةَ ذوِي الهيئاتِ زَلَّاتهم؛ من غير عقوبة إضافية عليه.

٤- عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان صارمًا في إغلاق باب التحايل في الدين، حتى على من جهِلوا حكمَ ذلك وكانت نواياهم حسنة، أو أرادوا بذلك خدمةَ الدين.

٥- أمةٌ ظنوا أنهم بهذا يحسنون التحايل على ربِّ العالمين، كيف بها لا تتحايل على من ظنوا أنهم حيواناتٍ على هيئة البشر خُلقوا لخدمتهم - زعموا- !!

# الحديث السادس والعشرون

## اليهودُ وقتلُ الأطفالِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَتَلَ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى حُلِيٍّ لَهَا، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي الْقَلِيبِ، وَرَضَخَ رَأْسَهَا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخِذَ، فَأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ حَتَّى يَمُوتَ، فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ»(١).

### مقدمة

حديث الباب عبارة عن ثبت تاريخي يبين جشع اليهود الذي ألجأهم إلى قتل الأطفال بدم بارد ومن غير شفقة ولا رحمة، والأدلة في الكتاب والسنة ملأى بوحشية اليهود ودناءتهم، وكما عرفهم المسلمون معرفة دقيقة، لم يغفل عنهم الإنجيل مع ما فيه من تحريف، إلا أنه لم يستطع أن يتجاوز إجرامهم ويغض الطرف عنها، كما جاء في سفر أشعياء: «أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، ليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبيلًا معوجة»(٢).

### شرح الحديث

**قوله: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ»:** قال الحافظ: لم أقف على اسمه(٣).

**قوله: «قَتَلَ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ»:** وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أن التي رُضخت امرأة:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢).

(٢) سفير أشعياء، الإصحاح (٥٩).

(٣) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، الإثيوبي (٣١/ ٣٥٦).

«أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَخَ رَأْسَ امْرَأَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ...»[١]، ولا أدري أهو اليهودي نفسه أم هي حادثةٌ أخرى.

أما هذه الجارية فلم يُعرف اسمُها، وربما كانت حرةً لأنه قال: إنها من الأنصار، والجارية عادة تكون دون البلوغ، يعني: في مصطلحنا المعاصر هي طفلةٌ تجاسر عليها هذا الوَقِح.

وقائعُ أحداث هذه الجريمة كانت في مدينة رسول الله ﷺ كما في روايةٍ للبخاري: «خرجت جاريةٌ عليها أوضاح بالمدينة»[٢] وفي زمانه ﷺ، تحديدًا وفي ظل دولة الإسلام ومَنَعَتِه.

شيءٌ مستغرَبٌ ومستهجَنٌ، كيف لهذا اليهودي هذه الجرأة أن يعتديَ على جارية مسلمة في ظل حكومة رسول الله ﷺ! لكن يبدو أن بريقَ هذه الحليِّ أنساه حجمه، وأعماه عن العقوبة التي تنتظره.

وقد يزول العجب عندما نقرأ وصفَ التوراة لهم في حبهم لسفك الدماء الزكية مما يبين حجم إجرامهم في الأطفال: «القاتلون الأولادَ في الأودية تحت شقوق المعاقل»[٣].

### قوله: «عَلَى حُلِيٍّ لَهَا»:

وفي رواية جاء فيها نوع هذه الحلي كما في البخاري: «عدا يهودي على جارية، فأخذ أوضاحًا كانت عليها، ورضخ رأسها»[٤]. «والأوضاح» جمع وَضَح، نوعٌ من الْحلِيّ أبيض اللون يعمل من الفضة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨٩٥)، وابن ماجه (٢٦٦٥)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٥٢).
(٢) (٦٨٧٧).
(٣) أشعياء (٥٧: ٤-٥).
(٤) أخرجه البخاري (٥٢٩٥).

وهذا يبين دناءة هذا اليهودي الذي تجرأ على قتل طفلة بسبب عَرَضٍ تافهٍ حقير، وهو شيء لا يذكر من الفضة تلبسه طفلة صغيرة.

وما كان قتْلُها إلا ربما لمقاومةٍ أبدتها هذه الطفلة بعد فشله في خداعها أو إقناعها لأخذ الحلي منها، إنها نوع جريمة مع سبق الإصرار والترصد.

إن بشاعة الجريمة تمثلت في وصفها جريمةً مركبةً، تَتَبُّعٌ ثم محاولةُ سرقةٍ فاشلة أدت إلى محاولةِ قتل مفضوحة، ثم إلقاء في بئر ثمَّ تَتبعها رضخًا بالحجارة، وكل هذا لم يُلن قلبَ هذا المجرم لحالِ وتوسلاتِ هذه البريئةِ، إنَّها الوحشيةُ التي في قلوب هؤلاء القتلة الكفرة.

ومما أعجبني من قول هتلر -رئيس ألماني سابق- وسبب نِقْمَتِه عليهم، قوله: ومما زاد في نِقْمَتِي على اليهود تكالبُهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية [١].

وقد أدلى ماير روتشلد اليهودي -سليل أسرة يهودية ملكت وسيطرت على جزء كبير من ثروات الأرض- بتصريح له عام ١٧٩٠م من داخل البنك الذي يملكه في فرانكفورت: «دعوني أُصدر وأُسيطر على أموالِ الأمم، ولا يهمُّني من يكتب القوانين».

ويزول العجبُ لمَّا تعلمُ أن توراتَهم المحرضُ على سلوكياتهم، فلما يكون الربُّ هو من يحرض على سرقة غير اليهود، ولا يسبب ذلك أيَّ تأنيبِ ضميرٍ أو شعورٍ بالإثم! فإلههم هو الذي أمرهم بالسرقة يوم أن خرجوا من مصر مع موسى زمن فرعون، وطلب منهم أن يقترضوا الملابس والذهب من المصريين ليلةَ رحيلهم من مصر ثم يَفِرُّوا بها[٢].

يبدو أن بريق الذهب أخذ بِلُباب وعقول اليهود، فعند رحيلهم من مصر سرقوا الذهبَ، وهذا اليهوديُّ الذي قتل الطفلةَ سرق حُلِيَّها، وفي التِّيهِ جمعوا ما حملوه من ذهب صنعوا منه عجلًا عبدوه، إنَّ تابوتَ العهدِ زعموا أن الربَّ أمرهم ببنائه من ذهب،

---

(١) كفاحي، أدولوف هتلر (ص ١١).

(٢) خروج (٣: ١٨ - ٢٢).

ومائدة الرب من ذهب، ومسكن الشهادة عوارضُه مغطاةٌ بالذهب، ومائدة الخبز وأباريقُ الهيكل وشمعداناته وكل شيء فيه من أدوات هي من ذهب، ثم جاؤوا في زماننا هيمنوا على الذهب، فلم يبقوا ذهبًا أصفرَ ولا أسودَ إلا سلبوه !!!

**قوله: «ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي الْقَلِيبِ، وَرَضَخَ رَأْسَهَا بِالْحِجَارَةِ»:**

**قوله: «ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي الْقَلِيبِ»:** أَمَّا الْقَلِيبُ فَهِيَ الْبِئْرُ غَيْرُ الْمَطْوِيَّةِ البئر القديمة.

**قوله: «وَرَضَخَ رَأْسَهَا بِالْحِجَارَةِ»:** لا اختلاف فِي الْمعَانِي إنما في الألفاظ، فَإِن الرَّضْخَ والرَّضَّ وَالرَّجم كُله عبارَة عَن الضَّرْب بِالْحِجَارَةِ. والرَّضْخُ الدَّقُّ وَالْكَسْر هُنَا، وَيأتي بِمَعْنى الشدخ.

**قوله: «فَأُخِذَ، فَأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»:** لم يتسرع أحدٌ من الصحابة في تنفيذ القصاص في هذا المجرم، لكنهم ساقوه إلى رسول الله ﷺ لينفذ فيه حكم الله تعالى، ومما قام به النبي ﷺ أن استوضح وتأكد وبطرق مختلفة من جرم هذا المعتدي، كما فِي رِوَايَةٍ: «أَنَّ جَارِيَةً وُجِدَ رَأْسُهَا قَدْ رُضَّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَسَأَلُوهَا مَنْ صَنَعَ هذا بك أفلان؟ أفُلَانٌ؟ حَتَّى ذَكَرُوا الْيَهُودِيَّ فَأَوْمَتْ بِرَأْسِهَا، فَأُخِذَ الْيَهُودِيُّ فَأَقَرَّ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَضَّ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ»[1].

**قوله: «أفلان؟ أفلان؟»** الْهمزَة فيهمَا للاستفهام على سَبِيل الاستخبار، وأن النبي ﷺ لم يكتف بشهادة الطفلة على قاتلها، بل ساقه إلى القصاصِ لما اعترف على نفسِه.

وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: عَدَا يَهُودِيٌّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى جَارِيَةٍ، فَأَخَذَ أَوْضَاحًا كَانَتْ عَلَيْهَا، وَرَضَخَ رَأْسَهَا، فَأَتَى بِهَا أَهْلُهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهِيَ فِي آخِرِ

(١) أخرجه مسلم (١٦٧٢).

رَمَقٍ وَقَدْ أُصْمِتَتْ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَكِ؟ فُلَانٌ**» لِغَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لَا، قَالَ: فَقَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ غَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا، فَأَشَارَتْ: أَنْ لَا، فَقَالَ: «**فَفُلَانٌ**» لِقَاتِلِهَا، فَأَشَارَتْ: أَنْ نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُضِخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ (١).

وفي رواية أخرى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ يَهُودِيًّا، أَخَذَ أَوْضَاحًا عَلَى جَارِيَةٍ، ثُمَّ رَضَخَ رَأْسَهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَأَدْرَكُوهَا وَبِهَا رَمَقٌ، فَجَعَلُوا يَتَتَبَّعُونَ بِهَا النَّاسَ، أَهُوَ هَذَا؟ أَهُوَ هَذَا؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُضِخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ» (٢).

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: «خرجت جاريةٌ عليها أوضاحٌ، فأخذها يهوديٌّ فرَضَخَ رأسَها بحجر، وأخذ ما عليها من الحُلِيِّ، قال: فأُدركت وبها رمق، فَأُتِي بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَكِ؟ أَفُلَانٌ؟» الحَدِيث (٣).

تشير هذه الرواياتُ إلى شدَّة حرص النبي ﷺ، وأصحابه الكرام على تعقب الجاني والتأكد من شخصيته حتى لا يَدع مجالًا للشك.

**قوله: «فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ حَتَّى يَمُوتَ، فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ»:**

الجاني اليهودي لم يؤخذ بالشبهة بل باعترافه على نفسه، وفي رواية بشهادة الطفلة المجني عليها.

والْجَانِيَ عَمْدًا يُقْتَلُ قِصَاصًا عَلَى الصِّفَةِ والطريقة الَّتِي قَتَلَ بها، فإن قَتَل بِحجر قُتِلَ بحجر، أو سلاح ناري قتل به وهكذا، أما حديث: «**لَا قَوَدَ إِلَّا بِالسَّيْفِ**» (٤)، فإن صح

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩٥)، ومسلم (١٦٧٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٩١٧)، وأصله متفق عليه، وتقدم.

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٩٤)، وأصله متفق عليه، وتقدم.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٦٦٧)، والطحاوي في معاني الآثار (٥٠٢٦)، والدارقطني (٣١٧٥)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ١٢٩): هذا إسناد فيه جابر الجعفي، وهو متهم.

الحديث يكون فيمن حرَّق أو في المُثلة.

لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] الآية.

لقد ارتكب هذا المجرمُ جريمتَين: جريمةَ السرقة، وجريمةَ القتل، وكِلَا الجريمتَين في عقيدة اليهود لا يُؤاخذ عليهما؛ لأن المغدورَ ليس من دينهم، فسلبه وقتْلُه جائزٌ، بل أمر محبَّبٌ مأجور عليه.

أمَّا عقوبةُ السرقة إن كان السارق والمسروق من اليهود فكما جاء في توراة اليوم: «على السارق أن يُعوَّض باثنين»[١] أي: ضِعفَي ما سرق عقوبةً له على استحلال مال غيره.

وجاء حكمٌ آخر مخالفٌ للحكمِ الأول يقضي بمصادرة ما في البيت، والتعويض بسبعة أضعاف ما سُرق!!

«إن وُجد السارقُ يردُّ سبعةَ أضعاف، ويُعطي كلَّ قُنْيَةِ بيته»[٢].

وأما قطعُ اليدِ فلا يكون في السرقة، إنما في شريعتهم تكون لمن أمسكت عورةَ رجلٍ، وليس العكس، فلا تُقطع يدُ الرجل إذا أمسك عورةَ المرأة !![٣].

## استحلالهم دماء الناس من غير سبب:

لا غرابة فيما فعله هذا اليهوديُّ من قَتل هذه الجاريةِ، فمَن يَعرف عقيدةَ اليهود يُدرك أن شرعَهم يأمرهم بهذا، ويجيز لهم قتل مَن ليس منهم دون أدنى مسؤولية أو حتى تأنيب الضمير.

لقد كانت العقيدةُ اليهوديةُ الاستعلائيةُ سببًا في استحلال دماء الشعوبِ من غير مبرِّر،

---

(١) خروج (٢١/ ٧).
(٢) أمثال (٦/ ١٠).
(٣) تثنية (٢٥: ١١-١٢).

ولا تشترط كتبهم المقدسة أدنى سبب لقتل غير اليهود، بل هي من القربات والطاعات والعبادات التي يتقرب بها اليهودي إلى الله، جاء في سفر إسرائيل [١]: «اليهودي الذي يقتل مسيحيًّا لا يقترف إثمًا، بل يقدم إلى الله أضحيةً مقبولةً»، وجاء في سفر التثنية[٢]: «أهلِكوا كلَّ ما في المدينة –يعني أريحا – من رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ وشيخٍ حتى البقر والغنم والحمير بحدِّ السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها».

لقد انصبغ هذا المفهوم الديني والعقدي اليهودي الإجرامي في المناهج المدرسية في الكيان الصهيوني بثلاث صفاتٍ هامة:

**أولًا**: تمجيدُ القوةِ العسكريةِ اليهودية والحرب كنظامٍ حياتيٍ للكيان اليهودي، وأنَّ واجب الخدمة العسكرية التي تقوم على فكرة القتل لمجرد القتل، هي أسمى الواجبات الدينية التي «يطلبها الرب».

**ثانيًا**: ليس من الغريب أن ترى مدارسَ الكيان الصهيوني ذاتَ صبغةٍ عسكريةٍ، يتولى العمل فيها إداريًّا وتعليميًّا نخبةٌ من القادة العسكريين المتقاعدين، وقد تبنتْ وزارةُ التعليمِ في الكيانِ الصهيوني برنامجًا تدريبيًّا باسم (تسافتا) لتأهيلِ العسكريين ورجالِ المخابرات المتقاعدين ليقودوا المسيرة العلمية في الكيان اليهودي!

**ثالثًا**: إنشاءُ مؤسساتٍ ينصهر فيها العملُ العسكريُّ مع العمل الديني الذي عرف باسم (يشيفوت هاهسادير)، بتمويلٍ من وزارة الدفاع وبإشرافِ وإدارةِ حاخاماتٍ متطرفين.

## فتاوى حاخاماتهم منهج مكمِّل ومعزِّز للعمل الإجرامي:

إن اليهوديةَ الحاخاميةَ تعتمد اعتمادًا كبيرًا على فتاوى الحاخاماتِ، وهذه الفتاوى لا

---

(١) سفر إسرائيل (ب: ١٧٧).

(٢) سفر التثنية (إصحاح: ١).

تقل أبدًا في مكانتها عن تعاليم التوراة والتلمود، ومن هذه الفتاوى وهي على سبيل المثال لا الحصر:

فتوى الحاخام (مردخاي إلياهو) كبيرُ حاخامات الكيان الصهيوني السابق حلَّل فيها إبادة الفلسطينيين كواجبٍ ديني.

وأما (يوسف عباديا) الحاخامُ الأكبر صاحب السيل الكبير من الفتاوى المتطرفة والرئيس الروحي للكيان الصهيوني، وصف الفلسطينيين «بالحشراتِ والصراصير» التي يجب أن تُداس بالأقدام، كما أمر بدفنِ جُثثِ المقاومينِ الإسلاميين داخل جلود الخنازير لتنجيسها، وكذلك ادعى أن المسيحَ القادمَ سيُلقي جميع «الكفار العرب» في جهنم.

شكلت فتاوى حاخاماتهم قديمًا وحديثًا رافدًا هامًّا ورئيسًا للجمهور اليهودي المتدين، على أنها منهجٌ مكمِّل للكتب المقدسة، التي تُدرس جنبًا إلى جنبٍ مع كتب الشريعة اليهودية بصبغة إثنية صهيونية، تُمجد مجرمي الحرب الصهاينة واصفة إياهم «بالأبطال الوطنيين وبالقديسين» لقتلهم الأغيار الفلسطينيين، مثل كتاب: (باروخ البطل) الذي نشره الحاخام المتطرف (إسحق جينزبرغ)، ويُمجِّد هذا الكتاب الإرهابي (باروخ غولدشتاين) الذي نفَّذ مذبحة المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل المحتلة في رمضان سنة ١٩٩٤م، والذي تسبب في الغدر بـ ٢٩ فلسطينيًا وجرح العشرات أثناء ركوعِهم في صلاة الفجر.

وقد رفع الصهاينةُ رتبةَ هذا الإرهابيِّ الذي هبَّ بعضُ المصلين بقتله على الفور إلى درجة عالية، وأقاموا له «مزارًا دينيًّا» في مستعمرة (كريات أربع) بعد أن رفعوا مكانته إلى درجة «القديس»، ليصبح أيقونةً دينيةً ورمزًا وطنيًّا بذل روحَه في سبيل إسرائيل- زعموا-!

وهذه الحقيقة التي توصل لها مارتن لوثر بعد أن قضى عمره في الدفاع عنهم، صرَّح وهو في غاية الأسى والأسف والحزن: «نحن في نظرهم «غوييم» وثنيون، ولسنا من طبقةِ البشر ورتبتُنا عندهم رتبةُ الحشرات» [١].

إن هذا السلوكَ موروثٌ عَقَدي تربى عليه هذا ومَن على شاكلته من تلمودهم الخبيث، الذي جاءت نصوصُه تحضُّ وبشكل سافرٍ لا يقبل التأويل على قتل المسلمين والمسحيين على حدٍّ سواءٍ، ومما جاء فيه: «حطِّم الصالحَ من بين الأجانب»[٢]، وفي موضع آخر من التلمود يقول: «حتى أفضلُ الغويم يجبُ قتلُه»[٣]، ويقول: «اليهودي الذي يقتل مسيحيًّا لا يقترف إثمًا، بل يقدم إلى الله أضحيةً مقبولة»[٤] ويقول: «إن الأضحيةَ الوحيدةَ الضروريةَ بعد هدمِ الهيكلِ في القدسِ هي إفناءُ المسيحيين»[٥] ويقول: «كلُّ من يسفك دمَ شخصٍ غير تقي – غير يهودي–، عمله مقبولٌ عند الله، كمَن يقدم قربانًا إليه»[٦].

إن هذه التربيةَ سببٌ في توطينِ نفوسِ أبناءِ اليهود لمزيدٍ من الدمويةِ، التي هي جزءٌ من عقيدتهم بل طقوسٌ يمارسونها في أعيادِهم، وما قصة الراهبُ توما ومساعده في دمشق التي تردد صداها في العالم عام ١٨٤٠م، والتي اقشعرت منها الأبدان، وانكشفت فيها حقيقةُ اليهودِ ودمويتُهم عندما استدرجوا الراهبَ الذي ذهب إليهم في حارةِ اليهودِ بدمشق، في مهمة إنسانية لتطعيم أحدِ أبناء اليهود ضد الجُدَرِيِّ، وإذ بهم وبإشراف كِبار حاخاماتهم يقومون بخطفِ الراهب ومساعدِه إبراهيم عمار، ويقومون فورًا بذبحهما ليستخدموا

---

(١) نفاق اليهود، (ص ٨٥).
(٢) بوليمك (١٩، ٢٠).
(٣) أبهوداه زاراه (ب، ٢٦).
(٤) سفر إسرائيل (ب، ١٧٧).
(٥) زوهار (٢٢٧١).
(٦) إيكالوت سموني (٢٢٤س.ن.٧٧٢).

دماءَهما في فطيرٍ يصنعونه في عيد البوريم اليهودي، الذي يصادف ١٤ فبراير من كل عام[١].

أما جزاء من يقتل البشرَ في دولِ الكيان اليهودي، كما نشرت (الواشنطن بوست) بعد أن قام أربعة جنود صهاينة بقتل شاب فلسطيني عمره ٢٠ عامًا، لم يقترف أيَّ عملٍ أو تهمةٍ بنظره، بتاريخ: ٢٠/ ١١/ ١٩٩٦، فقد أصدرت المحكمةُ العسكرية الصهيونية حكمًا بسجن الجنود ساعةً واحدةً مع وقف التنفيذ، وغرامة مقدارها أغورة! والأغورة: هي جزء من الشيقل، وليس لها قيمة شرائية، وهي عملة دولة الصهاينة، والشيقل يساوي تقريبًا ٢٨٠ سنتا أمريكيًّا!!

والمعتمد وفق شريعة اليهود أن لا قيمة لأرواح غير اليهود، وقد أفتى ابنُ ميمون وهو أبرز فقهائهم: «مسموحٌ تجربةُ عقارٍ من العقاقير على الكفارِ إذا كان ذلك بغرضٍ ما».

يرصد الصحفيُّ اليهودي المعارض لسياسات الكيانِ اليهوديِّ والمقيم في فلسطين المحتلة (إسرائيل شاحاك) هذا الأمر، فيقول: «لقد بلغَ في اليهود حقدٌ على البشرية لم يتولَّدْ في قوم قطُّ، حيث يبدأ اليهوديُّ يومَه بصلاة الصباح، فيحمد الله تعالى؛ لأنه لم يجعله واحدًا من الأغيار»[٢]، ويقول: «إن اليهوديَّ يلعن الأغيارَ بمناسبةٍ وبغيرها، ويحتقرهم إذا لبس جديدًا أو شاهد بَرْقًا أو تناول ثمرةً»[٣].

ويعلق شاحاك على ما سبق من إساءاتِ اليهودِ للأغيار، ويقول: بأنَّ بعض اليهودِ ينكرونها، لكن ذلك مجرد «تقيّة» لا أكثر.

---

(١) انظر أحداث القصة كاملة في: كتاب (دم لفطير صهيون)، لنجيب الكيلاني، كما نشرت وقائع المحاكمة في عدة كتبٍ، منها: (الكنزُ المرصودُ في قواعد التلمود)، للدكتور: روهلنج، ترجمة: يوسف نصر عام ١٨٩٩م، و(لأجل فطير صهيون)، إبراهيم الأسعد، كما أن القضية محفوظة في سجلاتِ محكمةِ العدلِ في دمشق سلمها الله.

(٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية (ص١٥٣). (٣) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية (ص١٥٣).

إن اليهودَ لا يرون أي حرجٍ ديني ولا نفسي ولا تأنيبِ ضميرِ فيما يأخذون أو يقتلون أو غير ذلك من أفعال ذكرناها آنفًا، بل هي قربةٌ وطاعة يتقربون بها إلى الله –تعالى الله عن ذلك– ويُبرِّرُون ذلك أنه من إباحة اللهِ لهم، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره للآية: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: أن مَن استحل الخيانةَ من اليهود وجحودَ حقوق العربي التي هي له عليه، فلم يؤدِ ما ائتمنه العربي عليه إليه إلا ما دام له متقاضيًا مطالبًا، من أجل أنه يقول: لا حرجَ علينا فيما أصبنا من أموال العرب، ولا إثمَ؛ لأنهم على غير الحق، وأنهم مشركون! (١).

## الإسلام هو دين السلام الحقيقي:

أمَّا شريعةُ الإسلام فقد حرَّمت إهدارَ دمِ أيِّ إنسانٍ من غير وجه حق، حتى لو لم يكن من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ونبيُّ الهدى محمدٌ ﷺ ينهى عن قتل مَن ليسوا أهلًا للحرب، كاليهودي الذمي الذي يعيش بين ظهرانينا ولم يعلن حربًا على المسلمين، وجاء الوعيدُ الشديدُ على مَن تعدَّى دمَ معاهدٍ من غير المسلمين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**» (٢).

كما أنه نهانا ﷺ في الحرب عن قتلِ النساء والأطفال، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «وُجِدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥١٠).
(٢) أخرجه البخاري(٣١٦٦).

والصبيان»[١].

وقد تخلَّق بهذه الأخلاقِ والتزم بهذه الشريعة أصحابُ النبي ﷺ، ومَن تبعه إلى يوم الدين، فهذا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ فَخَرَجَ يَتْبَعُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: إِنِّي أُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ صَبِيًّا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بقرة إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ، وَلَا تُغْرِقَنَّ نَخْلًا، وَلَا تَحْرِقَنَّهُ، وَلَا تَغُلَّ، وَلَا تَجْبُنْ[٢].

## فلسفة القتل والإرهاب والمجازر الجماعية في العقلية اليهودية:

هي نتيجةٌ طبيعية وثمرة نتاج الأعمال المتناغمة في المؤسسات الصهيونية العسكرية منها والدينية، واللتان- مجتمعتان- أسَّستا فلسفةَ الإرهاب، وبشكل جليٍّ تجد ذلك واضحًا في كتاباتِ بعضِ الساسة الصهاينة، مثل: «جابوتنسكي» الذي يرى أن «السيف لا يمكن إلغاؤه» وأن «التوراة والسيف أُنزلا علينا معًا من السماء»، وفي كتابات «وايزمن» أول رئيس للدولة اليهودية، الذي رأى أنه رغم أن الإرهاب الذي تقوم به (الهاغانا) شيءٌ رديء، إلا أنه ربما كان «بمثابةِ ظاهرةٍ لها حسناتُها لتحقيق الوطن القومي اليهودي»، و«بن غوريون» الذي يُؤكد أن «مملكة داود لا تقوم إلا بالدم، وأن مصيرَ اليهودِ مرتبطٌ بقوتهم العسكرية» وأما «مناحيم بيغن» الذي يؤمن إيمانًا شديدًا وتَشَّرب العنفَ والإرهابَ من أجل بناءِ دولة اليهود يقول: «نحن نحارِب، إذن، نحن موجودون».

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٥).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٢٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧٩٣)، ونقل ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ١٣١) عن أحْمد بن حَنْبَل أَنه قَالَ: هَذَا حَدِيث مُنكر، مَا أَظن من هَذَا شَيْئًا، هَذَا كَلَام أهل الشَّام.

## من فوائد الحديث

١- جوازُ قتل الرجل القاتل بامرأة مقتولة.

٢- الرادعُ الوحيد لليهود هو القوةُ، فلا اعتبارَ عندهم للشرع ولا للقيم أو الأعراف والقوانين.

٣- الغفلةُ عن أفعالِ ومكر اليهود وإحسانِ الظنِّ بهم سذاجةٌ، نهايتُها كارثةٌ لا تحمد عواقبها.

٤- الحديثُ يُظهر مدى حبِّ اليهودِ للمال الذي أعماهم عن الرأفة بالأطفال، والوحشيةِ المفرطةِ في قتلهم بأبشع الصور.

٥- تحرياتُ النبيِّ ﷺ السريعةُ والدقيقةُ أوصلت إلى الجاني بشكل سريع، ولم تُقيَّد هذه الجريمةُ «ضد مجهول»، ولم يجد الجاني في دولة الرسول ﷺ الخونة الذين يتَستَّرون عليه، أو يُحاولون تهريبه خارج حدود دولة الإسلام.

٦- مع أن الجانيَ يهوديٌّ إلا أن النبي ﷺ طبق عليه حكم الإسلام.



# الحديث السابع والعشرون

## رفضُ اليهودِ القتالَ مع نبيِّهم

عن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ»(١).

### مقدمة

موقفٌ من مواقف البطولة والفداء، وصدقُ اللَّهجةِ من غير تكلُّف ولا تصنُّع ولا نفاق، موقفٌ سجَّله التاريخُ ودواوين السنة للصحابي الجليل المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَرَّى به عن رسول الله ﷺ ورفع به المعنوياتِ، يوم أراد النبي ﷺ ملاقاةَ عير قريش قريبًا من المدينة، علَّه يغنمها ويعوضُ أصحابه ما تركوه في مكة، لكن رأس القافلة وأميرها أبو سفيان علم بالأمر، فغير مساره واستنصر بقريش؛ فخرجوا لملاقاة النبي ﷺ بألف مقاتل، وجُنْدُ المسلمين لا يزيدون عن ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتل، ولما وصل النبيُّ ﷺ وأصحابه الصفراءَ بعد مسيرة يومين، استشار أصحابه في المستجدات والمفاجآت التي لم يستعدوا لها، وأصبح ملاقاةُ قريش بِحَدِّها وحديدها أمرًا واقعًا لا محالةَ، وخشي النبيُّ ﷺ على أصحابه خوضَ معركة لم يتهيؤوا لها ولم تخطر لهم على بال.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

لكنهم كانوا دائمًا على العهد باقين، ولنبيِّهم ناصرين، فقام أبو بكر فقال قولًا حسنًا، ثم عمر بن الخطاب، وأخيرًا المقدادُ بنُ الأسود، فسُرِّيَ به عن الرسول ﷺ واستبشر به الصحابة.

## شرح الحديث

**قوله: «شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا»:** يروي الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الموقفَ العظيمَ، الذي ترك أثرًا عظيمًا في نفسه من المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشيدًا به، متمنيًا أن يكون هو صاحبه.

والمقداد بن عمرو الكندي، شهد بدرًا وما بعدها من مشاهد، وكان فارسًا يوم بدر، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قيل: وهو ابن سبعين(١).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ، غَيْرَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ.

**قوله: «لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ»:**

**قَوْله: «صَاحبه»،** أَي: صَاحبَ المشهدِ والموقفِ البطولي، وقائلَ تلك المقالة التي قالها.

**قوله: «عدل به»:** مِن الثَّواب والمكانة الذي عدَل ذلك المشهَد به. قال ابن حجر: والمرادُ المبالغةُ في عظمة ذلك المشهد(٢).

والمرادُ أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يتمنى أن يكون صاحبَ هذا الموقف، وأنه لو خير بين أن يكون صاحبَه وبين أن يحصل له أيُّ شيءٍ آخر، لفضَّل أن يكون صاحبَ الموقف.

**قوله: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ»:** يومَ بدر عندما استشار أصحابَه في القتال بعد إفلات العِير، قَوْله: **(وَهُوَ يَدْعُو)** الْوَاو فِيهِ للْحَال لشدة الموقف ورحمتِه بأصحابه وشفقتِه عليهم، وكان يقول الرسول يومَ بدرٍ كما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ: **«اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ**

---

(١) الإصابة، لابن حجر (٣/ ٤٥٤).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٨٧).

عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [الْقَمَر: ٤٥]»(١).

وكلامُه المذكورُ أراد به تسكينَ نفوسِ صَحَابتِه إلى ذلك؛ إذ هي أولُ لقائهم العدوَ، وكانوا يَرْقبون إجابةَ دعائه فألحَّ في الدعاء؛ فلما رأى الصديق سكنَ لذلك، وقال له: حسبُك أقْصِر من الدعاء وبشرهم بالنصر.

ولا يحِلُّ توهُّمُ أن الصديقَ كان أصحَّ يقينًا من رسول الله ﷺ. نبه عليه الخطابي(٢).

وكأَنَّ النبيَّ ﷺ أراد من دعائه أن لا يكون أول لقاءٍ مع العدو فيه هزيمة للمسلمين؛ فيسبب ذلك رَدَّة فعل سلبية من المسلمين، فأحبَّ أن يأخذ رأيهم وقرارهم وكامل إرادتهم في خوض الحرب، وأن يستنطقهم ويختبَرهم في آنٍ واحد.

**قوله: فَقَالَ: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ»:**

ذكر ابن إسحاق أن هذا الكلام قاله المقداد لما وصل النبي ﷺ إلى الصفراء، وبلغه أن قريشًا قصدت بدرًا وأن أبا سفيان نجا بمَن معه فاستشار الناسَ، فقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

وأَن القائل لرسول الله ﷺ هو الْمِقْدَاد يَوْم بدر: يَا رَسُول الله، إِنَّا لَا نقُول - بنُون الْجمع- لَك كَمَا قَالَت بَنو إِسْرَائِيل لمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٤]، قالها لِيُسَرِّيَ عن رسول الله ﷺ ويشدَّ من عزيمة الصحابة، وأن بكلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصل رسالةَ رسول الله ﷺ لأصحابه، وفي بعض الروايات: «لئن سرت حتى تأتي بِرَك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك»(٤)، وبرك الغماد قيل: إنها تقال كناية فيما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).
(٢) أعلام الحديث (٣/ ١٧٠٣).
(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٦/ ٢٤٥).
(٤) انظر: الفتح، لابن حجر (٧/ ٢٨٨).

تباعد من الأمكنة من غير قصدِ مكانٍ بعينه.

**قوله: متى قال بنو إسرائيل: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»؟:**

قال بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم في التِّيهِ اذهب لملاقاة الجبارين أنت وربُّك؛ لأننا لا نَقْوى على مواجهتهم، قالوها استهانةً واستخفافًا وعدمَ مبالاةٍ بأمر الله ورسوله.

لك أن تتخيل الفرقَ بين الحوار وطريقتِه بين الصحابة ورسولِ الله ﷺ، وبين الحوار الذي كان بين بني إسرائيل وموسى، ينقل اللهُ تعالى هذا الحوارَ بشيء من التفصيل ليعرفنا بعِظَم فسادِهم، ووقاحتهم وجبنهم وتخليهم عن الأرض المقدسة، التي كتبها الله منحةً ربانيةً لهم وتعويضًا لهم عما تركوه من ديارٍ وضِياع في مصر، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٦].

فما كان من موقف موسى إلا أن قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ [المائدة: ٢٥]، معناه: لَا يُطِيعُنِي إِلَّا نَفْسِي وأخي هارونُ، وهو نظير ما قاله أبو بكر يوم محاربةِ المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ، حينها اعترض بعضُ الصحابةِ لاجتهادٍ رأَوه أنه ليس من المناسب إنفاذُ بَعْث أسامةَ وملاقاةُ المرتدين في آنٍ واحد، فقال: «أقاتلهم وحدي حتى

تنفرد سالفتي»[١].

فكانت عقوبةُ الله لهم تحريمَ دخول الأرض المقدسة؛ لأنهم ليسوا أهلًا لهذا الفضل وهذه المَكْرُمة، ولا يستحقون منحةَ الله وكرمَه لهم، قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

فواساه الله، أَن يا موسى لَا تَحْزَنْ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ العصاة الجبناء، وهي عقوبةٌ يستحقُّونها حتى يُستبدلَ بهم جيلٌ جديد يتربى على الفضيلة وطاعة الله ورسوله ﷺ.

فَسَارَ يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدَ المدة التي كتبها الله عليهم أربعين سنةً يتِيهون في الأرض، حتى استبدل بهذا الجيل مَن بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَخَلَهَا يوشع وقاتل الْجَبَابِرَةَ حتى تمكن منهم وانتصر عليهم ودخل الأرضَ المقدسة فاتحًا لها.

ولك أن تنظر الفرق بين قوم محمد وقوم موسى الذين خذلوا نبيهم، فقالوا له كما أخبر الله عنهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وما موقف النصارى عنهم ببعيد مع نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أسلموا نبيهم للأعداء، وتآمَر بعضُ حواريِّيه عليه حتى تمكنوا في زعمهم من صلبه وقتله.

**قَوْله: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ»: وفي روايةٍ**: «ولكنِ امضِ ونحنُ معكَ. فكأَنَهُ سُرِّيَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ»[٢].

**قَوْله: «أشرق وَجهه وسرَّه»**، من الْإِشْرَاق، أَي: استنار وأضاء فرحًا من القول الذي سمعه من قَول الْمِقْدَاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **(سُرِّيَ)** عن المحزون وغيره: إذا كُشِف عنه ما به.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٠٩).

## من فوائد الحديث

١- فيه تواضعُ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنصافهُ وأنه نسب الكلامَ إلى قائله.

٢- وفي الحديث دلالةٌ على فضل المقداد، وإفصاح ابن مسعود بذلك، فلا يعرف الفضلَ إلا أهلُ الفضل.

٣- يا لها من كرامة وتوفيق وفضل لمن كان سببًا فيما سُرِّيَ به عن رسول الله ﷺ، وسبق بها غيره ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

٤- مشروعيةُ الدعاء على الأعداء، وأهميةُ ذلك بالتذلل لله وإظهار الحاجة إليه، وهو سبب من أسباب النصر والظفر على الأعداء.

٥- حرصُ الصحابة على الوقوف مع النبي ﷺ وعدم خذلانه، ولم يُعرف عنهم غيرُ ذلك في جميع المواطن.

٦- رفعُ المعنويات وعظيمُ أثرها على القادة والجند على حد سواء، خاصة في مواطن الحاجة إلى ذلك.



# الحديث الثامن والعشرون

## الرسولُ ﷺ يدعو على اليهودِ بالوباءِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا»(١).

### مقدمة

دخل النبي ﷺ المدينة المنورة، وكانت وَبِئَةً، فكان حريصًا على تطهيرها من الشرك والمشركين، وكان كذلك حريصًا أن يطهرها من الأوبئة والأَدْران المادية.

ولشدة حبِّه ﷺ للمدينة وما فيها، كانت هي مُحِبَّةٌ له، فضمَّته واحتضنته في ثراها إلى يوم الدين.

### شرح الحديث

**قوله: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»:**

إن دواعيَ حبِّ المدينة وحرصِ النبي ﷺ، وتأكيدِه بدعائه على المزيد من حبِّ المدينة، حتى اخترقَ سُوَيْداءَ قلبه وقلب أصحابه حبُّها وحبُّ ما فيها، لتكون في قلبه أشد حبًّا من مكة المكرمة مع ما فيها من فضل، ولهذا أسباب، ومنها:

أنها مأوى الإيمان ومَأْرِزُه، كما أخبر رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧٢)، ومسلم (١٣٧٦).

**كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»** (١).

فشملت البركة كل شيء فيها، كما أخبر رسولُ الله ﷺ، فقال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا...**» (٢).

فكان للمدينة وأهلها ومساجدها وأماكنِها مكانةً خاصَّةً في قلبه، فكانت مأواه ودار هجرته ﷺ، وأهلها خير المُضيفين له ولأصحابه، فأهلها خيرُ من أحبَّهم النبي ﷺ وقال في حقهم: «**لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ، أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ**» (٣)، وفيها مسجده الذي بناه بيديه ﷺ وأصحابُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذي قال في حقه: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**» (٤) متفق عليه، وما فيه من روضةٍ من رياض الجنة، الذي أخبر عنه ﷺ فقال: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ**» (٥).

وفيها مسجدُ قباء الذي أخبر عن فضل الصلاة فيه، فقال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ - مَسْجِدَ قُبَاءَ - فَصَلَّى فِيهِ، كَانَ لَهُ عَدْلَ عُمْرَةٍ**» (٦)، وفيها جبل أُحُد أحبَّه، وقال عنه ﷺ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(٧)، ولشدة حبِّه لها ولأهلها وما فيها، جعلها حرمًا كما جعل

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠) من حديث عبد الله بن زيد المازني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه أحمد (١٥٩٨١)، والنسائي في الكبرى (٧٨٠)، وابن ماجه (١٤١٢) من حديث سهل ابن حُنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الحاكم (٤٢٧٩)، ووافقه الذهبي.

(٧) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إبراهيمُ مكةً حرمًا، فقال: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**» (١)، وهي التي قال ﷺ في حقها: «**وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**» (٢) متفق عليه، وكما حض النبي ﷺ على الموت بها كما في الحديث: «**مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا**»(٣).

ولأنها تنفي خبثَها كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ - يَعْنِي - الْمَدِينَةَ، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ**» (٤)، وأنَّها لا يدخلها الدجالُ، قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**» (٥).

**قوله: «وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ»**: وحتى لا تكون حُمَّاها سببًا في التنفير منها والسُّكنى فيها، انقُل حُمَّاها عنها وخَلِّها من الحمى وما يكون سببًا من النَّفير والرحيل عنها، واجعل العيش فيها هنيئًا مباركًا لا مُعَكِّرَ فيه.

وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وُعِكَ أبو بكر، وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تَجِدُك؟ ويا بلال كيف تَجِدُك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٧)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٧)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث سفيان بن أبي زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥٤٣٧)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (١٣٨٤) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (١٣٨٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان بلالٌ إذا أقلع عنه الحمى يرفع عَقيرَتَه ويقول:

**ألا ليتَ شِعري هَل أبيتَنَّ لَيلةً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ**

**وَهَل أَرِدَنْ يومًا مِياهَ مجنَّةٍ وَهَل يبدُوَنْ لي شامَةٌ وَطَفِيلُ**

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فذكرت الحديث...» [١].

## لماذا طلب النبي ﷺ نقل حمَّاها إلى الجُحْفة:

الجُحْفة: ميقات أهل الشام في الإحرام واسمها مَهيعة، سميت جُحْفة؛ لأن السيل اجْتَحَفَ أهلَها [٢].

وقال ابن حبان معلقًا على الحديث عقب ذكر العلة في دعاء النبي ﷺ بنقل الحمى إلى الجحفة: إن الجحفة حينئذ كانت دار اليهود، ولم يكن بها مسلم، فمن أجله قال ﷺ: «**وانقل حُمَّاها إلى الجُحفَةِ**».

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ في صحيحه: الْعِلَّةُ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَقْلِ الْحُمَّى إِلَى الجُحْفَةِ، أَنَّ الْجُحْفَةَ حِينَئِذٍ كَانَتْ دَارَ الْيَهُودِ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مُسْلِمٌ فَمِنْ أَجْلِهِ قَالَ ﷺ: «**وَانْقُلْ حُمَّاها إِلَى الجُحفَةِ**» [٣].

وقال القسطلاني: «(**وَانْقُلْ حُمَّاها إِلَى الجُحفَةِ**) بضم الجيم وسكون المهملة: ميقات مصر، وكانت مسكنَ يهودَ فنُقلت إليها» [٤].

وقال العيني: «والجُحفَةُ -بِضَم الْجِيم وَسُكُون الْحَاء الْمُهْملَة وبالفاء-...وَكَانَ سكانُها فِي ذَلِك الْوَقْت يهودَ، وَفِيه: الدُّعَاء على الْكفَّار بالأمراض والبليَّات» [٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٦).
(٢) الجبال والأمكنة والمياه، للزمخشري (ص ٨١).
(٣) صحيح ابن حبان (٩/ ٤٢).
(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢١٣).
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٣/ ٨).

## لماذا كان يدعو الرسول ﷺ على اليهود:

قال ابن بطال: «وأما قوله: **(وَانْقُلْ حُمَّاها إِلَى الجُحفَةِ)** فكانت الجحفةُ يومئذ دارَ شرك، وكان رسولُ الله ﷺ كثيرًا ما يدعو على مَن لم يُجِب إلى الإسلام، إذا خاف منه معونةَ أهل الكفر، حين يئس منهم» (١).

قال الخطابي: «كان أهلُ الجحفة إذ ذاك يهودًا، وكان ﷺ كثيرًا يدعو على من لم يُجِبْه إلى دار الإسلام إذا خاف منه معونةَ أهل الكفر، ويسأل الله أن يبتليهم بما يشغلهم عنه» (٢).

و«لأن يهودَها في تلك الأيام كانوا كامنين لرسول الله ﷺ الضُّرَّ» (٣).

## أثر دعاء النبي ﷺ:

فكان من أثر دعاء رسول الله ﷺ عليهم أنها لم تُبق أحدًا منهم إلا وأصابته الحمى، كما في الرواية التي أخرجها الامام أحمد: «فَكَانَ الْمَوْلُودُ يُولَدُ بِالْجُحْفَةِ، فَمَا يَبْلُغُ الْحُلُمَ حَتَّى تَصْرَعَهُ الْحُمَّى» (٤).

حتى قيل: «إنها كانت بها قرية يسكنها اليهود خربت بدعاء رسول الله ﷺ» (٥).

ودعا على أهل الْجحْفَة بالحمى ليشغلهم بهَا فَلم تزل الْجحْفَة من يَوْمئِذٍ أَكثر بِلَاد الله حمَّى، وَإِنه ليتقي شرب المَاء من عينهَا الَّذِي يُقَال لَهُ عين حُمَّ، فَقلَّ من شرب مِنْهُ إِلَّا حُمَّ، وَلما دَعَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بذلك الدُّعَاء لم يبْق أحدٌ من أهل الْجحْفَة إِلَّا أَخَذته الْحمى (٦).

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٥٥٩)، وقال مثله العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٠/ ٢٤٩).

(٢) عمدة القاري (١٠/ ٢٥١).

(٣) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، لزيادة بن يحيى النصب الراسي (ص ٢٣١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٢٤٠)، وصححه شعيب في تخريج المسند (٤٣/ ٢٩٠).

(٥) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لمحمد الكوراني (١٠/ ٩٨).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٠/ ٢٥١).

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْجُحْفَةَ وَهِيَ مَهْيَعَةٌ كَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَمِنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ صَارَتْ الْجُحْفَةُ وَبِئَةً، قَلَّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ عَيْنِهَا، وَيُقَالُ لَهُ: حُمَّ الْأَحَمُّ [١].

**قوله: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا»:** قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ: هو دعاء وطلب من الله تكثيرَ خيرها.

وقيل: يحتمل أن ترجعَ البركة إلى كثرةِ ما يُكال بها من غلَّاتها وثمارها[٢].

**قوله: في مُدِّنَا:** المُدُّ يساوي ٥٤٤ جرامًا[٣]، وهو مِلءُ اليدين المتوسطتين غير مقبوضتين ولا مبسوطتين، أي: اللهم بارك لنا في هذا المد الذي نقدر به أقواتنا وثمارنا بالزيادة والنماء، ليكون مباركًا مباركةً ما نقدر فيه، **وصَاعِنَا**: أَي: فِي صَاع الْمَدِينَة، وَهُو أَرْبَعَة أَمْدَاد.

## من فوائد الحديث

١- حرصُ النبي ﷺ على حماية أصحابه وموطنِهم بالدعاء لهم أن يجنبَهم الله من أيِّ وباءٍ أو بلاءٍ يصيبهم.

٢- جوازُ الدعاء على الكافرين غير المستجيبين للدعوة، وتمني البلاء فيهم وعليهم.

٣- كانت المدينة المنورة قبل الإسلام «أَوْبَأَ أرض الله» فلما هاجر إليها ﷺ وأصحابه الكرام طهَّرَها الله لتكون مقرًّا آمنًا من الوباء، تحفظ حملةَ الإسلام الذين سينشرونه في العالمين.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، للباجي(٧/ ١٩٥).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٣/ ٣٤٣).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٥٩ / ١٧٩).

٤- وأن الله بارك لأهل المدينة في أقواتهم وثمارهم، كما بارك للشام بركة عامة شملت كل شيء.

٥- على ولاة الأمر أن يستعينوا بالله ويحموا رعيتهم، بتطهير الأماكن الوَبِئَة، وأن يستعينوا في ذلك بالدعاء والالتجاء إلى الله بعدَ الأخذ بالأسباب المادية.

٦- دل الحديثُ على أن سَجِيَّة الحبِّ والكره أمر يقذفه الله في قلوب عباده لا سلطان لهم عليها.

٧- وفيه أن الله أباح للمؤمن أن يسأل ربه أن يعافيه في جسده، وليس في ذلك معارضة للصبر أو الاعتراض على أمر الله.



# الحديث التاسع والعشرون

## أولويةُ إكرامِ المسلمِ على اليهوديِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»(١).

### مقدمة

جاءت الشريعة مكرِّمةً للمسلمِ، مُعليةً شأنَه، وأن الصدارة له لِمَا يحمله من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهي الرسالة التي تعلو ولا يُعلى عليها، وأن العزة لا تكون إلا لله ورسوله والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

### شرح الحديث

**قوله: «لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ»:** لا يجوز للمسلم أن يبادر اليهود والنصارى بالسلام مع أنهم ذميين فضلًا عن غيرِهم مِن الكُفَّارِ؛ لورود النهي الصريح عن النبي ﷺ، وذلك لأن فيه إعزازًا وإكرامًا لهم، فالأَوْلَى الإعراضُ عنهم وعدمُ الالتفات إليهم وتعظيم شأنهم، ولأن فيه إكرامًا لا يستحقونه، وتركه فيه تحقير لهم بسبب كفرهم.

ومنهم مَن لا يرى بأسًا في أن يُحييه بغير تحية الإسلام، كقولهم: مرحبًا أو أهلًا وسهلًا، أما لو كان هناك موجِبٌ شرعيٌّ لابتدائهم بالسلام فلا بأس.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧).

فالصواب: أن ابتداءهم بالسلام حرامٌ؛ لأنه إعزازٌ لهم ولا يجوز إعزازُ الكفار، وهذا النهي إذا لم يكن للمسلم حاجة إلى الذمي، وإلا فلا بأس عليه(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ابتداء الكفار بالتحية: «وقالت طائفة: يجوز الابتداءُ لمصلحة راجحةٍ من حاجة تكون له إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك، يُروى ذلك عن إبراهيم النخعي، وعلقمة» (٢).

وأما إذا قال أحدهم: «السام عليكم» - أي: الموت والهلاك عليكم - وإن لم يُظهر لفظ السلام واضحًا من كلامه: فإننا نرد عليه بقولنا: «وعليك».

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]. قال ابن عادل: «وهذا إنما وقع من اليهود، كانوا إذا سلَّموا على الرسول ﷺ قالوا: السَّامُ عليكم، يعنون: الموت!» (٣).

جاء عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ اليَهُودُ، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ**» (٤).

والرد على الذمي بـ«وعليك» مقرونة بقوله: «السام عليكم»، أما إذا نطق لفظ السلام كاملًا في قوله: «السلام عليكم»، فمن العدل والإنصاف أن نرد عليه، بـ«وعليك السلام».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلفوا في وجوب الرد عليهم، فالجمهور على وجوبه وهو الصواب، وقالت طائفة: لا يجب الردُّ عليهم، كما لا يجب على أهل البدع وأَوْلى، والصواب الأول، والفرق أنا مأمورون بهجر أهل البدع تعزيرًا لهم وتحذيرًا منهم بخلاف

---

(١) الكوكب الوهاج (٢٢/ ١١١).
(٢) زاد المعاد (٢/ ٣٨٨).
(٣) اللباب في علوم الكتاب (١٨/ ٥٣٦).
(٤) أخرجه مسلم (٢١٦٤).

أهل الذمة»[١].

وأما ما سبق فلا ينطبق على المسلم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]. قال ابن كثير في تفسيره: أَيْ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْمُسْلِمُ، فَرُدُّوا عَلَيْهِ أَفْضَلَ مِمَّا سَلَّمَ، أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ بِهِ، فَالزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ، وَالْمُمَاثَلَةُ مَفْرُوضَةٌ»[٢].

**قوله: «فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»:**

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَبْدَؤُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ**»[٣]، فَاضْطَرُّوهُ: أي: نُلجِئُه، أي: إذا تلاقيتم واجتمعتم أنتم وهم في طريق أو مكان عامٍّ فلا تتركوا لهم إلا هامشَ الطريق وأضيقَه، ولا تتركوهم ليتصدروه، وكما يعبر عنها في لغة مرور السير: أولوية المرور للمسلم؛ لأن ذلك يترك في نفوس الناس هيبة لهم، ويعتادون التوسعة لهم وهم لا يستحقون ذلك، وكأنهم في موكب، فكما لا تبدؤونهم بالسلام لا توسعوا لهم، ولا تتفرقوا لأجل أن يمروا، ولا تتخذوا جانبًا حتى يمروا، بل استمروا كما أنتم.

والمراد من ذلك: أن ليس للكفار صدارةُ الطريق والأمكنة؛ لأن في ذلك تعظيمًا لهم وتصديرًا لا يستحقونه، فلا يتنحَّى لهم ويترك لهم أصل الطريق ويسير على أطرافه أو الرديء منه، ولا يعني من ذلك التسببُ لهم في ضرر يسبب لهم الأذية في أجسادهم أو أموالهم.

من ارتضى الكفر دينًا لنفسه ارتضى منهجًا ضنكًا في حياته، لا يتخلص من ذلك ولا تُرفع وتُعزَّز مكانتُه إلا بالإسلام، وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك، فقال:

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٨٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٨).
(٣) أخرجه أحمد (٧٥٦٧)، والترمذي (١٦٠٢)، وصححه، واللفظ لابن حبان (٥٠١)، وصححه أيضًا.

«لا تُعِزُّوهم وقد أذلَّهم الله، ولا تقرِّبوهم وقد أقصاهم»[١].

لكن يجب أن يُعلم من سيرة النبيِّ ﷺ، وأصحابه الكرام والسلف الصالح أنَّهم لم يكونوا إذا رأوا أحدًا من الكفار أخذوا في مزاحمته في الطريق، أو إيذائه بنحو ذلك من أفعال قد تؤذيه في جسده، أو تكون سببًا في كرهه للإسلام وتنفيره منه!

لكن المراد: لا تظهروا إكرامَهم والمبالغةَ في التوسعة لهم على حساب المسلم، بحيث تكون الصدارة للمسلم.

### لماذا هذا الحكم الشديد والمذل لليهود:

إن الذي أصدر هذا الحكم عليهم وغيره من أحكام هو خالقهم، وهو سبحانه أعلم بهم وبطويتهم وسجيتهم.

إن ما أفرزته كتبُ اليهود المقدسة بخاصة -كالتوراة والتلمود وفتاوى حاخاماتهم- هو استعلاؤهم واستقذارهم الشعوبَ؛ لأن الأممَ في نظرهم ليست إلا حيواناتٍ على صورة البشر خُلقت لخدمة اليهود، وأكدت عدَّةُ نصوص مقدَّسةٍ هذه المفاهيم، فقد جاء في سفر التثنية: «لأنَّك أنت شعب مقدَّس للرب إلهك؛ لتكون له شعبًا أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[٢]، أما سفر التثنيَّة فقد جاء وصف اليهود بكونهم: «مباركًا تكونُ فوقَ جميعِ الشعوب»[٣].

إن هذه التوجيهاتِ النبويةَ أتت لكبح جِماح اليهود ومَن على شاكلتهم، حتى يُوقِف نزيفَ الغطرسةِ والكِبَر اليهودي.

والعارف بحقيقة اليهود يدرك كيف تمادَوا بمفاهيمَ تُعلي من شأنهم؛ كقولهم: إنهم

---

(١) أحكام أهل الذمة، لابن القيم (٣/ ١٣٠٤).

(٢) (٧: ٦).

(٣) (٧: ١٤).

شعبُ الله المختار، أو الشعبُ المقدس، أو أنهم جزءٌ من الله كالولد جزءٌ من أبيه، وغيرها من مفاهيم الاستعلاء والتكبر على الآخرين.

لكن يبدو أنهم غفلوا عن ما جاء في توراتهم: «وأجعلُ عليكم عارًا أبديًّا، وخزيًا أبديًّا لا ينسى»[١]، وقد تنازل عنهم ربهم وعن حفظ كرامتهم: «لأنكم لستم شعبي، وأنا لا أكون لكم»[٢].

وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

## من فوائد الحديث

١- بدءُ السلام على الكافر فيه إكرامٌ وتبجيلٌ لا يستحقه.

٢- الإسلامُ يرفع مكانةَ المسلم ولا يقبل له الدنيَّةَ أو الدُونية، قال الرسول ﷺ: «**الإسلَام يعْلُو، وَلَا يُعْلَى**»[٣].

٣- هذا التضييق على الكافر ليُلجئه إلى الإسلام، وأن الكرامةَ التي ينشدها لا يجدها إلا في الإسلام.

٤- لمَّا تعطل الإسلامُ في حياتنا وسادت شريعةُ الغاب، أصبح المسلمُ هو من يعطي الدنيَّة في دينه للكفار، ويضطر إلى أضيق الطرق في كل مسيرةِ حياته على حساب دينه وكرامته!

٥- يُفهم من اضطرارهم إلى أضيق الطرق كذلك، سنُّ القوانين والنُّظُم التي لا ترفع من شأنهم أو تساويهم بالمسلمين.



(١) إرميا (٢٣: ٣٩-٤٠).
(٢) هوشع (١/ ٩).
(٣) أخرجه البخاري معلقًا (٢/ ٩٣).

## الحديث الثلاثون

# الرسولُ ﷺ يقاتلُ اليهودَ لنقضِهم العهدَ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلَاحَ! فَوَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَيْنَ»؟

قَالَ: هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

## مقدمة

قبائلُ اليهود نبذت العهودَ، فكان أولَها بنو قينقاع، ثم نقض العهدَ بنو النضير، وهي صفةٌ دنيئة فيهم كشفها الله وعرفنا إياها، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، هو في اليهود دَيْدَن فيهم ودين، فلا غرابة إن قلنا أن كتابهم هو الذي وصفهم بنذالتهم وخسة ذمتهم، ففي سفر التثنية: «إنهم جيل متقلب، أولادٌ لا أمانة فيهم»[2].

والغريب في الحمقى من قومنا أنهم يجدون الخيانة من اليهود لهم في كل مرة وحين، ولم يثبتوا على عهد قطعوه إلا ونقضوه، ومع هذا قومنا يتسابقون جريًا للتطبيع معهم وطلب رضاهم، والتزلُّف والتملُّق بغباء لهم ولأسيادهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٣)، ومسلم (١٧٦٩).

(٢) سفر التثنية (٣٢: ١٩).

## شرح الحديث

**قولها: « لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ » :**

بعد غزوة الأحزاب (يوم الخندق) سنة أربعٍ أو سنة خمسٍ للهجرة وانصرافهم إلى بلادهم، والمسلمون قد قفلوا راجعين إلى المدينة ووضعوا سلاحهم، أتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ورسول الله ﷺ ظُهْرَ ذلك اليوم عند زوجه زينبَ بنتِ جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تغسل رأسه، فقال له: قد وضعتَ السلاحَ يا رسولَ الله؟!

**قولها: « فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ » :** أي كان الغبار على رأس جبريل ومن كثرته كأنه عصابة على رأسه، وهو من آثار المعركة، أحاطَ به كالعصابة تُحيط بالرأس.

**قولها: فَقَالَ: « وَضَعْتَ السِّلَاحَ! فَوَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ » :** وفي رواية عن عائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: «مَا وَضَعْنَا أَسْلِحَتَنَا بَعْدُ، انْهَدْ[1] إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ»[2].

وهذا دليل على أن الملائكة تقاتل معهم، وبسلاح تقتل به الأعداء قتلًا حقيقيًّا، كما في غزوة الخندق أرسل الله ملائكته يقاتلون مع المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩]، والمرادُ بالجنود التي لم يروها: الملائكةُ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غَنْم، موكبَ جبريلَ حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»[3].

وقد أيَّد اللهُ رسوله ﷺ بالملائكة في أكثرَ من موضع، منها على سبيل المثال:

١ - في الهجرة، قال المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ

---

(١) نهد القوم لعدوهم إذا صمدوا له وشرعوا في قتاله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٩٩٤)، وعَبْد بن حُميد في المنتخب (١٤٨٨)، وصححه شعيب على شرط مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٤١١٨).

﴿لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٢ - في بدر، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. [الأنفال: ٩].

٣ - في أُحدٍ، قاتل جبريلُ وميكائيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عن يمين النبي ﷺ ويساره (١).

٤ - في الخندق قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وعلى صعيد الحربِ الإعلاميةِ كانت الملائكةُ تقف مع المسلمين، كما قال النبي ﷺ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِت يَوْمَ قُرَيْظَةَ: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ» (٢).

**قولها: «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَيْنَ؟»**: فسأل النبي جبريل إلى أين، أَيْ: أَيْنَ أَقْصِدُ في مسيري، وَإِلَى مَنْ أَخْرُجُ؟

**قولها: «قَالَ: هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ»**: فأشار إلى ديار بني قريظة، وهم قبيلة من اليهود، أي: يا محمدُ إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فكانت محاربتهم أمرًا ربانيًّا أتى به جبريل إلى محمد ﷺ؛ لأنهم نَقَضُوا الْعَهْدَ ومالؤوا قريشًا وغطفان وَسَاعَدُوا الْأَحْزَابَ.

**قولها: «فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ»**: ومن شدة حرص النبي ﷺ على تلبية أمر ربه عَزَّوَجَلَّ على وجه السرعة نادى في أصحابه قائلًا: «**إِنَّ من كان سامعًا مُطيعًا فلا يُصلِّيَنَّ العَصرَ إِلَّا في بَني قُريظَةَ**» (٣)، وأعطى الرايةَ عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، وستة وثلاثين فرسًا، وذلك يوم الأربعاء لسبعٍ بقين من ذي الحجة، أو القعدة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٤١٢٤) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٢٠/ ٢٤٤) مرسلاً.

وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، حتى نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِم، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رسول الله ﷺ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ، قَال: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

## من فوائد الحديث

١- اليهودُ أهلُ غدرٍ وخيانة، لا أمانَ لهم، فقد خانوا الله ورسله، فما بالكم بمَن هم دونَهم من سائر البشر.

٢- معيتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم وقتالُ الملائكة معهم هي مكرمةُ الله لعباده المؤمنين الصادقين في جهادهم.

٣- ينبغي الحذرُ الدائمُ من اليهود وأخذُ كامل الاحتياطات لتوقِّي شرهم.

٤- الحديثُ فيه جواز قتل مَن نقضَ العهد.

٥- آثارُ معركة الخندق ظاهرةٌ على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا دليل على أن قتال الملائكة مع المؤمنين قتالٌ حقيقي.

٦- جبريلُ يأمر محمدًا ﷺ باستئناف الحرب على يهودَ بعد الخندق مباشرة، دلالةٌ على أن المعركة مع اليهود مُؤَجِّجي الأحزاب لم تنتهِ، وأن عليه تعقبَّهم حتى يتخلص من شرهم بالكلية.

٧- يدل الحديث على أن قتال اليهود قائمٌ ما داموا للمسلمين يكيدون ويتحشدون ويؤلبون.

# الحديث الحادي والثلاثون

## اليهودُ وسرقةُ الأرضِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».

قَالَ: فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذًا يَحْلِفَ، وَيَذْهَبَ بِمَالِي! قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [آل عمران: ٧٧] (١).

### مقدمة

الحاخام أمشيل روتشيلد الألمانيُّ الأصلِ المولودُ عام ١٧٤٣م، العميد والمؤسس لأسرة روتشيلد، الذي بدأ حياتَه التجاريةَّ بائعًا للأدوات المستعملة، في فرانكفورت، وبدهاء ومكر كوَّن ثروةً قامت في أساسها على الإقراض بالربا، ولما حضرته الوفاة جمع أبناءَه وقال لهم: «تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعَها ينبغي أن تكون ملكًا لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشراتٌ يجب أن لا يملكوا شيئًا».

لقد هلك أمشيل عام ١٨١٢م، بعد أن قسم العالم بين أبنائه الخمسة: أنسيلم وسالمون وناثان وكارل وجيمز على التوالي: ألمانيا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا،

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٦)، ومسلم (١٣٨).

وأعطى أحد أحفاده شونبرغ الولايات المتحدة [١].

المراد من هذا المثال الصارخ: هو الاعتبار بعائلةٍ جشعةٍ هيمنت إمبراطوريتها الخفية قرونًا من الزمان وهي تنهب بكلِّ الطرق المشروعة وغير المشروعة!!

## شرح الحديث

**قوله: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ:** حلف على شيءٍ بيمين وهو فيها كاذبٌ.

**قوله: لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ:** (**لِيَقْتَطِعَ**) أي: باليمين الفاجرة، (**مال امرئ مسلم**) وكذا الذميُّ والمعاهَدُ هم في أموالهم سواءٌ؛ فهي معصومة إلا بحقها، وأما التقييد بالمسلم فعلى الغالب الأعم.

**قوله: «وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»:** وَعِيدٌ شَدِيدٌ لمَن اقتطع مالَ أحدٍ من غير وجه حقٍّ، يعذب بما شاء من أنواع العذاب يومَ القيامة، وعدمُ تحديد نوع العقوبة في الآخرة دلالةٌ على عِظَم الذنب، فغَضَبُ اللهِ سَبَبٌ لَانْتِقَامِهِ الذي لا يُعرف حدُّه، وهذا من رحمة الله بعباده المظلومين الذين يَقتص الله لهم يومَ القيامة ما لم تُرَدَّ الحقوقُ لأهلها في الدنيا.

**قوله: فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ أَرْضٌ، فَجَحَدَنِي:**

أرضٌ متنازعٌ عليها بين الصحابي الجليل الأشعثِ بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجلٍ من اليهود قيل: اسمه «الجفشيش: بالجيم المفتوحة والشينين المعجمتين بينهما تحتية ساكنة- على الأشهر» [٢].

---

(١) حكومة العالم الخفية (ص ٤٣-٤٤).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني(٤/ ٢٣٥)، أنكر ملكية الأرض للأشعث فقال: «فَجَحَدَنِي» أَيْ: أَنْكَرَ عَلَيَّ ملكيتي لها.

وهذا من أسباب نزول هذه الآية كما أخبر الأشعث، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]، ولا غرابة في ذلك، فهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] قال السُّدِّي: فيقول على الله الكذبَ وهو يعلم، يعني: الذي يقول منهم إذا قيل له: ما لك لا تؤدي أمانتك؟ قال: ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلَّها الله لنا ! (١).

**قوله: «فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا»:**

**قوله: «فَقَدَّمْته»** أَيْ: جِئْتَ بِهِ وَرَفَعْتَ أَمْرَهُ لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟**» يعني: هل عندك دليلٌ يدعم أقوالَك عليه ويثبت حقَّك؟

**قوله: «فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذًا يَحْلِفَ، وَيَذْهَبَ بِمَالِي! قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ»:**

لم يعنفه النبي ﷺ على اتهامه اليهودي بالحَلِف الكاذب قبل أن يحلفَ، مع أن الآية المذكورةَ في الحديث أُنزلت بعدَ قوله، إلا أنه علم من حال اليهود وسجيَّتِهم -التي وصفها الله في كتابه- كذبَهم وافتراءَهم وأكلَهم أموال الناس بغير حق.

ومع أن الأشعث نسب إلى الْيَهُودِيِّ الْحَلِف الْكَاذِب قبل أن يحلف، لم يعنفه النبي ﷺ على ظنه باليهودي، ولِأَنَّهُ أخبر بِمَا كَانَ يُعلمهُ مِنْهُم.

أي: إن كان حَلِفُه يخلِّصه مني ويُمَكِّنَه ذلك من الاستحواذ على الأرض، لا غَضاضة عند اليهودي في أن يحلف يمينًا هو فيها كاذب، ولا يكترث بهذا اليمين ولا يُحرك فيه

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٥١١).

شعرةً ما دام ذلك يُمَكِّنَه من سرقة الأرض.

وأمَّا تفسيرُ قوله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾؛ أي: يستبدلون، ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بما عهد إليهم من أداء الأمانة، ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: الكاذبة، ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ أي: شيئًا قليلًا من حُطام الدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ﴾؛ أي: لا نصيبَ لهم في الآخرة من الخير والثواب، ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بما يَسرُّهم ويُفْرِحهم، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: نظرَ الرحمة، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾؛ أي: لا يُطهِّرهم من الذنوب التي عُذِّبُوا بسببها، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ والعذابُ الأليمُ هو استحقاقهم النار في الآخرة.

لا شك في أن الطبيعةَ العدوانيةَ التي تميز بها الشعبُ اليهودي هي طبيعةٌ متأصِّلة فيه، بحكم التربية والتعبئة العقدية التوراتية، والسلوكِ الفطري المنتكس بحكم التربية المكتسبة القائمة على كره الغير.

من الطبيعي جدًّا أن تلمحَ هذه المُخْرجات التربوية التي لا حدود لعنفها، من كتاب يزعمون قدسيَّته مليء بالتحريض على العدوان والعنف، وكره الآخر، واستباحة كل شيء.

ومنها: الاحتلالُ والاستيلاءُ على أرضِ الغير دونَ وجهِ حقٍّ، المبررة زورًا بوعد الربِّ لهم، وفي الزمن المعاصر لم يهدأ المكرُ اليهودي في البحث عن وسيلة ومظلومية ينتزع بها أرضًا ليست له؛ فظهرت أكذوبةُ أن فلسطين «أرضٌ بلا شعبٍ لشعبٍ بلا أرض»، وحاجةُ هذا الشعبِ إلى أرض تُؤويه، والأرضُ الأنسب لهم هي ما وعدهم بها الله كما في التوراة!

وفي القرن العشرين قامت دولةٌ لليهود على أرضٍ مغتصبة تُحقِّق أحلامهم التي لا تنتهي، وجشعهم الذي لا حدودَ له، ويكفي تأكيدًا على ذلك أن ما يسمى بدولة «إسرائيل»

هي الدولة الوحيدة في العالم، التي لم يرد في دستورها ترسيم لحدودها الجغرافية، ليتأكد للمراقب الطبيعةُ العدوانيةُ لهذه الدولة، وخير شاهد على ذلك تصريحات الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب»، الذي قال بوضوح: إن دولة «إسرائيل» صغيرة، وتحتاج إلى مزيد من الأراضي، وكما نشاهد هذه الأيام إبان نجاح الثورة السورية والقضاء على نظام بشار الأسد الفار إلى روسيا، وانشغال المجاهدين ببسط سيطرتهم على الأراضي السورية، وعودة الأمن والأمان والحياة إلى طبيعتها، في هذه اللحظات تتوغل القوات الصهيونية لتقضم المزيدَ من الأراضي السورية في الجُولان، وجبلِ الشيخ والقُنَيْطِرة وشيء من ريف دَرْعا.

العنفُ والإرهاب هو الإستراتيجيةُ المتبعةُ في السيطرة والتوسع والاحتلال، لبسط النفوذ وفرض الحالة الاستيطانية لتكون أمرًا واقعًا.

وهو ما أوضحه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. وهذا نابع من إيمانهم المطلقُ بأن «أرض إسرائيل» موعودُ الرب لهم، وعودةُ الشعب المختار إلى «الأرض الموعودة» نتيجة حتمية!

## نظرة في المناهج التعليمية الصهيونية:

يعمل اليهودُ وَفْق أُسُس نفسيةٍ تراكمية مستمرة على غرس ما سبق من مفاهيم تسعى لربط الأجيال بالأرض الموعودة، وبمجردِ التحاقِهم بالمدرسةِ لتعلمِ اللغة العبرية في الفصول الأولى، يُلَقِّنونهم ما جاء في التوراة، هذه أرضُكم يا أبناءَ إسرائيل، وهذه الأرضُ تمتدُ من النيلِ في مصر حتى الفرات في العراق، وخلال ثمانِ سنوات من الدراسة يتعلم الأطفال (١٥٠٠ ساعة) من الكتب المقدسةِ اليهودية المزيفة والمحرفة، التي تحتوي

على أساسٍ تاريخي وفكري يخدم أهداف الصهيونية ومن صَنعها [١].

وفي جولة سريعة نَرصُد من خلالها ما حوته المناهج والمقررات المدرسية من تعبئة نفسية وجسدية؛ تُؤهِّل أجيالَهم وتَصْقُلُهم لمواجهة العرب والمسلمين، بمراحلها المختلفة في منهاج وزارة التربية والتعليم في دولة الكيان الصهيونية، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

مرحلة الروضة: «وفي مرحلةِ رياضِ الأطفالِ يلزمُ الطفل منذ بلوغ سن (الرابعةِ من عمره) بدخولِ المدرسة الدينية اليهودية؛ حيث يُربى جسديًّا واجتماعيًّا وانفعاليًّا وعقليًّا ولغويًّا عن طريق قصص التوراة، وفي مراحلِ التعليم العام تُشكَّلُ التربيةُ الدينيةُ خلال المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ثلثَ البرامج التعليمية» [٢].

كما نصت المادة الثانية من قانون الدولة لسنة ١٩٥٣م على أن التعليم الابتدائي ينبغي أن يُؤسَّس على قيمِ الثقافة اليهودية، «تحصيلُ العلومِ ومحبةُ الوطن، والولاءُ لدولة إسرائيل والشعب اليهودي».

وتأتي هذه الأيدلوجية في نَسَق يعمل متوازيًا في الوجدان اليهودي بين قدسية الأرض وقدسيَّة الشعب، الذين اصطلحوا على وصفه بـ «الشعب المختار» أو «أمة الروح» أو «عم قادوش»، أي: «الشعب المقدَّس» كما جاء في سفر التثنية: «لأنك شعب مقدَّس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبًا خاصًّا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[٣].

---

(١) اليهود واليهودية في نظر شعوب العالم، تأليف د. ليف كارنييف، ترجمة د. محمد علي حوَّات (ص ٢١).
(٢) أحمد عبد الله الزغبي، العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي (٤/ ٣٢٠).
(٣) (١٤/ ٢).

وفي سفر اللاويين[١]: «أنا الرب إلهكم الذي ميَّزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين لأني قدوس، أنا الربُّ، وقد ميَّزتكم من الشعوب لتكونوا لي».

وتأتي قدسيَّةُ الشعب وتميزه بسبب أنه اختيار ربانيٌّ وسر من أسراره، وتكليف رباني، وأن الإلهَ ملزمٌ بما اختاره حتى وإن كان الإسرائيلي غير متدين، أضف إلى ذلك أن الإله حلَّ في الشعب اليهودي وهي عقيدة حلولية، وكلما زاد الحلول الإلهي في الشعب كان أكثرَ قُدسية!

وقد قال نوفاليس[٢]: إنه لا يوجد فرقٌ كبيرٌ بين أن أقول: «أنا جزء من الإله»، أو «الإله جزءٌ مني»، ولا فرقَ بين أن أقول: «إن الله هو العالَم أو أن العالَم هو الله». ويمكننا القول بأنه لا يوجد فرقٌ كبيرٌ بين أن يقول الصهيوني المتدين: الإله هو الشعب، وأن يقول الصهيوني: الشعب هو الإله، فالمسافة بين الكلِّ والجزء تختفي فيصبح الكلُّ هو الجزء، ويصبح الشعب هو الإله.

فهو شعب حل الإله فيه وفي أرضه، حسب صياغة كوك، وهو شعب/ إله وأرض/ إله في صياغة الملحدين.

وبناء على ما سبق نَفهم أن العنصر اليهوديَّ يرى في نفسه والأرض والإله مثلثًا مقدسًا غيرَ منفك، وأن الإلهَ لهم ومنهم، وكذلك الأرضُ لهم وهي جزءٌ منهم، وهي حق مكتسب لهم لا مريةَ فيه، وهذا يفسر السلوكَ العدواني اليهودي القائم على مشروعيةِ استباحة أموال ودماء وأرضِ الغير دونَ أدنى شعور بالذنب.

---

(١) (٢٠: ٢٤، ٢٦).

(٢) «شذرات» لنوفاليس.

## من فوائد الحديث

١- دلت هذه الآيةُ والأحاديثُ على أن حكمَ الحاكم لا يُحلُّ المالَ في الباطن بقضاء الظاهر، إذا علم المحكومُ له بطلانه[١].

٢- جَعَل رسولُ الله ﷺ البينةَ على المدعي، وتُرَدُّ دعوى أيِّ أحد من غير بينة.

٣- فيه دليلٌ على جواز قبول اليمين من الذمي في الخصومات كما هو المسلم.

٤- من تمام عدل النبي ﷺ وإنصافه أنه لم يحابِ المسلم على الكافر.

٥- اليمينُ على نية المستحلِف، وليست على نية المستحلَف.

٦- يرى اليهودُ أن استباحةَ أرضِ غيرِ اليهودِ هو أمرٌ مباح في شريعتهم.

٧- لهذا لا غرابةَ أن تجد اليهودَ قد سيطروا على موارد الأرض وشركاتها الكبرى العابرة للقارات؛ لأنهم استباحوا كلَّ الوسائلِ المحرمة والممنوعة من سرقة ورشوة وجنس وقتلٍ في سبيل تحقيق أهدافهم.

(١) تفسير القرطبي(٤/ ١٢٠).

# الحديث الثاني والثلاثون

## لا سلطانَ لليهودِ على الأرضِ

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ.

فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا».

فَقَالُوا: قد بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسم.

قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسم.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ».

ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ.

فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[1].

### مقدمة

قد أعذرهم ودعاهم النبيُّ ﷺ إلى الإسلام مرارًا وتكرارًا، قبل أن يخرجهم من أرض لا يستحقونها إلا بالإسلام، وهم بكامل وعيِهم أقروا أنهم سمعوا وفهموا مبتغى ومرادَ مناداةِ الرسولِ ﷺ لهم، وبعدل الإسلام أعطاهم الفرصة ليأخذوا منقولَ مالهم، وبعدل الإسلام أعلمهم أن الأرض لله ولرسوله ﷺ ومن سار على هديهما.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٤٨)، ومسلم(١٧٦٥).

## شرح الحديث

**قوله: «بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ»**: أي بينما كنا بحضرة الرسول ﷺ وفي مسجده بالمدينة المنورة.

**قوله: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»**: أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث كان إسلامه في السنة السابعة زمن فتح خيبر، أمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا إلى من تبقى من يهودَ يُنذرهم ويُحذرهم مصيرَ مَن سبقهم مِن يهودَ؛ لأنه أجلى بعضَهم في زمن سابق، فكان إجلاءُ بني قينقاع في السنة الثانية للهجرة، وبني النضير في السنة الرابعة للهجرة، وقريظة في السنة الخامسة للهجرة.

وقد اتخذ الرسول ﷺ احتياطاتِه، فلم يذهب وحدَه خشيةً على نفسه من مكرهم أو ايقاع السوء به، فقد عهد عليهم ومنهم السوءَ والمكر والخديعة وقتلَ الأنبياء.

**قوله: «فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ»**: هو البيت الذي يَدرُسون ويُدرِّسون فيه. وذكر في الفتح: أن المِدْراسَ كبيرُ اليهود، ونُسب البيتُ إليه لأنه الذي كان صاحبَ دراسة كتبهم، أي: قراءتِها، وقيل: هو من يُدرِّس الكتابَ ويُعلمَه غيرَه[1]، ويقرؤون في التوراة، ويبدو أنه للمبالغة، وإضافةُ البيت إليه من باب إضافة العام للخاص.

**قوله: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»**: أَسْلِمُوا: أَمرٌ، وتسلموا: من السَّلامَة وتجنب مخاطر وعواقب الكفر في الدنيا والآخرة، وهذا الفعل من النبي ﷺ لحرصه الشديد على هداية الناس ومنهم اليهودُ؛ لينقذهم من النار عملًا بقوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ

(١) فتح الباري (١٢/ ٣١٨).

مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

**قوله: فَقَالُوا: قد بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسم، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»**: أَيْ: بِقَوْلِي أَسْلِمُوا، أَيْ: إِنْ اعْتَرَفْتُمْ أَنَّنِي بَلَّغْتُكُمْ، سَقَطَ عَنِّي الْحَرَجُ [١].

**قوله: «فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسم»**: قالوا ذلك من باب رفضهم أمرَه، وكأنهم يقولون: نعم سمعنا وهم لا يريدون السماع، فبالغ الرسولُ ﷺ في تبليغهم وكرَّر عليهم، وكأن لسان حالهم يقول: سمعنا ولا داعي للتَّكرار.

**قوله: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ». ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ**: أراد ﷺ استنطاقهم وأن يسمع اعترافهم بأنه بلَّغ دعوةَ ربه، وليس المقصودُ إكراهَهم على الإسلام، وتكرار أمره ﷺ أسلموا تسلموا مُبَالَغَةٌ فِي التَّبْلِيغ، وتسلموا من الإجلاء، وأول ثمرات هذه السلامة أنكم تسلمون من الإجلاء عن وطنكم الذي عشتم فيه رَدْحًا من الزمن، والذي هو أشدُّ صعوبةً عليكم من غيره من بلاء، ومع هذا ومن شدة عِنادهم لم تَنقل لنا كتبُ السير أن أحدًا استجاب لدعوة الرسول ﷺ منهم.

**قوله: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ»**: وأنَّني رحمةٌ بكم، وإنصافًا لكم ما أجليتكم، أي: ما أخرجتكم من الأرض إلا بأمر الله، وبعد أن دعوتكم وأقمت عليكم الحجة مرارًا وتكرارًا ورفضتم ما دعوناكم إليه؛ حرصًا عليكم بعد أن منحناكم الفرصةَ.

**قوله: «فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ»**: منحهم الفرصة وسمح لهم بيعَ ما أرادوا بيعَه، فكان بيعُهم جائزًا؛ لأنه لم يقعِ الإكراهُ على البيع من أجل أعيانِ الشيء المبيع، وإنما وقع من

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣١٨).

أجل الذي لزمهم في الخروج، وبيع ما لا يتيسر لهم نقلُه، مثل الأرضِ والأشجارِ ونحوِه.

**قوله: «وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»**: فإن مشيئةَ الله وقدرَه فيكم أن أرضَكم هذه يعود حكُمها وأمرُها للمسلمين الذي ساروا على النهج المأمورين به، وطالما أنكم رضيتم الكفرَ دينًا لكم، فالمستحقون لميراث الأرض هم العبادُ المتقون، وليس كما يظن اليهود أن هناك عهدًا إلَهِيًّا لقوم دونَ قوم، أو جنس دونَ جنس، أو عرق دونَ عرق، وهذا ما أخبر به المولى على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وتأكيدًا على هذا المبدأ يُذكِّرُ المولى اليهودَ مرةً أخرى وبعدَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الزبور الكتابِ المنزَّلِ على نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

الْمُرَاد: أن الحكم لله في ذلك وَلِرَسُولِهِ؛ لِكَوْنِهِ الْمُبَلِّغَ عَنْهُ، الْقَائِمَ بِتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ. أي: ملكَها، أو الحُكْمَ فيها.

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ الحجةَ على اليهود وأعطاهم فرصةَ الإيمان ليبقوا حيث كانوا، كان شرعُ الله فيهم أن لا يَطَؤوا جزيرةَ العرب، والأمرُ بإخراجهم منها إلى أَبَدِ الدهر، كما أمر ﷺ فقال: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»(١) وعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا**» (٢)، وقال ﷺ: «**أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ،...**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩١)، والدارمي (٢٥٤٠)، والبزار (البحر الزخار) من حديث أبي عبيدة ابن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٨): رواه البزار ورجاله ثقات.

وعملًا بوصية النبي ﷺ فقد أخرج عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اليهودَ والنصارى من مكةَ والمدينةِ وخيبر واليمامة، وأما الشام واليمن فليستا من جزيرة العرب، لكن لا يعني ذلك أن لهم حكمَ الأرض والعلوَّ على المسلمين.

وأنهم ليسوا الورثةَ الشرعيين للأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ لتكون جزيرة العرب محصَّنةً خالصةً للمسلمين؛ للحفاظ على جَناب عقيدة المسلمين وقبلتهم من أيِّ شائبة أو أي انسلال للكفر والكافرين إليها.

إذًا طالما أن الرسولَ ﷺ أجلى اليهودَ من المدينة، وأمر أصحابَه بإخراجهم من جزيرة العرب بالكُلِّيَة، ولم يأمر بإخراجهم من فلسطين خاصَّةً وبلاد الشام عامة، فلماذا نصرُّ على عدم أحقيتهم في فلسطين؟!

## اليهود ودعوى أرض الميعاد أنها لهم:

يعتقد اليهود كما في كتابهم المقدس: أن الإلهَ وعد إبراهيمَ وعاهده على أن تكون الأرضَ المقدسةَ له ولنسله من بعده، وتجدَّدَ العهدُ بعد ذلك إلى ابنه إسحاقَ ثم ابنه يعقوب، حفيد إبراهيم، ويعتقدون أن الوعد كان في البداية لإبراهيمَ، ولكنه انتقل إلى أبنائه ثم أحفاده، إلى أن وصل إلى يهودَ اليوم، وأنها من نهر مصر إلى نهر الفرات.

وهي «أرض الميعاد» ومركز الدنيا لأنها توجد في وسط العالم، تمامًا كما يقف اليهود في وسط الأَغْيار التي سيعود إليها اليهودُ آخرَ الزمان تحت قيادة الماشيَّح (المسيح المخلص) ويقودهم إلى الخلاص بعد أن يقضيَ على مَن سِواهم، وتَخْلُو الدنيا لهم فقط يعيشون فيها رغدًا من العيش.

جاءت النصوصُ التوراتية التي يتمسك بها اليهودُ، وتعمل على تعبئة اليهود ضد أراضي غيرهم، وهي على النحو التالي: أنها «أرض الرب»[١]، وهي الأرض المختارة، وصهيون التي يسكنها الرب، والأرض المقدَّسة[٢] التي تفوق في قدسيتها أيَّ أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار.

وجاء في التلمود: «الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أيَّةِ بلاد جديرةٍ بأن تمنح لجماعة يسرائيل سوى أرضِ يسرائيل»[٣].

وتمزج اليهودية بين حولية ثلاثية غير منفكة: «الإله والأرض والشعب»، فيحل الإله في الأرض، لتصبح أرضًا مقدَّسة، ويحل في الشعبِ ليصبح شعبًا مختارًا ومقدَّسًا.

## نصوص توراتية على الوعد الرباني بالأرض المقدسة لليهود:

جاء في سفر التكوين[٤]: «قال الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢ فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسمكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ٣ وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[٥].

وفي سفر التكوين[٦]: «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شَمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، ١٥ لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ

---

(١) يوشع (٩/ ٣).
(٢) زكريا (٢/ ١٢).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).
(٦) (١٢: ١٤-١٥).

تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ».

وقال أيضًا في سفر التكوين[١]: قَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا».

## أما حدود الأرض الموعودة لليهود كما في التوراة:

١- من الفرات إلى النيل: كما في سفر التكوين: «وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام عهدًا، وقال: لنسلكِ أُعطي هذه الأرضَ من نهر مصر إلى النهر الكبير -نهر الفرات- أرض القينيين، القنزيين، القدمونيين والحثيين والفرزيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»[٢].

٢- تصل حدودهم شمالًا إلى مدينة حماة السورية: كما في (عدد: ٢٤/ ٨) ثم تحولت لتصل إلى حدود الفرات[٣].

٣- لا حدود لدولتهم: «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته»[٤]، وهذا يعني: أن أعينهم على أراضي غيرهم، وأن كِلا الأراضي والأوطان مستباحةٌ لهم.

ومن غريب تناقضات القوم أن حدود دولتهم جاءت متناقضة في تحديدها، وكما عرفنا سابقًا الحدود التي أعطاها الرب لهم نَجِد في المقابل نصوصًا توراتية تمنع من الاستيلاء على بعض الأراضي، ومنها:

١- يمنع أخذ أرض بني عمون وهي الأراضي التي تقع شرقَ نهر الأردن[٥].

٢- ونصٌّ يمنع من أخذِ أراضي موآب، وهي الواقعة شرق نهر الأردن[٦].

---

(١) (١٥: ٧).
(٢) (١٥: ١٨-٢١).
(٣) تثنية (١/ ٧).
(٤) يشوع (١/ ٣).
(٥) تثنية (٢/ ١٨).
(٦) تثنية (٢/ ٩).

٣- ونصٌّ يمنعهم من أخذ أرض عيسو أخي يعقوب[١] وتقع جنوب البحر الميت، وجميعها تقريبًا تقع ضمن حدود أراضي المملكة الأردنية الهاشمية.

وبناء على الوعدِ التوراتي تم رسم علمِ الكيان اليهودي ليفسر الأبعاد الجغرافية لأطماعهم الذي لُوِّن بالأزرق كشريط عريض من الأعلى والأسفل؛ رمزًا لنهري النيل والفرات، وفي وسط العلم رسمت النجمة السداسية؛ رمزًا وشعارًا مزعومًا لدولة داود وسليمان، مع أن النجمةَ السداسيةَ ما هي إلا نوعٌ من أنواع الزخرفة، وقد وجدت في المعابد القديمة بأنواعها فضلًا عن المساجد القديمة، وقد ذكرت النجمة منسوبة إلى داود في كتاب (عنقود الكافر) ليهودا هداسي القرائي الذي يرجع للقرن الثاني عشر الميلادي.

وهذه الحدودُ التوراتيةُ وَفْقَ التقسيمات الجغرافية الحديثة هي: كامل سيناء، وجزء من شمال مصر وحتى ضواحي القاهرة في الجنوب، وكامل الأردن، وجزء كبير من المملكة العربية السعودية، وكامل الكويت وجزء من تركيا (حتى بحيرة فان) في الشمال، وجزيرة قبرص في الغرب.

على كلِّ حالٍ أطماعُ اليهود لم تنحصر وَفْقَ الحدودِ التوراتية المزعومة، بل تَعَدَّتْها بكثير جدًّا من الكيلو مترات الأخرى، وَفْقَ ما جاء في تصريحات ساسة وزعماء يهود كما منها ما قاله «ديفيد بن غوريون»[٢] -أول رئيس وزراء لدولة اليهود-: «حدود دولتنا حيث تصل أقدامُ جيشِنا»؛ لأنهم يعملون بمفهوم جيش له دولة وليست دولة لها جيش.

وقال الصحفي الصهيوني تيودور هرتزل للمستشار الألماني (هوهنكر) حيثُ سأله عن

---

(١) ثنية (٢/ ٤).

(٢) ديفيد بن غوريون (١٨٨٦ - ١٩٧٣) أول رئيس وزراء ما يسمى بدولة إسرائيل منذ تأسيسها في عام ١٩٤٨م.

الأرض التي يريد: «سنطلبُ ما نحتاجُه، وتزداد المساحةُ المطلوبةُ مع ازديادِ السكان»[١]، وكلُّ ذلك يأتي من وحي ما نصت عليه التوراة كما في سفر يشوع: «كلُّ موضع تدوسه بطونُ أقدامِكم لكم أعطيته...»[٢].

وعليه ينبغي أن نفرق بين دولة إسرائيل الحالية والتي هي في حالتها التكتيكية وحدود دولة إسرائيل التوراتية، ومن جانب ثالث أطماع اليهود الجغرافية الاستراتيجية التي لا حدود لها، وأَمَّا الحالة الزئبقية هو المراوحة بين «إسرائيل الكبرى» المأمولة جغرافيا و«إسرائيل العظمى» بمكانتها وهيمنتها الأمنية والسياسية والاقتصادية بين الدول من خلال مشاريع الترويض والتطبيع أو حتى الحرب الشاملة.

وهذا ما صرح به «أرئيل شارون» في لقائه مع صحيفة هآرتس ١٣/ ٤/ ٢٠٠٣م، حيث «أبدى ارتياحه من إزالةِ العراق كتهديد لأمن إسرائيل، مما وفر فرصةً لتغييرات كبيرة في الشرق الأوسط، وأهمها بناء علاقات مغايرة مع الدول العربية ومع الفلسطينيين...» [٣].

وقبله كان يسير على نفس النهج «بيريز» – رئيس وزراء صهيوني سابق – قال: إن عظمةَ «إسرائيل» تكمن في عظمة أسواقِها، وأن تصبح دُوَل المنطقة المحيطة بها لا هويةَ لها ولا ثقلَ سياسيٍّ أو دينيٍّ.

وعلى كل حال طالما أن الرب أعطاهم الأرضَ ووهبها لهم بشرط -بزعمهم-

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).

(٢) سفر يشوع (٣: ١)

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ١٥٧)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١٧٧)، وأعله أبو زرعة بالانقطاع، كما في الإصابة للحافظ (١٠/ ٣٩).

فالأرض مأخوذةٌ منهم بسبب إخلالِهم بالشرط، وهذا ما توعدهم به ربُّهم كما في توراتهم: «قل لهم: هكذا قال السَّيِّدُ الربُّ، تأكلون الدمَ وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدمَ، أَفَتَرِثون الأرض!؟»[١]

## هل يهودُ اليوم امتدادُ بني إسرائيل:

وبناء على ما سبق من أقوال توراتية لحَمَلَةٍ توراتيين مزعومين، والسؤالُ الذي يطرحُ نفسه، هل يهودُ اليوم امتدادُ بني إسرائيل؟ وهل هم الورثةُ الحقيقيُّون لهم حتى يكونوا ورثةً لأرض فلسطين؟

ذكر مؤلف كتاب (اليهود أنثروبولوجيا)، وفيه أثبت أن ٩٥ ٪ من اليهود المعاصرين ليسوا هم أحفادَ اليهود الذين خرجوا من فلسطين [٢].

فعليه ليس لليهود حق في المطالبة بفلسطين؛ لأن صلتهم انقطعت بفلسطين ديانة ونسبًا، أما ديانة فهم ليسوا على ما كان عليه أنبياؤهم من توحيد الله واتباع أوامره وخاتم أنبيائه محمد ﷺ، وأما نسبًا فهم ليسوا أبناء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما غالبهم من متهودة الخزر في القرن الثامن الميلادي.

## من فوائد الحديث

١- من عدل النبيِّ ﷺ وإنصافِه أنْ سمَحَ لهم بيعَ ما لا يُمكن حملُه معهم من عقار وشجر ونحوه.

٢- يجب إخراجُ المشركين من جزيرة العرب، ولا يجوز بحال تمكينُهم فيها، والمخالفون لأمر الله تعالى مفرِّطون آثمون يستحقون عذابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) حزقيال (٣٣/ ٢٤-٢٥).

(٢) صادر عن دار «الهلال» والذي تسبب في اغتيال صاحب الكتاب.

٣- إتيانُ النبي ﷺ لهم في مقرِّهم وتَكرار دعوتِه لهم؛ حرصًا منه ﷺ ورحمةً بهم إلى هدايتهم والأخذِ بأيديهم إلى طريق الجنة.

٤- خروجُ بعض الصحابة مع الرسول ﷺ إلى اليهود ليكونوا شهداءَ عليهم، وأنَّ الرسولَ ﷺ قد بلَّغهم وأعذرهم وأقام الحجة عليهم.

٥- هذا الحديثُ مَشْهَدٌ من مشاهد اليهود الكثيرة، والمتوافرة في القرآن الكريم والسنة والنبوية والتاريخ والواقع المعاصر على عناد وتعنت اليهود، وإصرارهم على كفرهم وغَيِّهم.

٦- الرسولُ ﷺ يأخذ معه بعضَ الصحابة لدعوة اليهود؛ ليعلِّمَهم ويدرِّبَهم على الدعوةِ الميدانيةِ، ويعرِّفَهم عمليًّا دناءةَ يهود.

## الحديث الثالث والثلاثون

# الأمرُ بإخراجِ اليهودِ من جزيرةِ العربِ

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا»(١).

## مقدمة

حرِصَ الخليفةُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته على إنفاذِ وصية النبي ﷺ في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يُبْقي فيها أحدًا؛ إدراكًا منه على خطورة إبقاء غير المسلمين في بقعة أرادها أن تكون طاهرة من غير المسلمين.

## شرح الحديث

**قوله: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى»**: وفي رواية عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَئِنْ عِشْتُ لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ**...» (٢). أي: إن بقيت حيًّا.

وفي رواية جاء الأمرُ فيها واضحًا بقول النبي محمد ﷺ: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**» (٣).

وهذه الأدلةُ ظاهرة على وُجُوْبِ إخْرَاجِ المشْرِكِيْنَ ومن غير استثناء مِنْ جَزِيْرَةِ العَرَبِ، وَعَدَمِ إبقاءِ دِيْن غير الإسلام؛ حتى لا يختلط أولياءُ الله بأعدائه، وتبقى جزيرةُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩)، والترمذي (١٦٠٦) وصححه ابن حبان (٥٨٤١)، وأصله عند مسلم (١٧٦٧)، وتقدم.

(٣) أخرجه البخاري(٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

العرب نقيةً بأهلها سالمةً من الكفر والكافرين، وحتى لا تتعرض لعقوبات الله إذا ما كثر فيها الخبثُ، ولتكونَ دارًا خالصةً للإسلام وأهله عامرةً بالإيمان، ولتكون كتلةً صلبةً لا اختراق فيها ولا انسلالَ إليها من أهل الباطل، متينةً بقوة إيمان أهلها منشغلين بأسباب الإيمان لا بشبهات أهل الكفر والطغيان.

وبإخراجهم تبقى جزيرةُ العرب قلعةً حصينةً لا شائبةَ فيها، آمنةً من اختراقهم، وربما اندسوا إلى ضعاف الإيمان مِنَّا، واخترقوا بهم أمننا القوميَّ ونسيجنا الاجتماعي الآمن وعقيدتنا الصافية.

جرت عادتُهم لَمَّا يكثر سوادُهم وتزدحم أقدامهم في بلادنا المطالبةُ في حقهم في بناء معابدهم ومؤسساتهم التعليمية وغيرها، وهذا ضرب من ضروب الاختراق وإظهار طقوسهم ومناسباتهم الشركية والبدعية ونحوها.

ولأهمية وخطورة هذا الأمر كانت وصيةُ النبيِّ ﷺ آخرَ لحظات حياته ﷺ، أنه أوصى عند موته كما جاء عَن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنه قَالَ: «اشتد برسول الله ﷺ وجعُه، وَأَوْصَى عِنْد مَوته بِثَلَاثٍ: **أخرجُوا الْمُشْركين من جَزِيرَة الْعَرَب، وأجيزوا الْوَفْد بِنَحْوِ مَا كنت أجيزهم**. ونسيت الثَّالِثة» (١).

**قوله: «الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى»**: دلَّ القرآن في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. على أن اليهود والنصارى أولياءُ بعض، وأن بهذه الولاية والاتحاد فيما بينهم على المسلمين قد يُؤدي ذلك إلى خطرِ اجتياحِ بلاد المسلمين، والاختراقِ الداخليِّ من خلال صناعة الجيوب، والطابور الخامس، والخلايا النائمة التي تفتت الكتلة الإسلامية الصلبة في الدولة الإسلامية، وكما أن بعضَ ضِعاف

(١) سبق تخريجه.

الإيمان من المسلمين ربما يعجبه شيء مما عند الكفار، فيؤدي ذلك إلى موالاتهم والرضا بما عندهم، ثم مجاراتهم على حساب الأمة ومصالحها وأمنها.

**قوله: «مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»:**

وفي رواية: «**أخرجوا اليهود من الحجاز**» والحجاز من جزيرة العرب، وهو خاص أريد به العموم.

يقول الشوكاني: «وَالْمُرَادُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ: مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ وَمَخَالِيفُهَا وَوَجُّ وَالطَّائِفُ وَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِمَا، وَسُمِّيَ الْحِجَازُ حِجَازًا لِحَجْزِهِ بَيْنَ نَجْدٍ وَتِهَامَةَ» (١).

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ مُعَرِّفًا حدود جزيرة العرب: «مِنْ أَقْصَى عَدَنَ أَبْيَنَ إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ طُولًا، وَمِنْ جُدَّةَ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ عَرْضًا. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سُمِّيَتْ جَزِيرَةً لِأَنَّ بَحْرَ فَارِسَ وَبَحْرَ السُّودَانِ أَحَاطَ بِجَانِبَيْهَا، وَأَحَاطَ بِالْجَانِبِ الشَّمَالِ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ.

وَعَنْ مَالِكٍ: أَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ وَالْيَمَنُ. وَفِي الْقَامُوسِ: جَزِيرَةُ الْعَرَبِ مَا أَحَاطَ بِهِ بَحْرُ الْهِنْدِ وَبَحْرُ الشَّامِ، ثُمَّ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ»(٢).

وبحسب جغرافيتنا المعاصرة فمن البحر الأحمر غربًا إلى الخليج شرقًا، ومن أرض العراق شمالًا إلى حضرموت جنوبًا.

إن أكثر الفقهاء قد اتفقوا على أن اليمن لا يمنع أهل الذمة من سكناها مع أنها من جملة جزيرة العرب، وهذا قول الجمهور من الشافعية والحنفية والحنابلة والشيعة الإمامية (٣).

---

(١) نيل الأوطار (٨/ ٧٤).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري (٦/ ٢٦٣٠).

(٣) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان (ص٩٢).

**قوله: «حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا»**: وفي رواية: «حتَّى لَا أَذَرَ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا»(١).

وفي رواية: «**حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا مُسْلِمٌ**» (٢).

وفي رواية: «**فَلَا أَتْرُكُ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا**» (٣).

وفي رواية عمرَ بنِ عبد العزيز قال: كان مِن آخِرِ ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «... **لَا يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ**» (٤).

وقال الإمام مالك: «وقد أجلى عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهودَ نجرانَ، وفَدَك»(٥).

قال مالك: «إن عمر أجلى أهلَ نجرانَ ولم يُجلَوا من تَيماء؛ لأنها ليست من بلاد العرب، فأمَّا الوادي فإنِّي أَرى أَنَّما لم يُجلَ مَن فيها مِن اليهود، لأنهم لم يروها مِن أرض العرب»(٦).

إن اليهود قديمًا وحديثًا هم المسؤولون الوحيدون عما يحصل لهم، بسبب أفعالهم ودسائسهم التي أَقَضَّت مضاجعَ مَن ساكنوهم، حتى لم يبقَ أمةٌ في الأرض إلا وكرهت وجودهم، وحذرت من بقائهم بينهم.

كيف لا يتم اخراج اليهود من بين الأمم وهم أهلُ الخيانةِ والخديعةِ، لقد عاش ٩٠٪ من يهود العالم زمن الخلافة العباسية في أرجائها ولم يمسهم من السوء ما يذكر، إلا أنهم خانوها بتعاونهم مع هولاكو لَمَّا كاتبه يهودُ بغداد بعدَ أن تجسَّسوا وقدموا له الدعمَ المادي والمعلوماتي، كلُّ ذلك في سبيل القضاء على الخلافة العباسية والمسلمين فيها،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، واللفظ لأحمد (١٤٧١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، واللفظ للنسائي في الكبرى (٨٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، واللفظ لأبي داود (٣٠٣٠)، والترمذي (١٦٠٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٦٧٠) مرسلاً.

(٥) الموطأ (١/ ٢٥٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٠٣٣)، بسند منقطع.

فاستطاع هولاكو قتلَ الخليفةِ العباسي ومليونين من المسلمين، وسلب أموالهم وسلِم حينها اليهودُ وأموالُهم من أيِّ اعتداء[1].

## إستراتيجية إخراج اليهود من الديار اتبعها الغرب كما اتبعها المسلمون:

المسلمون هم أكثرُ مَن فهِم حقيقةَ اليهود وما جُبلت عليه نفسيَّتُهم؛ فأخذوا حِذْرَهم منهم وفهموا أبعادَ خطرهم المُحْدِق بالبشرية، وكان مصدرُهم في ذلك إخبارَ ربِّنا جَلَّوَعَلَا ورسولنا ﷺ.

لقد خاض الغرب تجربةً مريرةً لَمَّا سكن اليهودُ ديارَهم، وتغلغلوا في مجتمعاتهم، أدركوا حينها خطرَهم فعمِلوا على طردهم وملاحقتهم والتحذير منهم، فسجل التاريخ المعاصرُ وقائعَ وأحداثًا تعرضوا لها لمَّا نبذتهم الشعوبُ بسبب سوءِ تصرفهم من نشر الربا والرذيلة والدسيسة بين الناس، وقد سجل لنا التاريخُ أحداثًا أوقعت اليهود في شرِّ أعمالهم في البلاد الأوروبية، ومِن هذه الدول الأوروبية على سبيل المثال لا الحصر:

**١- في بريطانيا:**

- أصدرت بريطانيا عام ١٢٧٥م، قوانين خاصة وُسِمت بـ«الأنظمة الخاصة باليهود»، وكان الهدف منها تقليص سيطرة المرابين اليهود على كافة مدينيهم.
- كما أصدر الملك البريطاني (يوحنا) أمرًا بحبس جميع اليهود الذين هم في مملكته.
- وفي سنة ١٣٢٨م أصدر الملكُ إدوارد الأول أمرًا بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية على وجه السرعة وفي غُضون ثلاثةِ أشهر، غير أنَّ الشعب البريطاني لم يصبر حتى تنقضي تلك المدة، فأخذ يَقتل منهم المئات، وفي قلعة (بورك) وحدها

(١) انظر بتوسع: (اليهود والتحالف مع الأقوى)، نعمان السامرائي.

- التي احتمى بها عددٌ كبير من اليهود- أحرق البريطانيون فيها أكثرَ من خمسِمائة يهودي وهم أحياء، حتى اضطر الملك إلى ترحيلهم قبل انقضاء المدة قبل أن يفتكَّ الشعبُ بهم ولا يُبقي أحدًا منهم، ولشدة وقعها على اليهود أطلق المؤرخون على هذه الحملة «الإجلاء الأكبر».

- ويذكر أن بريطانيا بقيت خالية من اليهود طَوالَ ثلاثةِ قرون تقريبًا.
- وفي عام ١٦٥٦م عاد اليهود إليها في زمن الطاغية (كروميل) الذي اغتصب المُلك من المَلك (شارل الأول)، بعد أن قدَّم له اليهودُ الدعم المالي الكبير في سبيل تحقيق أهدافه.

**٢- وفي فرنسا:**

- في عام ١٣٠٦م ضاقت فرنسا ذرعًا باليهود فطردتهم من البلاد.
- وفي عهد الملك (لويس التاسع) تدهورت الحالة الاقتصادية في فرنسا؛ فأصدر أمرًا بإلغاء ثلث ما لليهود على الفرنسيين من ديون، ثم أصدر أمرًا بإحراق جميع كتبهم المقدسة، وخاصة التلمود، وقد قال أحد المؤرخين: إنهم أحرقوا في باريس وحدها محمول أربع وعشرين مركبة من نسخ التلمود وغيرها [١].
- وفي زمن الملك (فيليب الجميل) قام الفرنسيون بقتلِ ونهبِ وتشريدِ اليهود حتى طردوهم نهائيًّا من فرنسا، لكنهم عادوا إليها بعد أن دفعوا (لفيليب) ثلثي الديون التي لهم في فرنسا.
- وفي سنة ١٣٢١م هاجم الفرنسيون اليهود في فرنسا، وقتلوا أعدادًا كبيرةً منهم ونهبوا

(١) جميع ما سبق من كتاب: تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس (ص ٨٣).

أموالهم، ولم يستطيعوا العودة إليها إلا في أواسط القرن السادس عشر.

- وفي أوائل القرن التاسع عشر حاول (نابليون) أن يستغلهم لتحقيق أطماعه، ولكنهم خانوه، فاحتقرهم، وبطش بعدد منهم، وقال عنهم: إنهم حُثالاتُ البشر وجراثيمه.
- ولم ينج اليهود من بطش الشعب الفرنسي إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

**٣- في إيطاليا:**

- أصدر البابوات جملة من القرارات والفتاوى التي تكفر اليهود، وتحتقر ديانتَهم القائمة على تعاليم التلمود، وأطلقوا عليهم «الشعب المكروه» حتى نال منهم الشعب الإيطالي قتلًا وتشريدًا.
- وفي سنة ١٢٤٢م أصدر البابا (جريجوري) التاسع أوامره بإحراق جميع نسخ التلمود التي تحتقر وتطعن في المسيح والمسيحية.
- وفي سنة ١٥٤٠م ضاق الشعب الإيطالي ذرعًا باليهود وبأخلاقهم الوضيعة، حتى قاموا عليهم بثورة شعبية عارمة قتلوا على إثرها الآلاف من اليهود وشردوا، وطردوا من بقي حيًّا منهم.

**٤- وفي إسبانيا:**

- تم طرد اليهود منها عام ١٤٩٢م.
- وفي ٣١ مارس سنة ١٩٥٢م في عهد الملك (فرديناند) وزوجته (إيزابلا) أصدر قرارًا بطرد قرابة نصف مليون يهودي من إسبانيا؛ لاختراقهم الحياة الإسبانية المحافظة، ونشر الخلافات بين الطوائف، وإفساد اقتصاد البلاد، فأنشأ محاكم التفتيش لكل من يحاول المساس بالمذهب الكاثوليكي، فقرَّر طردَ اليهود ذكورًا وإناثًا وبلا

عودة البتَّةَ بعد مدةِ سبعة قرون قضوها هناك ملأوها بفسادهم، حتى عدَّ اليهود خروجهم وطردهم من إسبانيا أشد عليهم من خراب أورشليم [١].

**٥- في روسيا:**

في سنة ١٨٨١ م وسنة ١٨٨٢م وسنة ١٩٠٢م قامت جموع الفلاحين الروس بثورات ضد اليهود في روسيا الذين يشكلون نصف يهود العالم، حتى كادوا أن لا يُبقوا لهم أثرًا، فقد حاول الفلاحون الروس أن يدمروا اليهود تدميرًا في هاتين السنتين، بسبب ما نشروه من فساد ونشر الربا، ومن خلال إقامة الحانات والمتاجرة في الخمور، وما كوَّنوه من جمعيات سرية قضت على الحكم القيصري، وجهودهم في تأسيس الحركة الشيوعية وثورتها التي قامت سنة ١٩١٧م، والتي أنهت الحكم القيصري بعد أن استولت على أموال البلاد.

**٦- في ألمانيا:**

ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، صدرت الأوامر بطرد اليهود من ألمانيا حتى لم يبق منهم أحد.

ومنذ القرن الثامن الميلادي، واليهود في ألمانيا يسرقون أموال الشعب والدولة الألمانية من خلال الربا الفاحش؛ حتى ضاق بهم الشعب ذرعًا، وضج من أفعالهم فكانت المظاهرات والتعديات عليهم بين الحين والحين سلبًا وقتلًا وطردًا.

وكان هتلر الذي حكم ألمانيا من سنة ١٩٣٣م إلى أن سقط حكمه سنة ١٩٤٥م قد أثخن في اليهود قتلًا وحرقًا بعد أن طفح كيلُه منهم.

---

(١) جميع ما سبق من كتاب: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، لعبد الله التل (ص ١٨).

ويذكر أن هتلر أرسل «رودلف هيس» في مهمة لتوقيع اتفاق سلام مع القوى الغربية لتجنب الحرب العالمية الثانية، إلا أن مهمة هيس السرية فشلت؛ لأن روزفلت وتشرتشل لم يكن بمقدورهما معارضة ضغوط كبار الرأسماليين وكبار رجال المصارف أقطاب القوة الخفية، فرجع هيس خائبًا واشتد أوار الحرب، فجنى هؤلاء الأثرياء مئات الملايين أرباحًا، وخسرت البشرية ٥٥ مليون نفس، لأن الذين يسيطرون على نظام العالم النقدي هم من يسيطرون على القرارات السياسية في العالم.

٧- سكسونيا: في عام ١٣٤٨م طردت اليهود من البلاد.

٨- هنغاريا: في عام ١٣٤٨م طردت اليهود من البلاد.

٩- سلوفاكيا: في عام ١٣٨٠م طردت اليهود من البلاد.

١٠- النمسا: في عام ١٤٣٠م طردت اليهود من البلاد.

١١- هولندا: في عام ١٤٤٤م طردت اليهود من البلاد.

١٢- ليتوانيا: في عام ١٤٩٥م طردت اليهود من البلاد.

١٣- البرتغال: في عام ١٤٩٨م طردت اليهود من البلاد.

١٤- بافاريا: في عام ١٥٥١م طردت اليهود من البلاد[١].

يقول «نيكولوف»: إن جماعة روتشيلد هم الذين قضوا على قيصر روسيا؛ لأنه حاول توحيد الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، وإبرامَ تحالفٍ بريطاني روسي، وهذه المحاولات تجهض مخططهم الرامي إلى إقامة حكومة عالمية واحدة وإضعاف المسيحية.

---

(١) جميع ما سبق انظر كتاب: الدين السياسة والنبوءة، محمد يونس هاشم (ص ٢٣١، ٢٣٢).

ويضيف: إن هذه «القوة الخفية» هي التي منعت الرئيس الأمريكي لينكولن عندما حاول انتزاع نفسه من التبعية السياسية والمالية لآل روتشيلد.

وأن الرئيس الأمريكي غارفيلد دفع حياته ثمنًا لجرأته في القول: «إن الذي يتحكم في مال شعب ما، يتحكم في الشعب نفسه».

وهنا يقول نيقولا نيكولوف في كتابه: «إن المعلومات التي استقاها من الموسوعة اليهودية تفيد أن آل روتشيلد هم الذين مولوا كل حروب نابليون، مثلما وفروا الضمان المالي للحلفاء الذين اتحدوا ضدهم».

وقال دزرائيلي في مذكراته التي كان عنوانها كانينغزباي: بأن روتشيلد هو الذي يفتعل كل ثورات العالم، لكن الجدير بالذكر أن دزرائيلي لم يجهر بهذا الرأي في حياته، وإنما ظهر ذلك في مذكراته التي طبعت بعد وفاته.

وأورد نيكولوف شهاداتِ سبعةٍ من الباحثين في تاريخ البلاشفة، ويجمع كل أولئك أنه ومن عام ١٩١٥ (قبل الثورة البلشفية بعامين) تشكلت في نيويورك جمعية خاصة بشأن تنسيق المساعدات التي تقدم للبلاشفة، وأن روكفلر كان مشرفًا على نشاط هذه الجمعية بالإضافة لمورغان، أما رئيسها فكان فرانك فاندير ليب بمساعدة عدد من المديرين.

وأورد نيكولوف أرقامَ وثائقٍ من الكونجرس بتواريخها تثبت مبالغ ملايين دولارات الدعم السري الذي كانت ترسله السلطات الأمريكية، بضغط من الرأسماليين المتنفذين لدعم الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م، يستعرض بقدر من التفصيل المؤامرة التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفياتي، مشيرًا إلى أن تفتت هذه القوة العظمى لم تكن على الإطلاق وليدة الصدفة، بل هي انهيارات خُطط لها بعناية من عائلة روتشيلد وحلفائها.

كل ما سبق بسبب أنهم كانوا سببًا في فساد الدول والشعوب والحكام والأنظمة الإدارية والمالية والأخلاقية فيها، وأنهم كانوا سببًا رئيسًا وراء أغلب الحروب كما صرح بذلك هنري فورد – صاحب كتاب اليهودي العالمي – بتصريحات قال فيها بالحرف الواحد –وذلك يوم لم يكن لليهود نفوذ في الولايات المتحدة كما هو واقع الحال الآن– قال: إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرف ما منها، وأن الطرف الذي استفاد دائمًا هم اليهود، فإنهم يبدؤون بالحروب الدعائية التي يوجهونها من بلد ضد الآخر، وهم قبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة ويحققون من وراء تلك التجارة التي يقدمون فيها للطرفين المتحاربين الأرباح الوفيرة والطائلة، ثم إيقاع المتحاربين في مصيدة الديون، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في المناطق التي أشعلوا النيران فيها.

فبعد الحرب العالمية الثانية لاحظ الأميرال «وليام جاي كار» الضابط بالاستخبارات البحرية الكندية، وقد ذكر في كتابه «أحجار على رقعة الشطرنج» أن أحداثًا تجرى في نفس الوقت في مناطق مختلفة من العالم، لا يمكن أن تكون الصدفة وراءها.

وأضاف: إنها القوى الصهيونية الخفية التي ورطت أمريكا في الحروب العالمية والحروب الفرعية الأخرى!! والقوى الصهيونية هي التي ستكون السببَ في حرب عالمية ثالثة لإخضاع الدول العربية لإسرائيل، وجعلها دويلات قزمية تدور في فلكها.

وقال «هنري فورد»: «إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرفٌ ما منها، وإن الطرف الذي استفاد دائمًا هم اليهود العالميون، يبدؤون الحروب بالدعاية التي يوجهونها من بلد ضد الآخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة، ويُثْرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يُثْرون من القروض التي يقدمونها للطرفين المتحاربين،

وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في البلاد».

وقال وليم جاي كار: «إن الثورة الإنجليزية كانت من صنع الصهيونية، وأما الحرب العالمية الثانية فقد رُسم مخططُها على أساس أن تنشب نتيجة النزاع الذي يثور بين الصهيونية السياسية والعالم الإسلامي، ويقضي المخطط المرسوم أن تُقاد هذه الحرب وتُوجَّه بصورة يُحطَّم فيها الوطن العربي ومن ورائه العالم الإسلامي».

وهذا ما وصل إليه هتلر من قناعة: أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا «الشعب المختار» في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته [١].

شعوب الأرض لم تستقذر اليهود من فراغ، أو تعلن عليهم الحرب وتطاردهم من بلد إلى بلد بلا سبب، لقد ساءت أخلاقُهم لدرجة أن بلدان الدنيا لم تتحمل دناءَة أخلاقهم وسوء طويَّتهم، وقد ينتفي العجب حينما نعلم أن كتابهم أقر سوء أخلاقهم، وربهم طردهم من ديارهم كما في توراتهم: «وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها»[٢].

إذًا لم يبق لليهود حجة يدافعون بها عن أنفسهم، فكتابهم أقر عليهم ما وصلت إليه شعوب الأرض من قناعة أنهم أهلُ دناءة وانحطاط، فاقرؤوا ما جاء في التوراة في وصف سلوكهم: «طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبلًا معوجة»[٣].

إن البعد الإستراتيجي النبوي القائمَ على الوحي كان وراء طردِهم وإجلائهم من

---

(١) كفاحي، أدولوف هتلر (ص ١١).
(٢) إرميا (١٦: ١٢-١٣).
(٣) أشعياء (٥٩: ٦-٧).

جزيرة العرب؛ لتكون مأمنًا لأهلها ومَن سَكَنها من شرِّ اليهود ومكرهم، وبقيت كذلك يوم أن حافظ المسلمون على الأمر النبوي الرشيد بتطهيرها من المشركين، لكن يومَ أن فرطوا في هذا الأمر والتوجيه النبوي حلَّت على المسلمين كارثة نعيش ويلاتها إلى هذه اللحظة.

## من فوائد الحديث

١- الرسولُ ﷺ أمر بإخراجهم من جزيرة العرب، فكيف بنا بمن استمات في إرجاعهم وتمكينهم في جزيرة العرب، بل وبنى لهم المواضع التي تثبِّت أقدامهم وترسُّخ وجودهم، من نصب الأوثان وبناء المعابد باسم الديانة الإبراهيمية وحرية الأديان.

٢- من المسلمين وأهل الديانة اليوم من نقض عهد رسول الله ﷺ بالأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب، فأتى بأنواع المشركين كعمالة منزلية دسها في عقر بيته، أو على رأس مصالحه التجارية.

٣- مع الأسف الشديد فإن بعض بلاد المسلمين في جزيرة العرب قد ملأت بلدانها بالمشركين، وأقصت وطردت ومنعت المسلمين من جزيرة العرب، حتى بدت في جزيرة العرب قوة ديموغرافية فاقت عدد أهل البلاد الأصليين من المسلمين، مختلفة عنهم في عقيدتهم وعاداتهم وسلوكهم ولغتهم، وكأنها قوة وكتلة ديموغرافية استعمارية احتلالية إحلالية حاصرت سكان الجزيرة العربية في موطنها وتغلبت عليها.

٤- الأمرُ بإخراج المشركين من جزيرة العرب بخاصَّة دلالةٌ على مكانة هذه البلاد الإستراتيجية وعظيم شأنها في الشريعة، وأنه يجب العناية بها عنايةً تامةً.

٥- دل الحديثُ على أن إخراج اليهود والنصارى إن لم يكن إلا بالقتال؛ فَعَلَ وليُّ الأمر ذلك عملًا بوصية رسول الله ﷺ، وحفاظًا على أمن الدولة المسلمة وأهلها.

٦- إخراجُهم من جزيرة العرب فيه تميُّز المسلمين، ونقاء دينهم، وخصوصية شخصيتهم وكينونتهم.

٧- وهذا دليلٌ على أن الاقتراب من أهل الكتاب وسائر المشركين، مظنة التشبه بهم والأخذ عنهم.

٨- الجزيرة العربية موطنٌ ومكانُ امتيازٍ وخصوصيةٍ، امتن الله بها على أهل الإسلام، فعليهم أن يحفظوا ما امتن عليهم الله به.

٩- أجاز بعض العلماء إدخال أهل الكتاب من غير المحاربين جزيرة العرب دخولا مصلحيًّا مؤقتًا، ينقضي بانقضاء المصلحة، مع مراعاة ضبط تحركاتهم وعدم تغليب عددهم على المسلمين وعدم السماح بنشر أفكارهم.



# الحديث الرابع والثلاثون

## اليهودُ مغضوبٌ عليهم

**عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المَغضوبَ عَلَيهم اليهودُ، و إِنَّ الضالِّينَ النصاسرى»**[1].

### مقدمة

سورة الفاتحة سميت بـ «أم القرآن»، لاشتمالها على المعاني التي في القرآن، سورةٌ نقرأها في اليوم سبعَ عشْرة مرةً في الصلوات المفروضة فقط، فضلًا عن الصلوات المسنونة، ما سر هذه السورة؟ ولماذا جاء فيها التحذير من اليهود والنصارى بهذا الوصف وبهذه الخصوصية؟

فهو دعاء نسأل الله فيه أن نلتزم طريقَ أهل الهدى والتقى على علم من كتاب الله وسنة نبيه؛ لذلك لمَّا يدعو العبد ويقول: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، قال الله: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[2]. أي: أن الله استجاب الدعاء.

وعن عطاء قَالَ: «أدركت مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم في هذا المسجد، إِذَا قَالَ الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] سمعت لهم رجة بآمين»[3]، وكأن ذلك يشير إلى إرادة جامحة جادة وقوية من القائل، وبشكل جماعي

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٣٨١)، والترمذي (٢٩٥٣-٢٩٥٤)، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٤٩٣).

بشري وملائكي، أن لا يكونوا على صراط هؤلاء الضُلَّال.

**سورة الفاتحة:**

لَهَا أسماءٌ ثلاثةٌ: فاتحةُ الكتاب، وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وقد جاء بها التحذير من صراط المغضوب عليهم والضالين، وهدانا إلى الإسلام وطريق النبيين المستقيم، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: هو الشكر لله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الجنِّ والإنسِ مثلَ قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان رقيقان أَحَدهمَا أرق من الآخر، الرَّحْمنُ يعني: المترحم، الرَّحِيمُ يعني: المتعطف بالرحمة.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ هو يوم الحساب، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: نوحِّد، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى عبادتك، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني: عرِّفنا دينَ الإسلام؛ لأن غيرَ دين الإسلام لَيْسَ بمستقيم، ﴿ٱهْدِنَا﴾ بصيغة الجمع، وهي أقرب إلى الإجابة من صيغة المفرد، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: دُلَّنا عَلَى طريق الَّذِين أنعمت عليهم، وهم النبيون الَّذِين أنعم الله عليهم بالنبوة، كما أنهم خَرَجوا عن الغَضَب والضَّلال، والذين أنعم الله عليهم خالفوا اليهود والنصارى ولم يتبعوا مسالكَهم الضالَّةَ المنحرفةَ.

لذلك نقل صاحب الطحاوية أَنَّ طَائِفَةً مِنَ السَّلَفِ قالوا: مَنِ انْحَرَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنِ انْحَرَفَ مِنَ الْعُبَّادِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى [١].

## شرح الحديث

**قوله: إِنَّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود:** هو من أخص أوصافهم، وبه كان النبي ﷺ يعرِّف اليهود بصيغة الذمِّ لهم، فعن الشَّريدِ بن سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (ص ٥٢٦).

وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلِيَةِ يَدي، فَقَالَ: «**أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!**»(١).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بُلْقِينٍ(٢)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: «**هَؤُلاَءِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ**»، فَأَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ... (٣).

لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهو دعاءٌ أن يجنِّبه سلوكَ طريقهم المجانب للتوحيد الخالص، بعد أن عرفوا الحقَّ واجتنبوه، فكانوا بهذا أهلَ شهوة، وكتمُ العلم فيه مشابهةٌ لهم، فهم أهل علم ليس معهم عمل، وهذا ينطبق على العلماء الذين علموا ولم يعملوا وكل مَن يعلم الحقَّ ولم يتبعه يشابه اليهودَ، ويستحق غضب الله عليه، فالعاقل اللبيب الذي يزداد علمًا ليزداد بصيرة؛ ليجانب طريق وطريقة اليهود.

وقد بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما وهب بني إسرائيل: كتابًا كتبه بيده والحكمَ والنبوةَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٦ - ١٧].

قال قتادة: قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ﴾ [البقرة: ٩٠]: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ (٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٤٥٤)، وأبو داود (٤٨٤٨)، وصححه الحاكم (٧٧٠٣)، ووافقه الذهبي.

(٢) أي: بني القَين، وهو حيٌّ من بني أَسد، كقولهم: بَلحارث وهي لغة لبعض العرب في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٧٣٦)، وأبو يعلى (٧١٧٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٤٩): رواه أبو يعلى، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٢/ ٢٥٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فالغضب على الغضب غضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التوراة وهي معهم، وغضبٌ بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله إليهم (١).

## الحذر من تولي اليهود:

وقد استهان بعض قومنا بموالاتهم لليهود والتعاون معهم، والتنسيق بينهم في التآمر على الدعوة والدعاة، وقد غفلوا أن في ذلك غضب الله عليهم، كما أخبر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤] قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهودَ وناصحوهم (٢).

**قوله: و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى:** ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ معطوفًا على قوله ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، والضالون هو من أخصِّ أوصافهم، فهم أهل تنسك وعبادة ليس معهم عِلْم يهتدون به، فعبدوا الله على جهل، وعمِلوا بما تهواه أنفسهم بلا دليل أو بينة، وكانوا بهذا مقلدة، وقد ذمهم الله بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

ووصف النصارى في موطن آخر بالضلال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

ووصف بذلك مَن يتبع هواه بغير عِلم، حيث قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]، ومثلهم مَن غالى في أئمتهم وجعلوهم معصومين فوقَ مرتبة البشر، وبعضهم جعلهم فوقَ مرتبة الأنبياء، وأن لهم من المعجزات وخارق العادات ما لا يحصل لبعض الأنبياء.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ١٧٣).
(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ٤٨٧).

والضالون: النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، ولا يخفى أن كلًّا من الفريقين يتصف بالضلال والغضب، فإن من غضب الله عليه قد ضل وإلا لَمَا غضب عليه، ومن ضل فقد غضب الله عليه، وإنما اختصت كلُّ طائفة بصفة هي أعرق في الاتصاف بها [١].

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: ولا: لتأكيد النفي لئلا يتوهم عطف الضالين على ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وهو مؤكد إضافي على ضلالهم.

يقول العيني مفرقًا بين المغضوب عليهم والملعونين: «وَإِنَّمَا خص الْغَضَبَ باليهود واللعنةَ بالنصارى؛ لِأَن الْغَضَب أردى مِن اللَّعْنَة، فَكَانَ الْيَهُود أَحَقُّ بِهِ لأَنهم أَشد عَدَاوَة لأهل الْحق» [٢].

كما لا يجوز إبدال اسم (النصارى) بالمسيحيين نسبة إلى أتباع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي تسمية حادثة لا وجود لها في التاريخ، ولا استعمالات العلماء؛ لأن النصارى بدَّلُوا دين المسيح وحرَّفوه [٣].

**آمين:**

كما أنها تقال بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] عند المسلمين، وتعني: اللهم استجب، كذلك وردت عند اليهود كلمة «آمين» كما هي نصًّا في التوراة: «وأجاب كل الشعب، وقال: آمين»[٤]، وجاء: «مباركٌ هو الرب إله إسرائيل منذ الأبد، وإلى الابد

---

(١) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، للصنعاني (٢/ ٨).
(٢) عمدة القاري (١٦/ ٢٨٧).
(٣) معجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد (ص ٩٣).
(٤) (٢٧: ١٥).

آمين ثم آمين»[١]، كما يستخدمون الكلمة في التأمين على كل داعٍ منهم، وهي كذلك تعني عندهم معنى «اللهم استجب».

## من فوائد الحديث

١- من لوازم مخالفة المغضوب عليهم هو مخالفتُهم في الهدي الظاهر وما جَرَوا عليه من عادات.

٢- فيه فضيلةُ الأمة المحمدية على سائر الأُمم في العلم النَّافع والعمل الصَّالح.

٣- من خطورة تتبُّعِ طريق المغضوب عليهم والضالين، كان ذلك الدعاء في كل ركعة من ركعات الصلاة.

٤- قولُ: آمين، والمد بها وبصوت عالٍ جَأْرٌ إلى الله أن يجنب الداعيَ سلوكَ طريق المغضوب عليهم وإخوانهم الضالين.

٥- كثرةُ تكرار هذا الدعاء الذي هو ركنٌ في الصلاة، ولا تصح إلا به في اليوم والليلة أقلُّها سبع عشْرة مرةً، دليلٌ على أن مشابهة اليهود والنصارى في غيهم ممكن أن يكون في لحظة من ليل أو نهار.

٦- ومن بديع وصف القرآن لخصالهم الذميمة أنه جاء وصفًا مختصرًا شاملًا لكل منهم في كلمة واحدة.

٧- حتى ملائكة الله أدركت وبوحي من الله أهمية تجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، فكانت تؤمِّن بما يؤمِّن به المسلمون، ففي الحديث: «**إِذَا قَالَ الْقَارِئُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧]، **فَقَالَ: مَنْ خَلْفَهُ: آمِينَ، فَوَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ**

(١) المزامير (٥١: ١٤).

أَهْلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».[١]

٨- دل الحديث على أن قول: «آمين» شمل الملائكة لما سمعت اهدنا بلفظ الجمع، قالت: آمين؛ وهذا دليل على أنها هي كذلك تستعيذ من المغضوب عليهم والضالين.

٩- وبهذا يعلم أن اليهود والنصارى خارجون يقينًا عن ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾.

١٠- الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ والضَّالونَ، اختصرتا أحداثًا وعقائد كثيرة مشينة من فعل اليهود والنصارى، ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وأحداث أُخَرُ لم يذكرها.

١١- لا يوجد وصف أكثرُ تعبيرًا عن غضب الله على اليهود من وصف ﴿ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾.

١٢- ﴿ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ وحدها تكفي دليلًا قاطعًا وبرهانًا ساطعًا يؤكد انحراف وكفر اليهود.



(١) أخرجه مسلم (٤١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الحديث الخامس والثلاثون

# أمةٌ من بني إسرائيلَ مُسخت فأرًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ! وَإِنِّي لَا أُرَاهَا إِلَّا الْفَارَ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ».

فَحَدَّثْتُ كَعْبًا، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ لِي مِرَارًا.

فَقُلْتُ: أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَاةَ! (١).

## مقدمة

ألوان وأنواع من العقوبات نفسية وجسدية عاقب الله تعالى بها بني إسرائيل لما عصوا الله وفرَّطوا في أوامره، فضرب عليهم الذلة والمسكنة، وجعل منهم القردة والخنازير، وتيهًا في سيناء أربعين سنة، وأرسل عليهم من استباح بيضتهم واستأصل شأفتهم، ومن عقوباته أن أمة منهم مُسخت فأرًا.

## شرح الحديث

**قوله: فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ:** «فُقِدَتْ» بناء للمجهول، ذهبت طائفة أو ربما قبيلةٌ من قبائلهم المفقودة والتي يبحثون عنها إلى يومنا الحالي، لا يعلم ما وقع منها، لكن وبلا شك أن ما وقع منها هو أمرٌ عظيم أغضب الرب سبحانه، وربما مسَّ ذاتَه الكريمة كعادتهم.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٣٠٥)، ومسلم (٢٩٩٧).

**قوله: « وَإِنِّي لَا أُرَاهَا إِلَّا الْفَارَ »** : وعند مسلم وغيره لفظة: «**الْفَأْرَ**»، أي: لا أظنها إلا مسخًا مسخه الله تعالى مسخًا حقيقيًّا لا معنويًا من هيئة إنسان إلى هيئة فأر، وهي عقوبة أوقعها الله تعالى على فئة من بني إسرائيل عصت الله.

والفأر مما عده النبي ﷺ من الفواسق التي تُقتَل في الحل والحرم، وسميت فواسق لخبثهن وخروجهن عن الحرمة، ولخروجها بالإيذاء والإفساد.

وهو حيوانٌ خبيثٌ مستقذَر نجسٌ حضت الشريعة على قتله، قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا» [(١)]، فُسوقها بخروجها على الناس بمضارِّها، تقتل أينما وُجدت حتى لو كانت في الحرم الذي نهينا فيه عن قتل الحيوانات، وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْفَأْرَ مِنَ الْفَوَاسِقِ.

وَقَال الحافظ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفأرُ أنواع منها الجُرَذ -بالجيم بوزن عمر- والخُلْد- بضم المعجمة وسكون اللام- وفأرة الإبل، وفأرة المسك، وفأرة الغيط، وحكمها في تحريم الأكل وجواز القتل سواء»[(٢)].

وَالظَّاهِر أَن ذلك كان ظنًّا، ثمَّ أُعلم بعدَ ذَلِك، أو قال ذلك بصيغة التأكيد: أي لأظنها ظنًّا يقينيًّا مؤكدًا كأنه رأيُ العين.

وجاء المسخ مؤكَّدًا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ، كَمَا مُسِخَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) فتح الباري (٤ / ٣٩). وانظر: فتح القدير (٢/ ٢٦٧)، ابن عابدين (٢/ ٢١٩)، حاشية الدسوقي (٢/ ٧٤)، الخرشي على خليل (٢/ ٣٦٦)، نهاية المحتاج (٣/ ٣٣٣)، كشاف القناع (٢/ ٤٣٩).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند(٣٢٥٥)، والطبراني في الأوسط (٤٢٦٩)، وفي الكبير (١١/ ٣٤١)، وصححه ابن حبان (٥٦٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٤٧): رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبزار بالاختصار، ورجاله رجال الصحيح.

لم تكن عقوبتهم المسخ فقط بل لعنهم، هذا أولًا، وثانيًا: غضب عليهم، وثالثًا: جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

قال بعضُ أهل التأويل: عنى بالقردة أصحابَ السبت، وبالخنازير كفارَ مائدة عيسى، وروي أيضًا أن المسخين كانا في أصحاب السبت؛ لأن شبانهم مُسِخوا قردة، ومشايخهم مُسِخوا خنازير، ولهذا كان المسلمون يعيِّرون اليهود بعد نزول الآية، ويقولون: يا إخوة القردة والخنازير، فيُنَكِّسون رؤوسهم [١].

وهو مصداق قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]. فلما تمرَّدوا فيما نُهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرَّم الله عليهم من صيد السمك وأكله، وتمادوا فيه مسخناهم قردةً.

وهو تحذير من الله أن يسلكوا مسلكَ بني إِسْرائيل لما عَصَوا أمرَ الله لما اجترؤوا في السبت بصيد السمك، فكان أمرُ الله أن يكونوا قردةً، يقول ابن كثير: فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأَناسِيِّ في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمالُ هؤلاء وحيلهم لما كانت مشابِهةً للحقِّ في الظاهر ومخالفةً له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم [٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ أَيْ: طغوا واستكبروا، وَالْعُتُوُّ عبارةٌ عن الإباءِ والعصيانِ ﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أَيْ: عن ترك ما نُهوا عنه من صيد الحيتان يوم السَّبت. ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة، ومعنى «خَاسِئِينَ»: أي مُبْعَدِينَ.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٢/ ٦١١)، وانظر: التفسير الكبير، للرازي (١٢/ ٣٩٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٨).

لكنهم جهلوا أن الذنوب وعصيان أوامر الله تعالى كانت ولا زالت سببًا للهلاك والبلاء والمسخ.

ويمكن تفسيرُ ظاهر الحديث أن فئران اليوم أخذت بعضَ طباع بني إسرائيل في ترك ألبان الإبل، وربما يكون ذلك بسبب تأثر ما مُسخ من بني إسرائيل إلى فئران، وبقي في نسل الفئران من تأثر في الممسوخين أن لا يشربوا من ألبان الإبل وشربوا من ألبان الشاة، ويكونوا بذلك أخذوا بعضَ طباعهم، والله أعلم.

بل كان النبي ﷺ يذمهم ويسبهم أحيانًا وينايديهم بما كانوا عليه من مسخ، لما انطلق رسولُ اللهِ ﷺ وبأمر من جبريل إلى بني قريظة، فلمَّا رآهُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: يا رسولَ اللهِ، لا عليكَ ألا تأتِيَهم فإنَّهم يشتمُونكَ، فقالَ: «**كَلَّا، إنَّها ستكونُ تحية**»، وأَتاهم النبيُّ ﷺ فقالَ: «**يا أخوةَ القردةِ والخنازيرِ**»[(١)].

وقد جاءت بعض الروايات التي تشير إلى نوع آخر من المسخ كالضب مثلًا، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أعرابيًّا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني في غائط[(٢)] مَضَبَّةٍ، وإنه عامة طعام أهلي؟ قال: فلم يجبه، فقلنا: عاوِده، فعاوَده، فلم يجبه ثلاثًا، ثم ناداه رسول الله ﷺ في الثالثة، فقال: «**يَا أَعْرَابِيُّ، إِنَّ اللهَ لَعَنَ - أَوْ غَضِبَ - عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ، يَدِبُّونَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدْرِي، لَعَلَّ هَذَا مِنْهَا، فَلَسْتُ آكُلُهَا، وَلَا أَنْهَى عَنْهَا**»[(٣)].

وجاء عن النبي ﷺ: «**مَا أَ هْلَكَ اللهُ قَوْمًا، وَلَا قَرْنًا، وَلَا أُمَّةً، وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخَتْ قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٧).

(٢) غائط: الغائط الأرض المطمئنة.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥١).

لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣] (١).

وجاء أن الجن وقع فيهم المسخ، كما أخبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**الْحَيَّاتُ مَسْخُ الْجِنِّ، كَمَا مُسِخَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» (٢).

وجاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ أخبر عن مسخ بني إسرائيل، لكن لا يدري إلى أي نوع من الدواب في قوله ﷺ: «**إِنَّ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُسِخَتْ دَوَابَّ فِي الْأَرْضِ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي أَيَّ الدَّوَابِّ هِيَ؟**» (٣).

ولأن اليهود في خُبْث نفوسهم ودناءةِ أخلاقهم شبيهون بأخلاق وسلوك القردة والخنازير؛ اختار الله مسخهم على هيئتهم.

## لم يجعل الله تعالى للمسخ نسلًا:

«واختلف العلماء في الممسوخ هل يَنْسَل؟ على قولين، قال الزَّجاج: قال قوم يجوز أن تكون هذه القردةُ منهم، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي، وقال الجمهورُ: الممسوخ لا يَنْسَل، وإن القردة والخنازير وغيرَهما كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبقَ لهم نسلٌ، لأنه قد أصابهم السخطُ والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام» (٤).

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٥٣٤)، والبزار (٢٢٤٨-كشف الأستار)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨٨): رواه البزار موقوفًا ومرفوعًا، ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣٢٥٥)،و الطبراني في الأوسط (٤٢٦٩)، وفي الكبير (١١/ ٣٤١)، وصححه ابن حبان (٥٦٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٤٧): رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبزار بالاختصار، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٩٣١)، وأبو داود (٣٧٩٥)، والنسائي في الكبرى (٤٨١٣)، وابن ماجه (٣٢٣٨)، من حديث ثابت بن وديعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٧).

(٤) فتح الباري (٧/ ٤٤٠).

«وَقَدْ ذَهَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ وَأَبُو بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنَّ الْمَوْجُودَ مِنَ الْقِرَدَةِ مِنْ نَسْلِ الْمَمْسُوخِ وَهُوَ مَذْهَب شَاذ» (١).

والظاهر أن المسخ له نسل قول ضعيف لا يعتد به، كما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيَّ ﷺ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ -قَالَ مِسْعَرٌ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ-؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَقَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ»(٢).

وما دام أن المسخ لا يتناسل تكون بذلك عبارة «أحفاد القردة والخنازير» غير دقيقة، والأدق منها قولنا: «إخوان القردة والخنازير» كما مر معنا في قول النبي ﷺ لما أتى بني قريظة وقال لهم: «**يا أخوةَ القردةِ والخنازيرِ**»(٣).

## هل للمسخ مدة بقاء:

لم يرد في ذلك حديثٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ يحدد مدةَ بقاء المسخ قبل هلاكه، وما ورد من أثر موقوف عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: لم يَعِش مسخٌ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل (٤).

## هل انتهى زمن المسخ؟

لم ينتهِ زمن المسخ، وليس فقط هو في بني إسرائيل، وربما رأينا بعض الناس مُسخت أخلاقهم وقِيَمهم، وانتكست فطرهم وبهذا يكون حاله مسخًا معنويًّا.

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).
(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٩٧).
(٤) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» (٣١٣) وضعفه فقال: خبر في سنده نظر.
لكن ممكن أن يبقى المسخ مدةً يقع فيه الاعتبارُ بهذه العقوبة الربانية ليشهدَ عليها البعضُ، وتكون عظةً وعبرةً لآخرين، والله أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٥٩ - ٦٠].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦] أي: من كان بعدهم من أمم يعصون ربهم، فسيكون فيهم ما كان في بني إسرائيل من مسخ.

وجاء في بعض الروايات أن المسخ يقع في أمة محمد ﷺ عن ذلك، فقال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

وجاء عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ**» (٢).

وما سبق دليل على وقوع المسخ في هذه الأمة وغيرها من أمم، نسأل الله السلامةَ والعافيةَ.

**قوله: «إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ»**: ويرى البعض أن ذلك قرينة على أن الفأرة المتناسلة إلى يومنا الحالي من بقايا مسخ بني إسرائيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٥٩). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٥٣٤١): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع، سيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق بن شهاب. قاله الإمام أحمد بن محمد ابن حنبل وله شاهد من حديث أبي هريرة، رواه ابن حبان في صحيحه.

وآية ذلك وعلامته أنه أصبح في طبعها أنه إذا وضع لها لبن الغنم شربته، وإذا وضع لها لبن الإبل فلا تشربه.

هذا دليل على أَن بني إِسْرَائِيل في شريعتهم لم يَكُونُوا يشربون ألبان الْإِبِل، لأنها كانت محرمة عليهم، قَالت الْيَهُود لرسول الله ﷺ: أخبرنَا عَمَّا حرم إِسْرَائِيل على نَفسه قَالَ: «**اشْتَكَى عرق النِّسَاء، فَلم يجد شَيْئا يلائمه إِلَّا لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا فَلذَلِك حرمها**»، قَالُوا: صدقت! [(١)].

وعليه ومن باب الاستنتاجِ والاستنباطِ لا من باب الوحي، فإن سببَ امتناع المسخ من شُرب لبن الإبل؛ لأن شحومَها وألبانَها حُرِّمت على بني إسرائيل دون الغنم، مع بيان أن القردة والخنازير الموجودة ليست من نسل أولئك الممسوخين، والله أعلم.

**قوله: «فَحَدَّثْتُ كَعْبًا[(٢)]، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِي مِرَارًا»:**

قوله: «**قال لي مرار**» أي: كرر سؤاله مراتٍ، ويبدو من تعجب كعب ومن إيراد النبي

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤)، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٤٢): رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٢) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع بن معن بن جشم بن عبد شمس بن حمير بن سبأ الحميري، وهو عربي النسب من اليمن، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، ويختلف الرواة في تحديد الفترة الزمنية التي تحوَّل فيها كعب عن اليهودية للإسلام؛ فبعضهم يرى أنه أسلم زمن النبي وقبل وفاته، وبعضهم يرى أنه أسلم في خلافة أبي بكر، وبعضهم يرى أنه أسلم في خلافة عمر، ويترجح أنه أسلم في فترة الأخير.

سبب إسلامه: يُعرف على وجه الدقة أيضًا أسباب تحوُّل كعب للإسلام، إلا أن سببًا حرص عليه الرواة، وحرص هو على جعله سببًا أساسيًّا في إسلامه، وهو أنه عثر على ورقات أخفاها أبوه عنه، وجد فيها صفة النبي محمد في التوراة، وتتطور الرؤيا فيما بعد ليعثر كعب على صفة أمة محمد، وأصحابه، والمدن التي تُفتح عليهم، وبحسب موسوعيته التي أكسبها له من حوله يصبح كعب الحبر الذي يُسأل ويوثق في كل ما يلقي.

وفاته: قدم المدينة ثم خرج إلى الشام غازيًا مع جيش المسلمين ومات في الطريق، ودفن في حمص سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان عن مائة وأربع سنين (١٠٤). انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩-٤٩٤).

ﷺ لهذا الخبر له دلالة على نبوتِه وإيحاء الله له بذلك، ولعل هذا وافق ما عند كعب.

**قوله: فَقُلْتُ: «أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَاة»:** وفي رواية مسلم [١]: «**أفأُنزلت عليَّ التوراة**»، القائل أبو هريرة يرد على كعب، أنا لست قارئًا للتوراة حتى أنقلَ منها، لا أقول إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ.

وهو استفهام إنكار، ومعناه: ما أعلم ولا عندي شيءٌ إلا عن النبي ﷺ، ولا أنقل عن التوراة ولا غيرها من كتب الأوائل شيئًا، وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب، وأن الصحابيَّ الذي يكون إذا أخبر بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع، بخلاف كعب الأحبار وغيره ممن له علم بعلم أهل الكتاب، وفيه تَعْرِيضٌ بكعب الْأَحْبَار بِأَنَّهُ كَانَ على دين الْيَهُود قبل الْإِسْلَام، وفيه سكوت كعب وعدم الرد على أبي هريرة دلالة على ورعه.

المتعقب لتاريخ بني إسرائيل والشعبِ اليهودي وعَبْر الحِقَب التاريخية يجد أسبابًا كثيرةً ومتنوعة أدت إلى تآكل هذه الأمة، ذكرنا بعضها في ثنايا شرح أحاديث هذا الكتاب، والمتأمل للأسباب القاضية لتناقص أعدادهم وتآكلهم نجد في أغلبها -إن لم تكن كلها- هم سببٌ رئيسٌ في ذلك، وكما في حديث الباب كيف كان تناقصهم بطريقة المسخ؛ وذلك بسبب عصيانهم أوامرَ الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلًا عن الإبادات الجماعية لهم في أوروبا شرقًا وغربًا، وكان ذلك أيضًا بسبب نشر إفسادِهم فيها.

هذا الحديث يدعونا إلى تساؤل مهم وفي محله: هل ثبت تاريخيًّا أن سبطًا أو جماعة من بني إسرائيل فقدت؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٧).

تطرح كثير من أدبيات اليهود قديمًا وحديثًا عن فقدان عشرة أسباط من بني إسرائيل من أصل اثني عشر سبطًا، وهذه الأسباط العشرة هم من شكلوا مملكة إسرائيل الشمالية، والسبطان الآخران -يهوذا وبنيامين- هما من شكلا الشطر الآخر من مملكة بني إسرائيل في الجنوب.

وهذا الانقسام الذي وقع بعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتقد كثير من اليهود أن العثور على هذه الأسباط أو بعضها أمر محتمل، كما يدعي الرحالة اليهودي الرابي عوبديا من القرن التاسع: أنه وجد هذه القبائل أو بعضها وراء أنهار الجنة، لكن ترى بعض الفرق اليهودية الأخرى أن العثور على هذه القبائل المفقودة لن يكون إلا زمن المسيح اليهودي آخر الزمان.

وسبب هذا التباين في الآراء: أن الحديث عن الأسباط المفقودة نشأ بعد الفترة التوراتية، وعليه كان رأي عالم التاريخ «تيودور بارفيت»، أن قصة فقدان الأسباط خرافية لا حقيقة لها، وإلى هذا الرأي يميل المؤرخ «فيليب حتى».

إن من أكبر القضايا التي تؤرق اليهود قديمًا وحديثًا هو تناقص أعدادهم وتراجع وجودهم في كثير من المواطن. دعونا نشير إلى بعض أسباب تراجع أعداد اليهود.

### من أوجه المسخ اليهودي المعاصر:

تشير إحصائيات إلى أن عدد اليهود في العالم قد انخفض بنسبة ٣٪، مقارنة بالسنة التي سبقته، ويقدر عدد اليهود في العالم اليوم بـ١٢,٩ مليون، حتى بالغ البعض بأن عدد اليهود سينخفض ما بين خمسة أو ستة ملايين في عام ٢٠٢٥ م!

تخوفات المنظمات اليهودية والكيان الصهيوني أن تعداد الفلسطينيين سيتفوقون

عدديًّا على مجمل السكان الموجودين داخل الأراضي الفلسطينية التاريخية، حتى أطلق بعض المختصين من علماء الاجتماع على هذه الظواهر باسم «موت الشعب اليهودي» أو «الإبادة الصامتة» كما ذكر المسيري في موسوعته.

وعند رصد أسبابِ ظاهرة تناقص عددِ اليهود من خلال الاندماج في بعض المجتمعات الغربية كأمريكا وبريطانيا هو الزواجُ المختلط من غير اليهوديات والعكس، والتي قد تصل في الولايات المتحدة إلى ٦٠ ٪، وفي بعض الدول مثل روسيا وأوكرانيا تصل إلى ٨٠ ٪. والعزوف عن الزواج وتكوين الأسرة، والاكتفاء بالخليلات على وجه الحرام، والتي كانت سببًا في انتشار ظاهرة الإجهاض المحرم هي الأولى على مستوى العالم، كما تشير التقارير إلى أنه خلال عامي(١٩٧٩ – ١٩٨٦) فقد تم تنفيذ (١٢٩٠٠٠) حالة إجهاض !

وكثير من الأُسَر تكتفي بإنجاب النفرِ أو النفرَين فقط وثالثهما كلبٌ! وهذا على عكس الأسر اليهودية المتدينة، وتشير إحصائيات أن خصوبة المرأة الفلسطينية تعدل ضعف خصوبة المرأة اليهودية، وتأخرها في الزواج بعكس الفتاة الفلسطينية، وعلى صعيد نسب الطلاق المخيفة في الكيان اليهودي نشرت دائرة الإحصاء المركزية في (هرتسليا) تقريرًا أشارت فيه إلى ارتفاع نسبة الطلاق أمام نسبة الزواج بـمعدل ٦٠٪.

مما شكلت هذه المؤشراتُ ودقَّت ناقوس الخطر في الكيان اليهودي، وأشاروا إليها بقولهم: «القنبلة الديموغرافية»، لهذا نجد الصهاينةَ في معركة طوفان الأقصى صبوا جام غضبهم في عملياتِ استهدافٍ مركَّزٍ ومقصودٍ في قتل المدنيين من النساء والأطفال في ساعات متأخرة من الليل ليضمنوا استهداف أكبرَ عدد منهم.

## هل المسخ الذي أصاب اليهود كان سببًا في نشوء عقيدة جديدة بينهم؟

الطَّوْطَم: رمزٌ عند غير المسلمين تتخذه القبيلةُ أو العشيرةُ أو الأسرةُ كرابط بينها مع تعظيمه، ويمكن لأية عشيرة أن تتخذ طيرًا أو سمكة أو حيوانًا أو نباتًا أو أي شيء من الطبيعة ليكون لها طوطمًا (معبودًا).

ويَعْتَقِد بعض الناس أن الطوطم هو بمثابة السلف للعشيرة، ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لأية عشيرة أن تُصدر قانونًا يمنع قتل أو أكلَ النوع الذي تتخذه العشيرة طوطمًا لها، ويُعرف أعضاءُ العشيرة باسم طوطمهم، واعتقدت بعضُ القبائل في العصور الماضية بقدسية الطوطم وعبَدَته، واتخاذ الطوطمية عقيدة ربما كان منتشرًا بين الهنود الأمريكيين والأفارقة السود في العصور القديمة، وقد جعله «دوركايم» وأمثاله الشكل الأول لظهور الدين في العالم [١].

«الديانة الطوطمية» الصيغة الأولى للدين، نشأت «عن شعور الأبناء بذنبهم، كمحاولة ترمي إلى تهدئةِ هذا الشعورِ ولمرضاة الأبِ من خلال الطاعة المستدركة. وأن جميعَ الأديان اللاحقةَ تتبدى على أنها محاولاتٌ حلَّ نفس المشكلة... وهذه المحاولات تبقى جميعها ردودُ فعلٍ على الحدثِ العظيمِ الذي بدأت به الحضارةُ والذي ما زال منذ ذلك العهد يقُضُّ مضاجع البشرية»، إلى أن قال: «وتحول الأب البدائي القتيل إلى صورة إله»[٢].

وتعريف الطوطمية كما جاء في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، والطوطمية: «Totemism» لفظة أخذت من كلمة «Ototemom» وهي من كلماتِ قبيلة

---

(١) الموسوعة (١٥/ ٦٤٢)، قاموس المصطلحات (ص ٣٠٠)، الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٨٩).
(٢) انظر: الإنسان المعاصر في التحليل النفسي، د. فيصل عباس (ص ١٥٣ – ١٥٤).

«Ojidwa» من قبائل هنود أمريكا، اشتق منها «لانك» «J. Lang» كلمة «توتم» «Totem»، ومنها أُخذ اصطلاحُ «طوطمية» «توتميسم» Totemism الذي يعني: اعتقاد جماعة بوجود صلةٍ لهم بحيوان أو حيواناتٍ تكون في نظرها مقدسةً؛ ولذلك لا يجوز صيدُها أو ذبحُها أو قتلُها أو أكلُها أو إلحاقُ أذًى بها، وتشمل الطوطمية النباتاتِ كذلك، فلا يجوز لأفراد الجماعةِ التي تقدِّسها قطعها أو إلحاق الأذى بها، وقد يتوسع بها فتشمل بعض مظاهر الطبيعة مثل: المطر والنجوم والكواكب [١].

وهم يؤمنون بأن «الطوطم» لا يؤذي أتباعه، فلا يخافون منه، حتى وإن كان من الحيوانات المؤذية التي تلحق الأذى بالإنسان، كالحية أو العقرب أو الذئب، وهم يعتقدون أيضًا أنه يدفع عنهم، وأنه ينذر أتباعَه إن أحسَّ بقرب وقوعِ خطرٍ على أتباعه، وذلك بعلاماتٍ وإشاراتٍ على نحو ما يُقال له: الزجرُ والطِّيَرَة والفأل.

وهم يتقربون إلى طوطمهم؛ محاولةً منهم في كسب رضاه، فيقلدونه في شكله ومظهره، وقد يلبسون جلدَه أو جزءًا من جلده، أو يُعلقون جزءًا منه في أعناقهم أو أذرعهم على نحو من التعاويذِ؛ لأنه يحميهم بذلك ويَمنعُ عنهم كلَّ سوء، كما يحتفلون به وبالمناسبات مثل مناسباتِ الولادةِ أو الزواج أو الوفاة بنقش رمزِ الطوطم على ظهر المولود، أو دهن الجسم بدهنٍ مقدَّسٍ من دهان ذلك الطوطم، إلى آخر ما هنالك من أعراف وتقاليد.

إذًا الطوطمية ديانةٌ لها صورٌ متعددة يعبدُ أتباعُها الطوطم، الذي يشير إلى نوعٍ من المعبودات الذي يعتبر في نظر جماعتِهم أن معبودَهم مقدسٍ استحدثوا له طقوسًا ونوعًا من العقائد القائمة على الشرك والكفر بالله، ويكون الطوطم بنظره بمثابة الجدِّ والرمز

(١) الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ).

الأعلى للجماعة وأتباع هذه العبادة الطوطمية.

ويعتقد أتباع الطوطم أنها جماعةٌ مترابطةٌ بين أفرادها، وأن لها تاريخًا مشتركًا وصِلَة رحم، وأنه ينبغي عليها أن تلتفَّ حول طوطمها وتتمسك به جدًّا؛ لأنه هو من يحميها ويُدافع عنها، ويَردُّ كيدَ الأشرار والأرواحَ الشريرةَ عنها كما يعتقدون.

هي عقيدة تتخذها جماعةٌ ما قائمةٌ على تقديسِ حيوانٍ أو حجر أو شجر، بمعنى آخرَ أن كلَّ شيء في الطبيعة متاحٌ للعبادة، هناك ألوان من الطوطمية ذكرها القرآن الكريم والسنة والتاريخ وما يشهد له من رسوماتٍ وأصنام، وقد استطاع الإنسان فكَّ شفرتِها والتعرفَ على معناها، ومن ذلك ما أثبتته الآثار كيف قدس الإنسانُ المغاربي القديم الثور، والكبش والأسد، وما قدسه الفراعنةُ من معبودات وآلهة، وكما عبد العربُ قبل الإسلام الأصنامَ وهي من الحجارة، وقدسوا الشجرَ كما في ذات أنواط، يذكر المولى عَزَّوَجَلَّ عن قومِ نوح كيف تطور بهم الأمرُ من تبجيلِ رجالٍ صالحين منهم نصبوا لهم التماثيل ثم عبدوهم من دون الله، كما يُخبرنا سبحانه عن ذلك فقال: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢١ - ٢٧].

ولا زلنا في زماننا نرى ألوانًا من المعبوداتِ لا تخطر على قلب عاقلٍ، جمعت بين الانتكاسةِ العقدية والذوقية بشكل فجٍّ لا مثيلَ له، وهي أدنى وأقذرُ أنواع العبادة التي عرفتها البشرية.

ومن هذه الحيوانات التي أصبحت إلهًا تُعبد من دون الله، ولها معبدٌ يحتشد عنده الحمقى معبدُ الفئران «كارني ماتا» في الهند، ولاية «راجستان» ويضم المعبدُ أكثرَ من ٢٠ ألف جرذ تم جمعها من المجاري والمزابل والحظائر برعايةٍ ملكية، ويجتهد عبَّادُ الجرذان في تقديم الهبات والتبرعات من الطعام والحليب، ويبالغ البعض في هبته فيقدم الحلوى أو الطعام المطبوخ بعناية ورعاية خاصة، توضع في أواني كبيرة يلتف حولها الفئران وهي من مناسك وطقوس العبادة لها، ويحظى المعبدُ بالحراسة والقوانين التي تمنع إيذاء الفئران أو قتلها.

يعتقد أصحابُ هذه العقيدة النجسة بأنها تجسيدٌ حيٌّ للإله الأنثى «كارني ماتا» التي حمل المعبدُ اسمَها، وهي هندوسيةٌ عاشت في القرن ١٤ ميلادي عبدها أتباعُها، ولا أدري كيف تحولوا من عبادتها إلى عبادة الجرذان، أم أنها مسخت إلى فأر.

وَفْقَ عالم الاجتماع المصري علي عبد الواحد، قامت فكرة الطوطمية على نظامٍ أو عقيدةٍ مبنية على أصل حيواني (أو نباتي أو جماد)، اتخذته العشيرةُ رمزًا إلهيًّا لها، ولقبًا يُعرف به جميعُ أفرادها الذين يعتقدون أنه خالقَهم وأنهم من صلبه، فلا يُقتل ولا يتأذى [١].

وكانت عبادةُ الشمس تختلط آنئذ بعبادة الحيوانات؛ وذلك لِمَا كان من تصوير القوم على جُدُر معبدٍ يكسوه صورُ الزحافات والبهائم والأشياء الكريهة، وجميعُ آلهة إسرائيل الفاضحة [٢].

يقول المسيري في موسوعته: «تعود عبادةُ يسرائيل إلى الدياناتِ السامية القديمة، وهي دياناتٌ حيوية حلولية تؤمن بأن العناصرَ الطبيعية، مثل الأحجار والمياه والأشجار والجبال، لها حياةٌ مستقلة وتؤثِّر في حياة الأفراد، وتصلُ بعضُ هذه الكائنات إلى درجة

(١) انظر كتاب: «الطوطمية: أشهر الديانات البدائية» ، لمؤلفه: إميل دور كايم، صدر عام ١٩١٢م.
(٢) اليهود في تاريخ الحضارات (ص ٥٤).

خاصة من القداسة بحيث تحُلُّ فيها آلهة ينبغي على الإنسان أن يعبدها ويتقرب إليها.

وتُعتبَر الطوطمية من المصادر الأخرى لعبادة يسرائيل، وهي الاعتقاد بأن حيوانًا ما هو حامي القبيلةِ، وربما سلفها أي: جدها الأكبر، وتكتسب الآلهةُ في عبادة الساميين القدامى صفاتٍ إنسانية، فتتناحر فيما بينها وتنقسم إلى ذكور وإناث، ويبدو أن عبادةَ الأسلاف كانت هي الأخرى أحدَ المكونات الأساسية لعبادة يسرائيل، كما أن ثمَّة إشاراتٍ عديدة للتيرافيم (الأصنام)، وهي تماثيل لها علاقة بالخصوبة بين الإناث[١].

قد لا ينتبه البعضُ إلى نوع من التقديس للفأر وتجميله في أعين الناس وإظهاره بمظهر اللطافة والظرافة والنظافة والذكاء، كما نشاهد ذلك في سلسلة الحلقات المرئية للرسوم المتحركة «توم وجيري» المشهورة عالميًّا والمغروسة وجدانيًّا في عقول أبناء أجيال تأسست على مفاهيم هذه السلسلة المرئية، تربت عليها عدَّةُ أجيال أظهر فيها مُعدُّو هذا البرنامج وبطريقة خبيثة تخاطب العقل الباطن كيف أن القط [٢] ظهر بمظهر الغبي الساذج غير الموفق دائمًا في كل اختياراته، وعلى عكس ذلك ما بدا به الفأرُ الذكي والأسرع والأشد ظرافة وقبولًا للقلب! يمكن أن نستخلص من أهمِّ مخرجات هذا البرنامج المعدِّ للأطفال وبكل دهاء أن القطط غير محببة وغبية، والفأر هو الأكثر ذكاءً خفيف الظل والمحبب.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية (١٠-٣٩٧).

(٢) القط: هو حيوانٌ أليفٌ محبَّبٌ غيرُ مستقذَر يمكن ترويضه، سمحت الشريعة باقتنائه، وكانت القطط مِنَ الحيَواناتِ التي يُؤلَفُ وُجودُها في بيوتِ العربِ قديمًا، فلمَّا جاء الإسلامُ بيَّن أحكامَ هذه الحيواناتِ وطبيعتَها، فعن كبشةَ بنتِ كعب بن مالك -وكانت تحت ابن أبي قتادة-: أن أبا قتادةَ دخل فسَكَبَتْ له وَضُوءًا، فجاءت هرَّةٌ فشربت منه، فأصغى لها الإناءَ حتى شرِبت، قالت كبشةُ: فرآني أنظر إليه، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّها لَيسَت بِنَجَسٍ، إنَّها مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيكُم والطَّوَّافاتِ».

لم يكن «توم وجيري» هو البرنامجَ الوحيدَ المخصصَ للأطفال ويزين لهم ويحببهم في الفأر، ومثله يقدم نفسَ الرسالةِ برنامجُ «ميكي ماوس» وماوس تعني باللغة الإنجليزية الفأر، وهي ذاتها ماوس محركُ الكتابة في الحاسوب، المدقق في سلسلة برنامج «توم وجيري» التي لا تنتهي، ولا تستطيع أن تصل إلى نتيجة سريعة ومباشرة إلى الأهداف السلوكية والمخرجات التربوية المرجوة من البرنامج، وماذا تريد من عقل الطفل، لكن الأبرز والذي يمكن أن نخرج به هو تعظيمُ شأن الفأر وخفةِ ظلِّه وسرعة بديهتِه وقمةِ ذكائه، والعكس تمامًا هو حال ذلك القط والذي من المفترض هو الذي ينبغي أن يكون محببًا للبشر لجماله وطهارته.

## عبادة العجل:

ولا يخفى كيف عبد اليهودُ زمن التِّيهِ عجلًا -له خوار- من ذهب، صنعوه من حُلِيِّ نسائهم لَمَّا غاب عنهم موسى، وخلفه أخوه هارون من بعده.

يقص علينا المولى سبحانه أحداثَ هذه القصة بشيءٍ من التفصيل، وكيف انسلَّ إليهم وفي فترة وجيزة عبادةُ العجل الذي صنعوا بأيديهم، وربما لو كان عجلًا حيًّا لكان أَدْعى مِن عبادة عجلٍ جمادٍ صنعوه بأيديهم، فتأمل مجريات القصة، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨- ١٥٥].

هذه العبادات التي ليس لها ضابط هي في حقيقتها موروثات تأثروا بها؛ لأن اليهودَ لما عبدوا العجلَ في التِّيهِ كان ذلك من تأثُّرهم بالفراعنة، وكانوا قريبي عهد بهم.

كان الفراعنة يعبدون عجلًا يسمى (أبيس)، ولهذا العجل اليوم معبدٌ باسمه مليءٌ بالأصنام، لهذا كان من السهولة بمكان لما صنع السامريُّ لهم عجلًا من ذهب سرعان ما عبدوه، لَمَّا قال لهم السامريُّ: «هذا إلهكم» أطاعوه دون عناءٍ أو مقدمات تذكر؛ لأن عبادةَ العجل التي استمرؤوها في مصر لا زالت مستحكمةً في قلوبهم، وهذا مصداقُ قولِه تعالى الذي علِم ما في قلوبهم: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، قال قتادة: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾: أُشربوا حبَّه، حتى خلَص ذلك إلى قلوبهم(١).

والغريب في دناءة إيمانهم أن نبيَّ الله هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قائمٌ بينهم يأمرهم وينهاهم وموسى قريبًا منهم يناجي ربَّه، لكنها القلوبُ الغُلْفُ التي اعتادت الكفرَ.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢/ ٢٦٣).

ومع إكرام الله لهم بمجاوزة البحر والخلاص من طغيان فرعونِ، إلا أنهم يعودون مرة أخرى لعبادة الأوثان التي أُشرِبوا تقديسها! كما ذكر الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٣٩]، وجاء في توراتهم أنهم عبدوا صنمًا من نحاس على هيئة حية[١].

وإنَّنا اليوم نرى الهندوسَ بتقديسهم للبقرِ وجعلوا منها آلهةً لهم من دون الله، هم الورثةُ الحقيقيون لعباد عجل السامري زمن تِيهِ بني إسرائيل، وأنهم هم أولُ مَن اختار البقر إلهًا يعبد مِن دون الله ومَن جاء بعدهم لهم تبعٌ.

يذكر غوستاف لوبون: كان ذلك العجلُ هو رمزَ الرجولة، منتشرًا في جميع آسيا، وكان ذلك العجلُ من أصل كلداني، وكان بنو إسرائيل يعبدون العجولَ المعدنيةَ بعد خروجهم من مصر بطويل زمن، لارتوائهم من مبادئِ ما بين النهرين الدينية، وكان هذا هو الوجهَ المفضل الذي يرمزون به إلى يهوه[٢].

تؤكد توراة اليهود على صحة ما ذكرناه من أنهم عبدوا أنواعًا شتى من المعبودات، ففي زمن الملوك أخزيا بن آخاب ملكِ إسرائيل عَبَدَ البعلَ وسجد له[٣].

وعبدوا «البعليم والعشتاروت، وآلهة أرام، وآلهة صيدون، وآلهة مؤاب، وآلهة بني عمون... وتركوا الربَّ ولم يعبدوه»[٤].

كما جاء في الإصحاح الثامن من سفر القضاة: «وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الربَّ إلهَ آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا

---

(١) الملوك (١٨/ ٤).
(٢) انظر: اليهود في تاريخ الحضارات (ص ٥١).
(٣) الملوك الأول (٢٢/ ٥٣).
(٤) قضاة (١٠/ ٦).

وراء آلهةٍ أخرى من آلهة الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب» (١).

وفي زمن القضاة «عبدوا البعليم والسواري»(٢)، «وعبدوا عجلون ملك مؤاب ثماني عشرة سنة» (٣).

وهو ما ذكره المولى في كتابه على لسان نبيه إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٥] وبعل هنا الرب في لغة أهل اليمن، وهو صنم كانوا يعبدونه، وقيل: إنها امرأة كانوا يعبدونها كان إلياسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد دعا قومَه من بني إسرائيل إلى إفراد الله بالعبادة وأنكر عليهم عبادتهم.

وجاء في التوراة أنهم عبدوا كوكب الزهرة، كما جاء في سفر أشعياء: «أما أنتم الذين تركوا الربَّ، ونسوا جبل قدسي، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمرًا ممزوجة...»(٤).

وأكد ذلك غوستاف لوبون: وظلت عبادةُ الشمس والقمر والنجوم قائمةً، طويلَ زمنٍ لدى جميع أمم سورية، ولدى بني إسرائيل على الخصوص، وفي زمن حزقيال حوالَي أواخر أيام مملكة يهوذا، كان يمكن أن يرى –حتى في هيكل أورشليم– يهود كانوا يسجدون أمام الشمس مُوَلِّين وجوهَهم شطرَ الشرق (٥).

يقول المفسرون: إن السعد الأصغر: هو اسم للزهرة، والمذكورون في هذه الآية كانوا يقدمون ذبائح ويسكبون خمرًا، ثم يجلسون ويأكلون اللحمَ ويشربون الخمر إكرامًا للإلهين المذكورين (٦).

---

(١) قضاة (١١: ٢-١٧).
(٢) قضاة (٣/ ٧).
(٣) قضاة (٣/ ١٤).
(٤) إش (٦٥).
(٥) اليهود في تاريخ الحضارات (ص ٥٤).
(٦) انظر: شرح الأحكام الشرعية في التوراة، لنادي العطار (ص١٩١).

وهذا ما أكده القرآن الكريم، أن اليهود عبدوا صنمَ البعل، في قوله تعالى مخاطبًا لهم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

ويبدو أن القومَ ما مرُّوا بقومٍ لهم آلهةٌ أو ساكنوهم إلا وشاركوهم في شركهم!!

ولمَّا لم يجدوا صنمًا أو تمثالًا يعبدوه عبدوا الحجر والشجر: «قائلين للعود: أنت أبي، وللحجر: أنت ولدتني»[(١)].

إذًا لا غرابة من يهودَ أنهم وبعد مسخِ بعضهم، جرى من البعض الآخر أن يجعل لمن مسخ منهم شأنًا تعاظم في قلوبهم، فتحول الأمر إلى عبادتهم.

وأن ما نراه اليوم من تعظيم شأن الفأر الذي صوروه بفرط الذكاء وسرعة البديهة، من خلال برامج تخاطب الأطفال بخاصة، ما هو إلا ليغرسوا في وُجدانهم تعظيم شأن الفئران.

إذًا لمَّا شعر بعضُهم أن منهم أمةً مُسخت جرذان، وربما كانوا ينظرون إلى هذا النوع من المسخ في نظر المنحرفين منهم أنه مسخٌ إيجابي، وأن روحَهم انتقلت إلى الأحياء منهم، وهو الباعثُ على نوعٍ من الرِّضا والأمل، والأرواحُ التي تعينهم على محاسن العقائد، وتَرُدُّ عنهم كيدَ أعدائهم، فلهذا يَنظر بعضُهم بعين الرضا إلى الفئران ويجملونها بأعينِ الأجيال، وأن في ذلك إغاظةً لأعدائهم ممَّن ينظرون إلى الفئران بنظر التقزز.

## عقوبات ربانية أخرى استحقها بنو إسرائيل:

أمة تعقَّبها اللهُ تعالى بأنواعٍ من العقاب، وكان المسخُ نوعًا منها على ما اقترفوه من أنواع المعاصي، وكان من هذه العقوبات:

١- الصاعقة: لما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يَرَوا اللهَ جهرةً، أرسل الله عليهم صاعقةً

---

(١) إرميا (٢/ ٢٧).

من السماء أخذتهم بغتةً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

٢- التِّيهُ في سيناء: طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل وهم في سيناء أن يدخلوا الأرضَ المقدسة، فكان منهم العنادُ والرفضُ لأوامر نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٢].

فكانت عقوبةُ الله عليهم أن حرمهم الأرضَ المقدسةَ وبركاتِها، ولذةَ النصر على أعدائهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

٣- إلقاءُ العداوةِ والبغضاءِ بين اليهود: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

## من فوائد الحديث

١- سكُوتُ كَعْب عَن الرَّد على أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَلِيلٌ على تأدبه مع أبي هريرة وتورعه عن الجدال، وأن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن له اطلاعٌ على التوراة ولا غيرِها من كتب أهل الكتاب وأنه ليس من نَقَلة الإسرائيليات.

٢- قاله ظنًّا وحدسًا قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل لممسوخ نسلًا، فلما أوحي إليه علم أن الفأر ليس من نسل ما نُسخ. نقله عن القرطبي [١].

٣- حارب الإسلامُ كل ما يحفِّز مفهومَ الطوطمية، وسعى إلى سد الذرائع من خلال تحريمِ التصاوير والتماثيل والبناء على القبور، ومنها قبرُ النبيِّ ﷺ الذي قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا...**»[٢]، والتي كانت سببًا رئيسًا في اتخاذ أصحابها رموزًا تطورت مع الزمن آلهةً تُعبد من دون الله تعالى، كما حدث مع بعض الصالحين زمن نوح ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

(١) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٧/ ٥١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني في أحكام الجنائز (ص٢١٩): أخرجه أبو داود (١/ ٣١٩) وأحمد (٢/ ٣٦٧) بإسناد حسن، وهو على شرط مسلم، وهو صحيح مما له من طرق وشواهد.

# الحديث السادس والثلاثون

## اليهودُ أتباعُ الدَّجالِ آخرَ الزمانِ

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**»(١).

### مقدمة

مِن قدر الله تعالى أن جعلَ الدجَّالَ فتنةً لأمة محمد ﷺ، وهي أعظم فتنة للبشرية منذ أن خلق اللهُ الأرضَ وما عليها إلى قيام الساعة، استعاذ منه وحذَّر كلَّ أنبياء الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ**»(٢) رواه أحمد، وأما نبيُّنا محمدٌ ﷺ فقد حذَّر منه، ووصَفه وصفًا دقيقًا وبيَّن أفعالَه وتحركاتِه ومدةَ مُكْثِه في الأرض، وطبيعةَ أتباعه ونهايتَه مقتولًا بحربة على يد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بباب لُدٍّ في فلسطين.

### شرح الحديث

**قوله: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ»:** ويُسمَّى الدجالُ من الدجل، وهو الخلط؛ يقال: دجل: إذا خلط وموَّه، ودجَّال على وزن فعَّال، من أبنية المبالغة؛ أي: يكثر منه الكذب والتلبيس، وسُمي المسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، وقيل: لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها. يخرج آخر الزمان زمنَ المهدي ثم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدعي النبوة ثم الربوبية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٣)، وأبو داود (٤٧٥٦)، والترمذي (٢٢٣٤)، وقال: حسن غريب. وصححه ابن حبان (٦٧٧٨)، والحاكم (٨٦٢٩) ووافقه الذهبي.

## دجال اليهود في توراتهم:

جاء في التوراة أن حزقيال وصف الدجال بالنجِس والشرير: أيها النجِسُ الشرير، رئيسُ إسرائيل، الذي قد جاء يومَه في زمان إثم النهاية ٢٦ هكذا قال السيد الرب: انزع العمامة، ارفع التاج هذه لا تلك، ارفع الوضيعَ، وضعِ الرفيعَ، ٢٧ منقلبًا منقلبًا منقلبًا أجعله! هذا أيضًا لا يكون حتى يأتيَ الذي له الحكم فأعطيه إياه[١].

وُصف الدجالُ بأنه رئيسُ إسرائيل، وأنه نجِس وشرير وناشرٌ للشر، وقالبٌ لموازين العدل يَدعي النبوة والألوهية.

أمَّا حبقوق فيصف الدجالَ بقوله: «هو ذا منتفخة غير مستقيمةٍ نفسُه فيه، والبار بإيمانه يحيا ٥ وحقًّا إن الخمر غادرة، الرجل متكبِّرٌ لا يهدأ، الذي قد وسع نفسه كالهاوية، وهو كالموت فلا يشبع، بل يجمع إلى نفسه كلَّ الأمم، ويضم إلى نفسه جميع الشعوب»[٢].

وُصف الدجال بأنه عديمُ الإيمان يتعاظم أمرُه وعلوه ويكثرُ كفرُه، وانتشارُ الخمر في وقته وطغيانه وتنقلاته كثيرة.

## الدجال في إنجيل النصارى:

قال إرميا عن الدجال: «هو ذا كسحابٍ يصعد، وكزوبعة مركباتُه أسرعُ من النسور خيلُه، ويل لنا لأننا قد أخربنا ١٤ اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم تخلصي»[٣].

## مسيح اليهود آخر الزمان:

المسيح المخلص في تعبير اليهود هو «الماشيح»، هي مشتقة من الكلمة العبرية «مشح» ويقابلها بالعربي «مسح»، وهو المسح بالزيت المقدس في نظر اليهود.

---

(١) حزقيال (٢١: ٢٥-٢٧).
(٢) حبقوق (٢: ٤-٥).
(٣) سفر إرميا (٤: ١٣-١٨).

اليهود يؤمنون أن مخلِّصَهم من نسل داودَ سيخرج آخر الزمان، ويقضي على المسلمين والنصارى، وسيحكم العالمَ من القدس، وبعدها يعم السلامُ في الأرض تحت ظل حكمهم.

وأن المسيح سيظهر بعد «اليأجوج والمأجوج»، وأن جميع البشر سيدخلون الدِّينَ اليهودي عند ظهور المسيح.

ويرى البعضُ أن مدةَّ بقائه أربعون عامًا أو سبعون عامًا، والبعضُ الآخر أنه سيبقى مدةَ ثلاثة أجيال.

وأن خروجه إصلاح لخطأ الله تعالى- والعياذ بالله- أنْ أخرجَهم من الأرض المقدسة، والمسيح الذي سينتصر على العالم، سيعيد اليهود إلى الأرض التي خرجوا منها!

وبروتوكولات حكماء صهيون -التي يشكك البعض في نسبتها لليهود ولا أظن صحة تشكيكهم- هي نفسُها تؤكد المعاني التوراتية لمفهوم عودة المسيح آخر الزمان، كما جاء في البروتوكول الثالث: حينما يأتي أوانُ تتويج حاكِمِنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها: أن نستغل الغوغاء كي نحطمَ كلَّ شيء يثبت أنه يقف عقبةً في طريقنا.

## تدمير الأقصى سبب رئيس في تعجيل خروج مسيح اليهود:

ويرى بعض المتعصبين من اليهود ومن أبرزهم «يهوذا عتصبون» أن تدمير المسجد الأقصى هو السبيل الوحيد لقدوم المسيح، وسوف يُشعل حربًا بين اليهود والعرب؛ لهذا يعارض اليهود المتشددون السلامَ مع العرب، ومَن أحرق المسجد الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م وما قامت به حركة «غوش أمونيم» المتطرفة بتهمة التخطيط لهدم المسجد الأقصى، ومن جهود هؤلاء المتطرفين عمليةُ الاغتيال التي قُتل فيها رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق رابين عام ١٩٩٥م، وهذا بناء على فتاوى الحاخامات الذين يرون أن هذه الأعمال ستعجل قدوم المسيح!

ويرى اليهود أن هذه النبوءات هي إيذانٌ باقتراب معركة «هرمجدون» التي يعقبها خروج المسيح، وهي معركة دامية ستحدث بين اليهود المؤمنين والأشرار من المسلمين والنصارى، وفيها يتحقق النصرُ لليهود كما يزعمون، وسيكون موقعُ المعركة في سهل مجيدو شمال فلسطين بين مدينة الخليل والضفة الغربية.

والنصارى البروتستانت الذين يؤمنون بالعهدَين القديم والجديد، يؤمنون بنفس الاعتقاد، وأنهم سيخوضون معركة عظيمة فاصلة ونهائية!

هذه الخرافاتُ يعتقدها جُلُّ ساسة الولايات المتحدة الأمريكية، وما يصدر عنهم من سياسات وحروب في أغلبها عقيدة معركة هرمجدون الفاصلة، قال الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان) عام ١٩٨٠م: «إننا قد نكون من الجيل الذي سيشهد معركة هرمجدون»، وصرح خمس مرات باعتقاده بقرب حلول معركة (هرمجدون)، وقال (جيمي سواجرت): «كنت أتمنى أن أستطيعَ القولَ، أننا سنحصل على السلام. ولكني أومن بأن الهرمجدون قادمة، وسيُخاض غمارُها في وادي مجدون، أو في بابل، إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون، إن ذلك لن يُحقق شيئًا، فهناك أيامٌ سوداءُ تلوح في الأفق».

وفي اجتماع مع رؤساء الكنائس الأمريكية، أوضح فيه أن من واجب الولايات المتحدة أن تدعمَ تل أبيب لتبسط نفوذها على كلِّ فلسطين، تمهيدًا لعودة المسيح التي تبدأ بمعركة هرمجدون.

وتشير هَرْطَقات اليهودِ أن ظهورَ البقرةِ الحمراءِ وبناءِ الهيكل، كل ذلك يساعد على عودة المسيح.

وقال زعيم الأصوليين المسيحيين (جيري فلويل): «إن الهرمجدون حقيقةٌ، إنها حقيقةٌ مركبة، ولكن نشكر الرب أنها ستكون المنازلة النهائية»، لم يعلم هؤلاء الحمقى أنه

بانتظار دجالهم الذي سيلقي بهم في مَهاوِي الردى في معركة حقًّا مفصلية وتاريخية ونهائية، لكن الإبادة فيها لهم ومَن اتبعهم وسار على دربهم.

## المسيح المنتظر عند اليهود:

يعتقد اليهود أنه الملك الذي سيخرج بإرادة إلهيةٍ آخرَ الزمان؛ وهو من نسل نبي الله داودَ، ينقذ اليهودَ ويُحقق لهم الوعود الإلهية: (العودة – الاختيار – الخلاص) ويَحكم العالمَ من القدس، ويَسود في زمانه الخيرُ والبركة والأمن والأمان، وأن وجودَهم في المنفى هو عقوبةٌ إلهية، ولا تكون العودة إلى الأرض المقدسة إلا زمنَ المسيح المنتظر الذي يخرج آخر الزمان، ويعتقد الكثيرُ منهم أن زماننا هو زمان خروج المسيح، وبقي هذا الاعتقاد سائدًا في اليهود إلى أن ظهرت فكرةُ الصهيونية التي عملت على انقلاب عقدي وفكري على اليهودية التقليدية، وعملت على تجاوز مبدأ خروج المخلص آخر الزمان وما سيأتي به، وأنَّ على الحركة الصهيونية العمل على تعجيل خروج المسيح، والعودة إلى أرض الميعاد، وغيرِ ذلك من متطلبات خروج المسيح، وهي محاولة لاستباق الأحداث التوراتية، وبعبارة أوضح هي محاولة للضغط على ربِّ اليهود وَلَيِّ ذراعه؛ لتعجيل الأحداث المتعلقة بخلاصهم آخر الزمان!

**قوله: «مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ»**: وفي رواية عن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، يَرْوِيهِ قَالَ: «**عَامَّةُ مَنْ يَتَّبِعُ الدَّجَّالَ يَهُودُ أَصْبَهَانَ**» (١).

**أَصْبَهَانُ**: أو أصفهان هما واحد، وسط إيران على بعد نحو ٣٤٠ كيلومترًا جنوبي العاصمة طهران كانت تسمى جي ثم اليهودية، فُتِحَتْ زمن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) ذكره نعيم بن حماد في الفتن مقطوعًا معلقًا (١٥٣١).

وكان قديمًا في أصبهان أو أصفهان «حي الْيَهُودِيَّة» مِنْ جُمْلَةِ أحياء أَصْبَهَانَ، وسُمِّيَتِ بالْيَهُودِيَّةَ لِأَنَّ بعض سكانها كانوا من اليهود، ولا يُفهم أن كلَّ أهل أصبهان من اليهود.

## أماكن أخرى يمر عليها الدجال:

عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «**أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**» (١).

وفي روايةٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَهْبِطُ الدَّجَّالُ خُوزَ وَكَرْمَانَ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، وَيَلْبَسُونَ الطَّيَالِسَةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**» (٢) أي: أن وجوههم عريضة ووجناتهم مرتفعة.

يتضح مما ورد من رواياتٍ أنه يمر على أماكنَ حددتها السُّنَّة، لكن ليس على سبيل الحصر، إنما على سبيل المثال، وإلا فإن الدجالَ سيمرُّ على جميع الأرض، ولا يترك ناحيةً إلا وقد دخلها إلا مكة والمدينة والمساجدَ الأربع التي ذكرها النبي ﷺ فقال: «... **لَا يَقْرَبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الحَرَامِ، وَمَسْجِدَ المَدِينَةِ، وَمَسْجِدَ الطُّورِ، وَمَسْجِدَ الأَقْصَى**» (٣).

وأما البلاد التي لن يدخلها الدجالُ قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٢)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم (٨٦٠٨) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٥٣) وعنده: فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، واللفظ لأبي يعلى (٥٩٧٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٥): رجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٤/ ٣٧٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧١٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٤٣): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**قوله: سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ:** وفي رواية: «...**عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ وَسَيْفٌ مُحَلًّى...**»[(١)].

**الطيلسان / السيجان / الطاليت:**

والطَّيالِسة: جمع طيلسان أعجميٌّ معرَّب، ويُعرف اليوم بلغة اليهود «طاليت» وشاحٌ أبيضُ من القماش المستطيل الصوفِ أو القطنِ أو الحريرِ، له أربعة أهداب حجمه يُراوح حوالي من ١٢٠ × ٤٥ إلى ٢٠٠ × ١٢٠ سم، عادة ما يكون لونُه أبيضَ فاتحًا أو أبيض مصفرًّا، عليه شريطٌ أسودُ أو أزرقُ.

السِّيجانُ: الطيالسة، واحدها ساجُن قال في «النهاية»: السِّيجان جمع ساجٍ وهو الطَّيْلَسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان المُقَوَّر يُنسج كذلك.

ورد في التوراة ذكرُه على النحو التالي: «ويصنعون لهم أهدابًا في أطراف ثيابهم على مدار أجيالهم»[(٢)]، وهو من لباسِ الصلاةِ وعلامةٌ على التديُّن عند اليهود، يُلبس على الكتفَين والظهرِ خالٍ من التفصيل والخياطة، يرتديه وجوبًا اليهودي المتدينُ عند الصلاة، ويرتديه اليهود الأرثوذكس أو الحَريديم في حياتهم بشكل يومي.

كان في الماضي يرتديه المتزوجون من الرجال فقط، واليوم يرتديه المصلون من الفتيان الذي يَصلون إلى سن الثالثة عشر، وهو من أهم طقوس الصلاة في شريعة اليهود.

وضمن محاولات اليهود للسيطرة على المسجد الأقصى وإظهار طقوسهم فيه ارتداء الطاليت في المسجد الأقصى وبشكل مستفزٍ ودائمٍ، يُشكل تأكيدًا وخطرًا على المسجد الأقصى، بعد محاولات فرضِ الأمرِ الواقعِ من تقسيم المسجد الأقصى زمانيًّا ومكانيًّا بين اليهود والمسلمين، والاعتبار المعنوي من التعامل مع المسجد الأقصى وكأن الهيكلَ

---

(١) أخرجه أحمد (١٤١١٢)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٦٧): تفرد به أحمد، وإسناده جيد.
(٢) التوراة (العدد: ١٥/ ٣٨).

اليهوديَّ مبنيٌّ مكانه، بدأ اليهود يمارسون طقوسَهم الخاصَّةَ بالهيكل كاملة تقريبًا، وأبرزُها لبس الطاليت وتأدية الصلوات اليهودية، متوشحين الطاليت في ساحات المسجد الأقصى.

وتجدر الإشارةُ التي توضح مزيدًا من أهمية الطاليت وقداسته في الشريعة اليهودية المتعلقة في أحكام طهارة الطاليت الرجالي، أنه لا ينبغي أن تلمسه النساء، ولو حصل وفعلت إحداهن، فلا يجزئ غسله، ويلزم استبداله؛ لاعتقادهم نجاسة المرأة في الديانة اليهودية!

## طاقية اليهود:

وهي من أغطية الرأس المعتمدة في الشريعة اليهودية، الطاقية المقصودة هي القلنسوة التي يلبسها اليهودي على رأسه، حيث يلبسها المتدينون اليهود الأرثوذكس على الدوام في حياتهم اليومية كلها، ولا يلبس اليهود الإصلاحيون الطاقية أثناء الصلاة، بينما يصر اليهود الأرثوذكس على ذلك، أما اليهود المحافظون فيلبسونها من قبيل الاهتمام بالفلكلور، ولا يوجد أية إشارة في التوراة أو التلمود إلى ضرورة تغطية الرأس أثناء الصلاة.

وفي ظل التقاليد التلمودية: لا يمشي الحكماءُ أربعَ خطواتٍ مكشوفي الرأسِ، ويعتبرون تغطية الرأس دليلًا على التواضع والاحتشام، وتعريتُه تجسيدًا للوثنية[١]، ويصر بعض اليهود على ضرورة لبس تلك الطاقية ليميز اليهودي عن غيره من عامة الناس، بل يرفض البعضُ خلعَها بتاتًا حتى مع اللباس العسكري أو غيره.

كان الكهنة يغطون رؤوسهم بعمامة، ويعتبر خلعها دليلًا على عدم الاحترام، وكانت النساء يغطين رؤوسهن للعفة، ويحظر الحسيديم (الأتقياء) حسر الرأس في أوقات الصلوات، وفي كتاب (الشولحان عاورخ) – المائدة المنضودة- شرع بأنه يجب بصفة عامَّةٍ أن يغطى الرأس في كل الأوقات كسلوكٍ يَنُمُّ عن الورع [٢].

---

(١) عادات وتقاليد اليهود تأليف هارفي لوتسك ص؟.

(٢) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص٨٧).

وبحسب حديث النبي ﷺ أن أتباع الدجال هم اليهود ذَوو النزعة الدينية الذين لم ينصهروا في الشعوب الذين عاشوا بينهم، وتمسَّكوا بطقوسهم ومنها الطَّيلسان، وهو علامةٌ بارزةٌ على المصلين منهم، وانتظروا دجَّالهم، وساروا خلفَه، والتمسوا خطواتِه ومعاركَه مع خصومه. والله تعالى أعلى وأعلم.

## الدجال في عقيدة اليهود:

يترقَّب اليهودُ خروجَ الدَّجال وَفْقَ مواصفاتٍ وظروف، حيث تتَّسِم أيامُ خروجه بالنصر على الأعداء، ويعُمُّ الخيرُ والسلام في الأرض، بعد حياةٍ بائسة لهم، وظلم شديد واقع عليهم يكون خروجه أو ما يعبرون عنه «آلام مجيء المخلص ماشيح» ومن نسل الملك داودَ، ويقيمهم بأحكام التوراة وسيكون مركزه القدس، ومنها سيحكمون العالم، وسيجتمع يهود العالم في القدس.

## أحوال الدجال مع الناس:

١- **حال أهل الإيمان زمن خروج الدجال**: عن أُمّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**» قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**هُمْ قَلِيلٌ**» (١).

٢- **مدةٌ بقائِه في الأرض**: قال النبي ﷺ: «**يَمْكُثُ الدَّجَّالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ**»(٢).

٣- **كيف يتنقَّل الدجالُ في الأرض**: عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٥٧١)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٦٩)، وقال الهيثمي (٧/ ٣٤٧): رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب، ولا يحتمل مخالفته للأحاديث الصحيحة: أنه يلبث في الأرض أربعين يومًا. وفي هذا أربعين سنة. وبقية رجاله ثقات.

«وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا»(١).

٤- **كيف يعرف الناسُ الدجالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»(٣).

٥- **من النساء أكثر أتباع الدجال:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبخَةِ مَجْرَى قَنَاةٍ، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمَتِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ...» (٤).

٦- **من يقتل الدجال:** قال رسول الله ﷺ «إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى الشَّامِ مَدِينَةٍ بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا» (٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٩٥٤)، والحاكم (٨٦١٣)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣) واللفظ له من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد(٥٣٥٣)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠٧)، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص٨٨): وإسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٧٢): تفرد به أحمد من هذا الوجه.

(٥) أخرجه أحمد (٢٤٤٦٧)، وابن حبان (٦٧٨٣) وصححه، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٨): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة.

## من فوائد الحديث

١- أصبهانُ محطةٌ ومصدرٌ من مصادر دعمِ وتزويدِ الدَّجال بالجُند والأتباع العُميان.

٢- اليهودُ هم الأتباعُ الرئيسيون للدجال؛ لأنهم على موعِد مع مخلِّصٍ لهم -زعموا- ينتظرونه في آخر الزمان.

٣- نهايةُ مطافِ الدجال ستكون في فلسطين مدينة الله على يد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حينها ستكون لحظةُ الصدمة وخيبةُ الأمل، وتَبَدُّدُ أحلامهم بحربة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مغروسةً في قلب الدجال تُرْديه ميتًا بين أتباعه، حينها لا نصر على «الجويم» ولا تمكين لهم في الأرض كما زعموا في توراتهم المزورة.

٤- ومن بعد نهاية دجالهم في فلسطين تكون نهايتهم على إثره فيها، فيكون خلاصُهم الذي ظنوه وانتظروه خلاصَ الناس والأرض منهم.

٥- دل الحديث على أن دولة يهودَ لن تستمر إلى قيام الساعة، وأنها زائلة لا محالة؛ لأن خروجَ الدَّجال وإتيانه فلسطين محاولةٌ منه ومن أتباعه إعادة مجدٍ لهم فيها.

٦- عقيدةُ المسيح المنتظر راسخةٌ في وُجْدان الجماعات اليهودية، وهي من أهم العقائد عندهم، وكثير منهم يسعى بطريقته لتعجيل قدومه.

٧- تدميرُ المسجد الأقصى وبناءُ هيكلهم المزعوم على أنقاضه، هو السبيل الوحيد الذي يسرع في خروج مسيح اليهود كما يظنون.



# الحديث السابع والثلاثون

## الحربُ الكونيةُ آخرَ الزَّمانِ ضد اليهودِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود»[1].

### مقدمة

في آخر الزمان بين المسلمين واليهود معركةٌ مصيرية فاصلةٌ، يجتثُّ بها المسلمون اليهودَ، يموت قائدهم وتُستأصل شَأْفَتُهم، وتَسقط رايتُهم وتنتهي دولتُهم إلى الأبد، حينها سيخلو العالم من اليهود وأعوانهم، وسينعم العالم والبشرية ردحًا من الزمن بالهدوء.

### شرح الحديث

**قوله: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُود»**: قبل قيام الساعة، قِيلَ: هَذَا يَكُونُ بَعْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ حِينَ يُقَاتِلُ الْمُسْلِمُونَ مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْيَهُودِ[2].

**قوله: «فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُون»**: يكون للمسلمين فيها غلبةٌ، وتقع مقتلةٌ عظيمة في اليهود، يضطرون بسببها إلى الهروب واللجوء إلى ما يواريهم عن أعين جند المسلمين حينها، وهذه الحرب حرب استئصال لهذا الصنف من البشر، الذي كرهه كل مَوجودات

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري (٨/ ٣٤٠٩).

الأرض من شجر وحجر ودواب كما سيأتي معنا.

**قوله: حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ:**

وفي رواية: عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**فلا يبقى شيءٌ مما خَلَقَ اللهُ يَتَوارَى بِهِ يَهودِيٌّ إِلَّا أَنطَقَ اللهُ ذلكَ الشَّيءَ، لا حَجَرَ، ولا شَجَرَ، ولا حائِطَ، ولا دابَّةً**» (١).

وفي رواية من حديث حذيفة بن أسيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**المدر**» (٢)، يحاول أن يستتر من أعين المسلمين لكن دون جدوى، فَيَشي به الحجرُ والشجر والدواب، وتنادي المسلم لتدل على مكان اختباء اليهودي، قال القاضي: هذا -والله أعلم -إنما يكون بعد قتل الدجال لأنَّ اليهود أكثرُ أتباعه. (٣).

**قوله: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ:** وفي رواية عن ابن عمر: «**هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ**» (٤).

وفي رواية: «**يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ يَخْتَبِئُ وَرَائِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ**» (٥).

وفي رواية: «**يَا مُؤْمِنُ، هَذَا وَرَائِي يَهُودِيٌّ، فَاقْتُلْهُ**» (٦).

وفي رواية عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ: «**فَيَقُولُ الْحَجَرُ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا مَا تَبْغِي**»(٧).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وضعفه الألباني في تخريج المشكاة (٦٠٤٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٨٦١٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) الكوكب الوهَّاج (٢٦/ ١٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٥٣٥٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٧): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٨٥٧)، وصححه شعيب على شرط مسلم.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٠٩٩)

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٧): رواه الطبراني والبزار باختصار، وإسناده ضعيف وفيه من لم أعرفهم. وكل الألفاظ الواردة المراد منها هو اختفاء اليهودي عن أعين جند المسلمين.

**قوله: «هذا»:** أي تنبَّه، هنا يُوجد يهودي، وقول هذه الأشياء من شجر وحجر ودواب قولًا حقيقيًّا بصوت يفهمه المسلم، «أي: بلسانٍ قالَهُ بأن يُقدِّره الله على النطق»[١].

**قوله: «فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»:** أي هلم إلى قتله ونيل هذا الشرف.

## توراة اليهود تعلن غضب الرب عليهم:

إن هذا الغضب الكوني الذي أعلنه البشر والحجر والشجر والدواب ضد اليهود، أعلنت التوراةُ التي كتبوها بأيديهم انضمامَها إلى هذا الغضب، وتمرُّدُها على شعب سَئِمَت من سفيه أفعاله المكروهة، فكما يروون على لسان داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد»[٢].

وكتبوا على لسان ربِّهم: «نقض بيتُ إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم؛ لذلك هكذا قال الرب: هأنذا جالب عليهم شرًّا لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إليَّ فلا أسمع لهم»[٣].

إذًا طالما أن كتابهم ونقلًا عن ربهم رفضهم ورفع الحصانة عنهم وتركهم لشأنهم، فلا غَضاضَةَ ولا غرابةَ في أن ينقلب عليهم الكون كلُّه آخرَ الزمان، يطاردهم في كلِّ ناحية.

**قوله: إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ: «إِلَّا»:** استثناء، شجر الغرقد من شجر العضاه يعني: شجرَ الشوك ليس له ساقٌ يصل ارتفاعه إلى مترين تقريبًا، ينبت في الصحراء ومناطق المياه المالحة، ويُستخرج منه الملحُ وبعضُ العقاقير الطبية، ويستهلك الكثيرَ من المياه، يمتاز بلونه الأخضر طوال العام، له ثمر يشبه طعم الطماطم يأكله الإنسان والحيوان، يستفاد من شجره كحطب وسياج، وأوراقه يأكله الجمال والماعز، وحجمه الكبير وطبيعة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد البكري الصديقي الشافعي (٨/ ٦٤٤).

(٢) مزامير (١/ ٧٤). (٣) إرميا (١١: ١٠-١١).

تكوينه يصلح لأن يكون مصدات للرياح والرمال، وكون أن اليهود يختبؤون عنده آخر الزمان، هذا لا يعني أنه لا يجوز استغلالُ منافع هذا النوع من الشجر، كما أني لم أجد دراسةً أو خبرًا معتمَدًا يؤكد ما يتناقله البعض أن اليهود يكثرون من زراعته ليختبئوا خلفه آخر الزمان، ولا يعني أن هذا النوع من الشجر غير موجود في فلسطين حاليًا.

**قوله: «فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود»**: أضيف إليهم.

وفي التوراة جاء ذكر الغرقد كونه شجرًا له مكانته بين الشجر، كما جاء في سفر القضاة[١]: «يُذكر شجرُ العوسج وحوارٌ بين الأشجار، وأن جميع الأشجار رفضت أن تكون ملِكًا على الأشجار، حتى قالت الأشجار للعوسج: تعال أنت واملك علينا، فقال العوسج: إن كنتم بالحقِّ تمسحونني عليكم ملِكًا تعالوا واحتموا تحت ظلي، وإلا فستخرج عليكم نار من العوسج فتحرق أَرز لبنان».

## من فوائد الحديث

١- هذا الحديثُ من دلائل نبوة النبي ﷺ أن الحجر والشجر والدواب ستنطق آخر الزمان.

٢- كلُّ الكون كرِه اليهودَ وأفعالَهم لخروجهم عن منهج الله تعالى؛ فَوَشى بهم الحجرُ والشجر والدواب.

٣- حربٌ عالميةٌ آخر الزمان سيشارك فيها كلُّ موجودات الكون من جمادات وحيوانات ونباتات عدا شجر الغرقد، بمجموعها شكلت حلفًا وإجماعًا عالميًّا لا «فيتو»[٢] فيه ضد اليهود.

---

(١) إصحاح (٩ إلى ١٤).

(٢) حق النقض المعروف بـ حق الفيتو (وتعني في اللغة الإنجليزية)، حق النقض، هو حق الاعتراض على أي قرار يقدم لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة دون إبداء أسباب، ويمنح للأعضاء الخمس دائمي العضوية في مجلس الأمن وهم: (الصين وفرنسا وروسيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة)، الدول الدائمة العضوية.

٤- اختباءُ اليهود دليلٌ على بعثرتهم وسقوط رايتهم وموت قائدهم وفقدان مَنَعَتِهم.

٥- بعد هذه المعركةِ محسومةِ النتائج لصالح المسلمين سينعم العالم، وسيكون شعارُه ولسانُ حاله «العالم بلا يهود».

٦- الموجوداتُ التي ستنادي المسلم وتفضح سترَ اليهود سيلهمها الله بمناداة المسلم الملتزمِ بدينه فقط، ولا قيمة لغيرهم لنيل شرف النصر في هذه المعركة التاريخية الفاصلة.

٧- ولعلَّ الحكمةَ من اختباء اليهودِ وعدمِ إنطاق الغرقد أن الله يريد من المؤمن السعيَ الدائمَ وبذلَ الجهد ومضاعفةَ الأجر وعدمَ الاتكال المطلق على الغير.

# الحديث الثامن والثلاثون

## اليهودُ يعذَّبونَ في قُبورِهِم

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَد وَجَبَت الشَّمسُ، فَسَمِعَ صَوتًا، فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[1].

### مقدمة

اليهودُ يؤمنون بالبعثِ والنشور والساعة وبعذاب القبر وعذاب الآخرة، لكنهم لا يؤمنون بخلودهم في نار جهنمَّ إلا بضعةَ أيامٍ، وأمَّا اللَّبْثُ الدائم في النار فهو لغيرهم على حد زعمهم.

### شرح الحديث

**قوله: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَد وَجَبَت الشَّمسُ»**: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من الْمَدِينَة إِلَى خَارِجهَا بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قال: وَجَبَتِ الشَّمْسُ أَيْ سَقَطَتْ، وَالْمُرَادُ غُرُوبُهَا.

**قوله: «فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»**: «فسمع صوتًا» أي: صوتَ اليهود المعذَّبين، ووضَّح ذلك في رواية الطبراني.

**قوله: «هَذَا يَهُودُ»**: يَعْنِي صَوْتَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ.

قال الحافظُ ابن حجر: «قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ سَمِعَ صَوْتَ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، أَوْ صَوْتَ الْيَهُودِ الْمُعَذَّبِينَ، أَوْ صوت وَقع العَذَاب»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

(٢) فتح الباري (٣/ ٢٤١).

أو ربما كان سماعُ النبي ﷺ على سبيل المعجزة، وأن اللهَ أسمعه شيئًا عمَّا في حياة البَرْزَخ.

وفي روايةٍ عند الطَّبَرَانِيِّ: خَرَجتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَمَعِي كُوزٌ مِنْ مَاءٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ حَتَّى جَاءَ فَوَضَّأْتُهُ، فَقَالَ: «**أَتَسْمَعُ مَا أسمعُ؟**»؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أسمعُ أَصْوَاتَ الْيَهُودِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ**»(١).

وروى أحمدُ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسولُ الله ﷺ في نخلٍ لأبي طلحةَ يبرز لحاجته، قال: وبلال يمشي وراءه، يكرم نبيَّ الله ﷺ أن يمشي إلى جنبه، فمر نبيُّ الله ﷺ بقبر فقام حتى تمَّ إليه بلال فقال: «**وَيْحَكَ يَا بِلَالُ هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**» قال: ما أسمع شيئًا؛ قال: «**صَاحِبُ الْقَبْرِ يُعَذَّبُ**» فسأل عنه فوجده يهوديًّا(٢).

قالت عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنمَّا مر رسول الله ﷺ على يهوديةٍ يبكي عليها أهلها، فقال: «**إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا**»(٣).

وجاء في كتاب الزُّهْد حَدثنَا وَكِيع عَن الْأَعْمَش عَن شَقِيق عَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: دخلت على يَهُودِيَّة فَذكرَتْ عَذَاب الْقَبْر، فكذَّبْتُها فَدخل النَّبِيُّ ﷺ عليَّ فَذكرْتُ ذَلِك لَهُ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّهُم ليعذَّبونَ فِي قُبُورهم، حَتَّى تسمعَ الْبَهَائِمُ أَصْوَاتَهم**»(٤).

قال الإمامُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ بَعْضُ أهلِ الْعلم: وَلِهَذَا السَّبَب يذهب النَّاس بدوابهم إِذا مغلت(٥) إِلَى قُبُور الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ، كالإسماعيلية والنصيرية والقرامطة

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٢٠)، وأصله في الصحيحين، وتقدم.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٥٣)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٩٤).

(٣) أخرجه الْبُخَارِيُّ (١٢٨٩)، ومسلم (٩٣٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٥٧٠٦)، وإسحاق في المسند (١٤١٦)، وهناد في الزهد (٣٤٧)، وصححه شعيب على شرطهما. ونحوُه فِي صَحِيح ابْن حبَّان عَن أم مُبشر.

(٥) المغل: مغص يصيب الدواب إذا أكلت التراب مع العلف.

من بني عبيد، وَغَيرهم الَّذين بِأَرْض مصر وَالشَّام، فَإِن أَصْحَاب الْخَيل يقصدون قُبُورهم لذَلِك كَمَا يقصدون قُبُور الْيَهُود وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَإِذا سَمِعت الْخَيل عَذَاب الْقَبْر أحدث لَهَا ذَلِك فَزعًا وحرارة تذْهب بالمغل» (١).

ذكر الطحاويُّ معقبًا على هَذَا الْحَدِيثِ: «أَنَّ بَنِي آدَمَ قَدْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَصْوَاتَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ،...»، وأردف قائلًا: «أَنَّهُ قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ الَّتِي سَمِعُوهَا كَانَ بَعْدَ دُعَاءٍ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُسْمِعَهُمْ إِيَّاهَا، بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَا أسمعُوهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَصْوَاتُ الْيَهُودِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا أَصْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ الْمُعَذَّبِينَ فِي قُبُورِهِمْ»(٢).

## عذاب القبر على اليهود وغيرهم:

لم يقتصر عذابُ القبر على اليهود فقط، بل هو واقعٌ عليهم وعلى كلِّ مَن عصى الله تعالى، حتى لو كانوا من المسلمين، وأن أصواتَ المعذَّبين تسمعها دواب الأرض كما جاء الأثر عن عائشة أم المؤمنين قالت: دخلَتْ عليَّ عجوزتانِ من عُجُزِ يَهودِ المدينةِ، فقالتا: إنَّ أَهْلَ القبورِ يعذَّبونَ في قبورِهِم، فَكَذَّبتُهُما ولم أنعَم أن أصدِّقَهُما، فخَرجتا ودخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ عَجوزتينِ من عُجزِ يَهودِ المدينةِ قالَتا: إنَّ أَهْلَ القبورِ يعذَّبونَ في قبورِهِم، قالَ: «**صدَقتا إنَّهم يعذَّبونَ عذابًا تسمعُهُ البَهائمُ كلُّها، فما رأيتُهُ صلَّى صلاةً إلَّا تعوَّذَ مِن عذابِ القبرِ**» (٣).

قال الشوكاني: «وأهلُ الكتاب إلى عصرنا هذا يقرون بالمعاد والجنة والنار، والحساب والعقاب، والنعيم والثواب، ولا ينكر ذلك منهم منكر»(٤).

---

(١) الروح (ص٥٣). (٢) مشكل الآثار (١٣/ ٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦). (٤) إرشاد الثقات (ص ٢٤).

وجاء في أخبار الناس وتجاربهم وشاهداتهم الحسية أنْ شاهدوا ذلك بأعينهم، كما نقل عن عبد الْحق الأشبيلي: «حَدَّثَني الْفَقِيه أَبُو الحكم برخان وَكَانَ من أهل الْعلم وَالْعَمَل: أَنهم دَفنُوا مَيتًا بقريتهم فِي شرف أشبيلية، فَلَمَّا فرغوا من دَفنه قعدوا نَاحيَة يتحدثون ودابة ترعى قَرِيبًا مِنْهُم، فَإِذا بالدابة قد أَقبلت مسرعة إِلَى الْقَبْر، فَجعلت أذنها عَلَيْهِ كَأَنَّهَا تسمع، ثمَّ ولت فارة ثمَّ عَادَتْ إِلَى الْقَبْر، فَجعلت أذنها عَلَيْهِ كَأَنَّهَا تسمع، ثمَّ ولَّت فارَّة، فعلت ذَلِك مرَّةً بعد أُخْرَى»[1].

## أسفار اليهود لم تولِ عناية في أحوال الآخرة:

مع إيمان اليهود باليوم الآخر لكن لا نجد في دينهم ما يروي الغليلَ من نصوص التوراة خاصة الأسفار الخمسة الأولى شيئًا ذا بالٍ عن الخلود والجنة والنار، وأن ما ذُكر في هذا الشأن قليلٌ جدًّا، حتى إنك تشعر من جملة أقوالهم في الجزاء هو جزاء الدنيا وليس الآخرة.

## اليهود ينكرون خلودهم في النار:

مع اعتقادِ اليهودِ بالجنة والنار إلا أن الخلودَ في النار ليس لهم بل لغيرهم، وأنَّ لَبْثَهم فيها يكون قليلًا ثم يخرجون منها، وذكرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما عليه اليهود من اعتقاد قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠- ٨١].

القائل هنا هم اليهودُ إنَّ النارَ لن تصيبَهم إلا أيامًا قليلةً ثم يَعْقُبَه النعيمُ، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهدٌ: كانت اليهودُ يقولون: هذه الدنيا سبعةُ آلاف سنةٍ، وإنَّما نُعذب بكل ألف

(١) الروح، لابن قيم الجوزية (ص ٥٣).

سنة يومًا واحدًا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يومًا التي عَبد فيها آباؤهم العجلَ، وقال الحسن وأبو العالية: «قالت اليهودُ: إنَّ ربنا عَتَبَ علينا في أمرنا، فأقسم ليُعذبنا أربعين يومًا فلن تمسنا النار إلا أربعين يومًا تَحِلَّةَ القسم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ تكذيبًا لهم:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ألفُ استفهامٍ دخلت على ألف الوصل، ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ موثقًا أن لا يعذبكم إلا هذه المدةَ ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ ووعدَه، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عهدًا بالتوحيد، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] يعني: قوله لا إله إلا الله، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ وبل وبلى: حرفا استدراك ومعناهما نفي الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني الشرك ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع، والإحاطةُ: الإحداقُ بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشركُ يموت عليه، وقيل: السيئةُ الكبيرةُ. والإحاطةُ به أن يصر عليها فيموت غير تائب[1].

## عقيدة اليهود قائمة على تقديس ذاتهم:

تمادى اليهود في غرورهم وتعالَوا على البشر حتى عذاب الله لهم جعلوه في غيرهم؛ لأنهم وصفوا أنفسهم بشعب الله المختار والشعب المقدس، كما زوَّر وحرَّف كاتبو التوراة ونشأ على ذلك الأجيال التوراتية عبر الأزمان دونما رادع من كلام الله.

وقد زعم اليهودُ والنصارى محبةَ الله لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ

(١) انظر: تفسير البغوي للآيات (١ / ١١٦).

﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

قالوا ذلك غرورًا وتزكيةً لأنفسهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] وزادوا في تزكيةِ أنفسهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۚ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] قالوا ذلك تزكيةً لأنفسهم وتشريفًا لها، فكان ردُّ الله عليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

قال السُّدِّي: «نزلت في اليهود، قالوا: إنا نُعَلِّم أبناءَنا التوراةَ صغارًا فلا تكون لهم ذنوبٌ، وذنوبنُا مثلُ ذنوبِ أبنائنا، ما عملنا بالنهار كُفِّر عنا بالليل»(١).

إنَّ هذه المضامين والاعتقاداتِ التوراتيةَ التي نشأت عليها الأجيالُ اليهوديةُ منذ أنْ حرَّفوا توراتَهم إلى يومنا هذا الذين نعيش فيه، نلمس أثرَ التربية التوراتية المتغطرسة التي تعالت على كلِّ شيءٍ حتى على خالقها والعياذ بالله.

## من معجزات الرسول القدرة على سماع أصوات المعذَّبين في القبور:

قد أعطى اللهُ رسولَه القدرةَ على سماع المعذَّبين في قبورهم، ففي الحديث الذي يرويه مسلمٌ في صحيحه عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلةٍ له، ونحن معه، إذْ حادت به، فكادت تُلقيه، وإذا أَقْبُر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ**

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٧/ ١٢٥).

**اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»** [١]، أي: لو كُشف للناس أهوالُ أهلِ القبورِ لَمَا دفنوا موتاهم وهاموا على وجوههم.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وفيه أن الرسول ﷺ مرَّ بقبرين-، فقال: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ...**» [٢].

## من فوائد الحديث

١- اليهودُ مكلفون بشريعةِ محمدٍ ﷺ، وعدمُ الإيمانِ به ﷺ سبب لعذابِ القبر والتخليدِ في النار.

٢- الحديثُ دليلٌ على إثباتِ عذاب القبر الّذي أنكرته المعتزلةُ ومَن وافقهم وأثبته أهلُ السُّنَّة.

٣- فيه دليلٌ على أن اليهود يُعذبون في قبورهم قبلَ يوم القيامة، والنبي ﷺ في حياته سمع صوتهم، وربما أسمعه غيرَه وهم يعذبون في قبورهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

# الحديث التاسع والثلاثون

## اليهودُ من أهلِ النَّارِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

### مقدمة

كافرٌ كلُّ مَن لم يُؤمن بما جاء به محمدٌ ﷺ لا مجاملةَ ولا مُوَارَبَة في ذلك ولا مداهنة على ذلك، شريعةُ الله تعلو ولا يُعلى عليها، ولا مكان في بلاد المسلمين لغير شرع الله وكلُّ ما سواه باطلٌ، ومهما زينوا ونَمَّقوا الباطلَ وعلا شأنُه فهو إلى زوال ومصيره النار.

### شرح الحديث

**قوله: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ:** هو قسمٌ بالله تعالى، فإنه سبحانه الذي بيده كلُّ نفسٍ.

**قوله: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»:**

**قوله: «لَا يَسْمَعُ بِي»** أي: بمَبْعَثي أو رسالتي أو نبوتي، سماعًا حقيقيًّا بأن به الأمر وقامت به الحجة.

**قوله: (هذه الأمة):** كلُّ مَن كان في زمانه وبعد مبعثه، مِن عرب وعجم إنس وجن، وكلُّ مَن سيجيئ مِن بعده إلى يوم القيامة لأنه خاتمٌ للأنبياء والمرسلين، والمقصودُ بـ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

«**الأمة**»: أمَّة الدعوة من غير المسلمين، كما أخبر الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ**» (١)، وفي رواية: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عامَّةً**» (٢)، لا أمَّة الإجابة ممَّن آمنوا بمحمد ﷺ، وتأتي كلمة الأمة لتدل على الواحد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، وتأتي لتدل على الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

**قوله: «يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ»**: خصَّهما بالذكر وغيرُهم لهم تبعٌ لأنَّهم أهلُ كتاب، وذكر اليهودَ والنصارى تنبيهًا لمن سِواهما، ولأن في كتب أهل الكتاب جاء ذكر محمد ﷺ ففي حقِّهم التحذيرُ أشدُّ وأخطرُ والحجةُ أظهرُ، ولأنهم أشدُّ عداوةً لمحمد ﷺ ودعوتِه، وفي حقهم قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

قال الإمامُ النووي في شرح الحديث: «فيه نسْخ الملل كلِّها برسالة نبينا محمد ﷺ، وفي مفهومه دلالةٌ على أن مَن لم تبلغه دعوةُ الإسلامِ فهو معذورٌ... وإنما ذكر اليهودَ والنصارى تنبيهًا على مَن سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتابٌ، فإذا كان هذا شأنَهم مع أنَّ لهم كتابًا فغيرُهم ممَّن لا كتابَ له أَوْلى» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، واللفظ لأحمد (١٤٢٦٤) بسند على شرطهما من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) شرح صحيح مسلم، (٢/ ١٨٨).

قوله: «ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»:

قوله: «ثُمَّ يَمُوتُ»: أي لم يدرك نفسَه بالإيمان قبل الغَرْغَرة كان مصيرُه النارَ، لا شكَّ في ذلك ولا ريبَ، وقد نفى المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دعوى اليهودِ بأنَّهم من أهل الجنة في قوله على لسانهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وقالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]، يعنون أربعين ليلة. وقد كان الرد عليهم: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، وكان الردُّ سريعًا عليهم بخلودهم في النار قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «...**وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ**»(١).

وقد قرَّر اللهُ تعالى- وقراره نافذ-، وتوعد -ووعيده حق-، أنَّ كلَّ مَن لم يؤمن بمحمد ﷺ وما جاء به فمصيرُه النارُ، وبلا أدنى شكٍّ كما أخبر جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وللتأكيد على صحَّةِ دعوةِ محمد ﷺ أنه لو أتى أحدٌ من الأنبياء مِن بعده ما وَسِعَه إلا الإيمان به، وقد ضُرب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثالًا على ذلك، كما قال ﷺ: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٧) مختصرًا، واللفظ لأحمد (٢٢٢٥).

**بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»** (١).

وأخبر عن عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقال ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»**(٢).

يحكم عيسى بشرع محمد ﷺ يكسرُ الصليبَ، ويقتل الخنزيرَ، وكلُّها من شعار دين النصارى، ولا يقبل من يهودٍ أو نصارى الجزيةَ التي تؤخذ نظير بقائه على دينه ويُلزِم بالإسلام أو يَقتل.

ومما يؤسف له وبحجة أنها دياناتٌ سماويةٌ لا مانع من التأليف بينها في دين وصلواتٍ تجمعهم في معبد واحد، أطلقوا عليه معبدَ الدِّيانة الإبراهيمية، ورغَّبوا الناس بانتهاجها دينًا وملةً يتبعونها، وأنفقوا لذلك ما لا يحصى من أموالٍ ستكون عليهم حسرةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

## اليهود واعتقادهم في النار:

أو كما يسميها اليهود «جيهِنم» ويعتقدون أنه المكانُ الذي يُعذب فيه الربُّ البشرَ الأشرارَ، يقول الربي «يهوشواع بن ليفي»: إن لجهنم سبعة أسماء هي: هاوية الموت، وسقر، واللحد العميق، وجب القبر، والحمأ، والهاوية، والأرض السفلى. وبمقتضى هذه

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٦٣١)، والبزار (١٢٤- كشف الأستار)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٤): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

الأسماء السبعة، توجد سبع درجات في جهنم»[١].

لم يُوضِّح التلمودُ كيف يعذَّب المذنبون، ولكن يحكم عليهم أساسًا بالحرق بالنار، ورَدَت إشاراتٌ كثيرةٌ إلى نار جهنم في التلمود، وطبقًا لرأي آخر «يحكم على الأشرار في جهنم لمدة عام، ستة أشهر في الحر القائظ، وستة أشهر في الصقيع» [٢].

وعلى ما يبدو أن مفهومَ الثوابِ والعقابِ غيرِ واضحٍ في العقيدة اليهودية، أو على الأقلِّ له تفسيراتٌ عدَّةٌ متباينَة بين الجماعات اليهودية، أمَّا مِن حيث المبدأ بالثواب والعقاب نعم هو موجودٌ لكن كيف وأين؟ هنا يكمن الخلاف.

يرى موسى بن ميمون بأن الإيمانَ بالثواب أحدُ الأسسِ العقائدية الثلاثة عشر «إنني أومن إيمانًا كاملًا بأن الربَّ سوف يُكافِئ حافظي وصاياه، وسيُعاقِب تاركي وصاياه»، وقد تخبط حكماءُ صهيون في هذه المسألة، وانحاز الكثيرون لفكرة أن الثواب والعقاب لا يوجد في هذا العالم –في الدنيا– بل في العالم –الآخرة– في أيام المسيح» [٣].

وعلى الأقل فإن بعضهم لا يؤمنون بالحساب بعدَ الموتِ؛ لأنَّ الشريرَ في اعتقادهم يُحاسب على أفعاله في الدنيا عندَ ارتكابِه الشرَّ، ويعتقدون أنَّ الأشرارَ يموتون ولا يَحْيَون، وأن الخيرَ هو الذي يَبقى بعد الموت: «النفسُ التي تخطئ تموت»[٤].

وأن اللهَ يعفو عن الذنب[٥] لكن إذا كان الذنب بعد الحسنات فإن السيئاتِ تمحو الحسناتِ كما في كتابهم: «اتَّكل البارُّ على بِرِّه وأَثِم، فبِرُّه كلُّه لا يُذكَر بل بإثمه الذي فعله

(١) سوطا (١٠).
(٢) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ٨٥و٨٦).
(٣) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ٨٨).
(٤) حزقيال (١٨/ ٤). (٥) أشعياء (٤٠/ ١).

يموت»[١].

وأن الخلاص من العذاب يكون بعمل الخير «وأنَّ كلَّ واحدٍ يموت بذنبه»[٢].

وما العقائدُ الغريبةُ التي تبيِّن عدمَ حرصَ الديانة اليهودية عند بعض جماعتها وعدمَ التبشير بها، أو حتى إقامةِ شعيرةِ الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، هو اعتقادُهم الفاسدُ أنْ لا فائدةَ مِن ذلك، وأنَّ المأمورَ لا ينتفع مِن النصح، ولا الناصحُ يثاب على نصحه! كما في التوراة: «مَن يُنذر شريرًا يكسب عيبًا»!! [٣].

على كلِّ حالٍ نجاسةُ ميتهم واقعةٌ لا محالةَ، وبهذا أقرُّوا في توراتهم، ليس هذا فحسب بل إنه سببٌ في تنجيس المكانِ الذي مات فيه، وتنجيسِ مَن لمسَه وكان حوله: «إذا مات إنسانٌ في خيمة فكلُّ من دخل الخيمة وكلُّ مَن كان فيها يكون نجسًا سبعةَ أيام»[٤]، وكلُّ مَن وقعت عليه هذه النجاسةُ ينبغي له أن يتطهَّر، وإلا مصيره القتلُ[٥].

## من فوائد الحديث

١- دلَّ الحديثُ على أن رسالةَ النبي محمد ﷺ عامةٌ لجميع البشر، ناسخةٌ لجميع الرسالاتِ.

٢- دلَّ الحديثُ على أنَّ الذي يريد النجاةَ مِن اليهودِ في الآخرةِ فعليه أنْ يُؤمن بمحمدٍ ﷺ وما جاء به كما آمن بموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

---

(١) حزقيال (٣٣/ ١٣).
(٢) إرميا (٣١/ ٣٠).
(٣) سفر الأمثال (١٩: ٨).
(٤) عدد (١٩/ ١٤).
(٥) عدد (١٩/ ٢٠).

٣- دلَّ الحديثُ على كفرِ اليهودِ والنصارى، وكفرِ مَن لم يُكفرهم وأنَّهم ليسوا على ملَّةِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤- كما دلَّ الحديثُ على كفرِ مَن آمن بشريعةِ نَبِيَي الله موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ المنسوخةِ حتى وإنْ كانت غيرَ محرَّفة، لأنهم أُمروا بعبادةِ الله بشريعة محمد ﷺ.

٥- الحديثُ فيه تفضيلُ محمدٍ ﷺ على سائر الأنبياء، وشريعتِه على سائر الشرائعِ.

٦- وفيه أنَّ كلَّ رسولٍ بُعث في قومه، ومحمدٌ ﷺ بُعث إلى الناس والجن كافَّةً، وفيه عِظمُ أعباءِ مسؤوليةِ تبليغِ الدينِ التي تحمَّلها نبينا محمدٌ ﷺ وأصحابُه.

٧- ومن مفهوم المخالفةِ دلَّ الحديثُ على أن مَن لم يسمع بالنبي ﷺ ولم تبلغه دعوته أَمْرُه إلى اللهِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

# الحديث الأربعون

## فداءُ المسلمِ من النَّارِ بيهوديٍّ

عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا»(١).

### مقدمة

حديثٌ يُؤكد كفرَ اليهودِ والنصارى، والنارُ مصيرُهم الحتميُّ خالدين فيها أبدًا، لا داعيَ لمجاملتهم في ذلك، فمن كان مُشفقًا عليهم يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله محمد رسول الله ﷺ، وعدا ذلك ضلال وتضليل وفساد وإفساد.

ومِن جانبٍ آخرَ جاء حديثُ الباب ليبعثَ الأملَ في نفوسِ المسلمين، يروي غليلَهم ويطيِّب خاطرَهم ممَّن ظلموهم في الدنيا بالقتل والتشريدِ واغتصابِ الأعراضِ والأموالِ، كما جاء عن عمرَ بن عبد العزيز والشافعيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ أنهما قالا هذا الحديث: «أرجى حديثٍ للمسلمين»، ذكره النووي وعقب عليه فقال: «وهُوَ كَمَا قَالَا لِمَا فِيهِ مِنَ التَّصْرِيحِ بِفِدَاءِ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَتَعْمِيمِ الْفِدَاءِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٨٦).

## شرح الحديث

**قوله: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا»:**

ولَمَّا حدَّث أَبو بُرْدَةَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ، قَالَ: فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بن مروان بن الحكم الأُموي الأمير المدنِيُّ، بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ، وقد استحلفه عمرُ ثلاثَ مراتٍ لزيادة التأكيد والطمأنينة والاستيثاق مِن صحة الخبر، وقد استبشر بهذا الخبر وفرح به واعتبرها بشرى عظيمةً للمسلمين.

**قوله: «أدخل الله مكانه يهوديًّا أو نصرانيًّا»:** وفي رواية: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**»[(١)].

أي: بديلٌ وإخراجُ المسلمِ من النار، وإدخالُ يهوديٍّ أو نصرانيٍّ مكانَه، قال النووي: «لكلِّ أحدٍ منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار، فالمؤمنُ إذا دخل الجنةَ خلَفَه الكافرُ في النار لاستحقاقه ذلك بكفره، ومعنى «**فكاكك من النار**» أنك كنت مُعَرَّضًا لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قدر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفارُ بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاكِ للمسلمين[(٢)].

### سيئات المسلمين تضاف في ميزان اليهود والنصارى:

ومزيدًا من النكايةِ في اليهود والنصارى، وإثقالِ موازينهم بالسيئات يُضيف الله تعالى عليها ذنوبَ بعضَ المسلمين مهما عظُمت، كما جاء عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه مستحق للعقاب لنفسه لا بسبب غيره.

(٢) شرح مسلم، للنووي (١٧/ ٨٥).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**»(١). (٢).

معناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوبَ للمسلمين ويُسقطها عنهم، ويَضع على اليهود والنصارى مثلَها بكفرهم وذنوبهم، فيُدخلهم النارَ بأعمالهم لا بذنوب المسلمين(٣).

ومثله ما جاء عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَصِنْفٌ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَصِنْفٌ يَجِيئُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، فَيَسْأَلُ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِكَ. فَيَقُولُ: حُطُّوهَا عَنْهُمْ وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَدْخِلُوهُمْ بِرَحْمَتِيَ الْجَنَّةَ**»(٤).

---

(١) نقل الشيخ نبيل بصارة الكويتي في تحقيق (أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري)، عن ابن حجر العسقلاني (٩/ ٦٦٩٦) أنه قال: وفي حديث الباب وما بعده دلالة على ضعف الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ٢١٢٠) من رواية غيلان بن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه رفعه: فذكره، فقد ضعفه البيهقي وقال: تفرد به شداد أبو طلحة. وقد أخرج أصل الحديث مسلم (٤/ ٢١١٩) من وجه آخر عن أبي بردة بلفظ «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا فيقول: هذا فداؤك من النار» قال البيهقي: ومع ذلك فضعفه البخاري وقال: الحديث في الشفاعة أصح».

وقال البصارة معلقًا: شداد هو ابن سعيد أبو طلحة الراسبي البصري، وهو مختلف فيه والأكثر على توثيقه، وليس له عند مسلم غير هذا الحديث كما قال المزي في (تهذيب الكمال).

قال الحافظ في (تهذيب التهذيب): قلت: لكنه في الشواهد، وَضعَّف الألباني جملةَ: «وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣١٦، ٥٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

(٣) شرح مسلم (١٧/ ٨٥).

(٤) أخرجه الحاكم (١٩٣)، والروياني في مسنده(٥٠٦)، والخطيب في تلخيص المتشابه (١/ ٤٧٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأصل الحديث عند مسلم (٢٧٦٧).

## هل من العدل أن يضع الله ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى؟

قال الأصبهاني لمَن تساءل: كيف يضع الله تعالى ذنوبَ المسلمين على اليهود والنصارى، وقد قال الله -تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]؟ وقالوا أيضًا: هذا يردُّه العقل.

والجواب: إن الخبرَ إذا صح وجبَ قبولُه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] قال بعض العلماء: لله تعالى بالمسلمين من الألطاف ما لا يصل إليه أوهامُهم ولا يتصورها عقولُهم، ومن شديد النِّقمة للكفار ما لا يُقَدَّرُ قدرُه، وإذا جاز أن يُكفر الإنسانُ مدةً يسيرةً فيعاقبه الله في النار أبدَ الأبد؛ فَلِمَ لا يجوز أن يضع عليه من ذنوبِ المسلمين ما لم يفعله[١].

ويبين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى ذلك أي: «أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لا بذنوب المسلمين، ولا بدَّ من هَذَا التَّأْوِيلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]: وَقَوْلُهُ: «وَيَضَعُهَا» مَجَازٌ، وَالْمُرَادُ يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، لَكِنْ لَمَّا أَسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ سَيِّئَاتِهِمْ، صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ لِكَوْنِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي، وَهُوَ إِثْمُهُمْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ آثَامًا كَانَ لِلْكُفَّارِ سَبَبٌ فِيهَا، بِأَنْ سَنُّوهَا فَتَسْقُطُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِعَفْوِ اللهِ تَعَالَى، وَيُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ مِثْلُهَا لِكَوْنِهِمْ سَنُّوهَا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا»[٢].

---

(١) الترغيب والترهيب، للأصبهاني (٢/ ١٩٣). (٢) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٨٥).

ولدِقَّة المسألة وأهميتِها في آن واحد نذكر ما نقله السَّفارِينيُّ في كتابه القيم (لوامع الأنوار البهية): قَالَ الْعَلَّامَةُ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَيْسَتْ عَلَى عُمُومِهَا، إِنَّمَا هِيَ فِي أُنَاسٍ مُذْنِبِينَ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِهِ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِكَاكًا مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: يَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُ يُضَاعِفُ عَلَيْهِمْ عَذَابَ كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ عَذَابُهُمْ بِقَدْرِ جُرْمِهِمْ وَجُرْمِ مُذْنِبِي الْمُسْلِمِينَ لَوْ أُخِذُوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَدٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وَلَهُ تَعَالَى أَنْ يُضَاعِفَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ الْعَذَابَ، وَيُخَفِّفُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمِ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

وَيُقَالُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ قَوْلُهُ: «**لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا النَّارَ**»، مَعْنَاهُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُذْنِبَ لَمَّا كَانَ يَسْتَحِقُّ مَكَانًا فِي النَّارِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ، وَعَفَا اللهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ بَقِيَ مَكَانُهُ خَالِيًا مِنْهُ، أَضَافَ ذَلِكَ الْمَكَانَ إِلَى يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ لِيُعَذَّبَ فِيهِ زِيَادَةً عَلَى تَعْذِيبِ مَكَانِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِحَسَبِ كُفْرِهِ.

وَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُذْنِبًا كَانَ أَوْ لَا، مَنْزِلَيْنِ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلًا فِي النَّارِ، وَكَذَا الْكَافِرُ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠] أَيْ يَرِثُ الْمُؤْمِنُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْكُفَّارُ مَنَازِلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْوِرَاثَةَ تَخْتَلِفُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِلَا حِسَابٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِثُ بِحِسَابٍ وَمُنَاقَشَةٍ [١].

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْفِدَاءُ فِي قَوْمٍ كَانَتْ ذُنُوبُهُمْ كُفِّرَتْ عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، أَوْ فِي مَنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ، يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ بَعْدَ الْخُرُوجِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ يُحْتَمَلُ

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني (٢/ ٢٧٣).

أَنْ يَكُونَ الْفِدَاءُ مَجَازًا عَنْ رُؤْيَةِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا، وَرَجَّحَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالذُّنُوبِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ ذُنُوبٌ كَانَ الْكُفَّارُ سَبَبًا فِيهَا بِأَنْ سَنُّوهَا، فَلَمَّا غُفِرَتْ سَيِّئَاتُ الْمُؤْمِنِينَ بَقِيَتْ سَيِّئَاتُ الَّذِي سَنَّ تِلْكَ الْبِدْعَةَ السَّيِّئَةَ بَاقِيَةً عَلَى أَرْبَابِهَا الْكَفَرَةِ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ، فَيَكُونُ الْوَضْعُ كِنَايَةً عَنْ إِبْقَاءِ الذَّنْبِ الَّذِي لَحِقَ الْكَافِرَ بِمَا سَنَّهُ مِنْ عَمَلِهِ السَّيِّئِ الَّذِي عَمِلَ بِهِ الْمُؤْمِنُ. وَقَوَّاهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

فمن رحمة الله بالمسلمين لا يبقي أحدٌ ممن شهد أن لا إله إلَّا الله محمدٌ رسول الله إلا أخرجه من النار، عندما يقول الله تعالى: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ» (١).

## اعتقاد اليهود في عذاب البرزخ (القبر):

يرى اليهودُ أن على الميت المقبور يقع عذابٌ بَدَنِيٌّ، وقد قال الصوفيون منهم: إنه وبعد دفن الإنسان تحضر إليه زبانيةُ جهنم، وتَحْفر الأرضُ عميقًا من تحته بملء قامته، وتُوقِفه على قدميه وتَرُدُّ إليه روحَه، وتضربه بقضبان حديدية، وهو العقاب الذي يتلقاه الآثمون قبلَ دخولِ جهنَّم، ومِن الناجين مِن عذاب القبرِ صانعو المعروف ومكرمو الضيف والمصلون الصادقون في نيتهم (٢).

ويرى اليهودُ أن الايمانَ بالحياة بعد الموت، حيث لا يكون الموتُ هو نهايةُ الحياة الدنيا، إلا من خلال واقعٍ دنيويٍّ آخرَ، فالروح تعود للظهور بأجسام مختلفة على شكل جسد إنسانٍ أو حيوانٍ أو نبات أو حتى حجر، أو تعود الروح للظهور في عالم مادي

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص١٢٣).

يتبادلون فيه الأجساد، وفي اليهودية لا توجد نظريةٌ واضحةٌ حولَ حقيقة البعث لليهود في فترة – ما عبروا عنه– فترةَ الهيكلِ الثاني، ولم يَرد لها ذكرٌ في المدارش أو التلمود البابلي أو الأورشليمي [١].

أما بعثُ الموتى وهي من الأسسِ الثلاثةَ عشرَ التي صاغها موسى بنُ ميمونٍ لليهود: «أُؤمن إيمانًا راسخًا في بعث الموتى بإرادةِ الخالق عَزَّوَجَلَّ للأبد» وأن الأجسادَ لا تفنى فناءً كاملًا برغم تحلُّلِها، بل تبقى أساسُها موجودةً، وتتجمع آخرَ الأيام عند مجيء المسيح «الماشيح»، أما الصدوقيون فلا يؤمنون ببعث الموتى، وما سبق عن الموتى في فلسطين، أما الموتى خارج فلسطين فإن الرب يصنع لهم أنفاقًا يمرون بها حتى يصلوا إلى فلسطين، وما أن يصلوا يبعث الرب الروحَ فيها [٢].

ومن البدعِ المستحدثةِ في عبادات اليهود ما عبروا عنه بـ«صلاة الترحم» استحدثها الطائفة الأشكنازية بعد الهجمات الصليبية في القرن الحادي عشر، حيث يدونون أسماءَ الأقاربِ أو الشخصياتِ المقدسةِ أو المهمةِ، وبعد قراءة التوراةِ يدعون لهم في صلاة الترحم [٣].

ويُعتبر تشييعُ الميتِ في العقيدة اليهودية فريضةً مهمةً، وهو من إكرامهم للميت بمرافقته لمثواه الأخير، وعلى كلِّ مَن يرى الميتَ أن يُشيِّعه لمسافة أربعةِ أذرعٍ على الأقل، وأما الميت الذي يتم إحضاره من بلدة أخرى لدفنه، فيجب الخروجُ لاستقباله وتشييعه، وقد أعدت الجماعاتُ اليهوديةُ المنتشرةُ في العالم مؤسساتٍ مختصةٍ بتجهيز الميت ودفنِه، ومما يقال عند ذكر اسم الميت: طيَّب اللهُ ذكرَه، أو يجعلُ مثواه الجنة [٤].

---

(١) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ٨٦، ٨٧).
(٢) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ٣٠٦).
(٣) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص١٠٤).
(٤) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ١٠٦، ١٦٣)

ومن عاداتِهم عند تلقي خبرِ وفاةِ شخصٍ ما أن يقوموا بشقِّ الثوب تعبيرًا عن الحزنِ الشديدِ والحدادِ على الميتِ من الأقاربِ [١].

## من فوائد الحديث

١- الحديثُ فيه رحمةٌ ومنةٌ ومنحةٌ وجائزةٌ ربانيةٌ للعبد المسلم، كافأه اللهُ تعالى على إسلامهِ فهو من إحسانِه لعباده ووعْدِه الذي وفَّى.

٢- الحديثُ فيه نصرةٌ للأنبياءِ والمرسلين وأتباعِهم الذين كذَّبهم اليهودُ والنصارى واستهزؤوا بهم وبأتباعِهم.

٣- من عدلِ الله تعالى أنه لا يَضَعُ على الكفارِ أوزارًا إلا كانوا هم سببًا فيها.

(١) موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، لرشاد الشامي (ص ٢٦٩).

# المصادر والمراجع


١- القرآن الكريم.

٢- تفسير الطبري.

٣- الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، يوسف بن حمود الحوشان، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٤هـ.

٤- الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأصول الإيمان عندهم في تفسير السيوطي، رسالة ماجستير، غير مطبوعة، للطالب: د. يحيى علي يحيى الدجني، كلية أصول الدين بالجامعة الاسلامية في غزة ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

٥- أشراط الساعة في الكتب السماوية السابقة في ضوء القرآن والسنة، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن ط ١، ٢٠١١ م - ١٤٣٢هـ.

٦- الاعتداءات الإسرائيلية على المرأة الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م، ما بين عامي (١٩٦٧- ٢٠١٤). أطروحة ماجستير للباحثة: إيمان أحمد أبو الخير، تاريخ المناقشة: ٢٥ محرم ١٤٣٩- ١٥ أكتوبر ٢٠١٧م.

٧- بذل المجهود في إفحام اليهود، المؤلف: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ). دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط١٠،١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨- التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ط ١، ٢٠١١م.

٩- حَرْبُ الْمُصْطَلَحِ فِي الصِّرَاعِ مَعَ الصَّهَايِنَةِ، إعداد الدُّكتور/ جميل محمَّد جبريل عدوان الأستاذ المساعد في علوم اللُّغة بكلية الدعوة الإسلامية، بوزارة الأوقاف والشئون الدينية رمضان ١٤٣٥هـ - يوليو ٢٠١٤م.

١٠- الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، محمد يونس هاشم، دار الكتاب العربي دمشق – القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١١- شرح الأحكام الشرعية سفي التوراة، نادي فرج درويش العطار، مركز ابن العطار للتراث ط١، ٢٠٠٤م.

١٢- قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية، عدنان عبد الرزاق الربيعي، دار النفائس/ الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م صدر عن جمعية الباحثين والتدريسيين الجامعيين.

١٣- المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، صلاح الزرو، إصدار رابطة الجامعيين، الخليل مركز الأبحاث، ط١، ١٩٩٠م.

١٤- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى في الملائكة المقربين، تأليف: د. محمد عبدالوهاب العقيل، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٦- موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، رشاد الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، س٢٠٠٣م.

١٧- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونة، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، ط ٤، ٢٠٠٨م.

١٨- اليهود في تاريخ الحضارات، غوستاف لوبون، مكتبة الفنون والآداب/ مصر، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

١٩- اليهود من كتابهم، د. محمد على الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

# محتويات الكتاب


مقدمة الكتاب ..... ٥

هذا الكتاب ..... ١٠

عملنا في هذا الكتاب ..... ١١

الحديث الأول: اليهودُ يستهزئُونَ بأوامِرِ اللهِ تعالى ..... ١٣

مقدمة ..... ١٣

شرح الحديث ..... ١٤

من هو إسرائيل ..... ١٤

أصل التسمية بإسرائيل في نظر اليهود ..... ١٤

اسم إسرائيل شرف لا يستحقه اليهود ..... ١٦

حطة بين سورتي البقرة والأعراف ..... ٢٢

تحريف الكلم عن مواضعه سبب العذاب والهوان ..... ٢٤

لماذا تجرأ اليهود على الاستهزاء بالله وأوامره ..... ٢٥

من فوائد الحديث ..... ٢٦

الحديث الثاني: محمدٌ يجدونَهُ في توراتِهم ولا يُؤمنونَ به! ..... ٢٨

مقدمة ..... ٢٨

شرح الحديث ..... ٢٩

التوراة تبشر بمحمد ﷺ ..... ٣٢

لقد بشر بالنبي ﷺ بعض من كانوا على غير دين محمد وأقروا برسالته ..... ٣٣

والنصارى يبشرون بمحمد في إنجيلهم ..... ٣٤

لماذا الحقد اليهودي على نبينا محمد ﷺ وعلى دعوته ..... ٣٥

من فوائد الحديث ..... ٣٥

الحديث الثالث: يعرفون الحقَّ ولا يؤمنون به ..... ٣٦
مقدمة ..... ٣٧
شرح الحديث ..... ٣٧
مصدر كلمة يهودي ..... ٣٧
كيف تحولوا من بني إسرائيل إلى يهود ..... ٣٨
من هو اليهودي؟! ..... ٣٩
من هو الصهيوني ..... ٤١
العبرانيون ..... ٤٢
من فوائد الحديث ..... ٤٥
الحديث الرابع: اليهودُ يكفرون بمحمدٍ ﷺ ويتمنَّونَ دعاءَه لهم! ..... ٤٦
مقدمة ..... ٤٦
شرح الحديث ..... ٤٦
من فوائد الحديث ..... ٤٨
الحديث الخامس: تعديهم على جنابِ النبيِّ ﷺ بالدعاءِ عليه ..... ٥٠
مقدمة ..... ٥٠
شرح الحديث ..... ٥٠
هو ليس مجردَ دعاء على الرسول وتمني الموت له، إنما ..... ٥١
من فوائد الحديث ..... ٥٣
الحديث السادس: حسدُهم المسلمين لما امتنَّ الله به عليهم ..... ٥٥
مقدمة ..... ٥٥
شرح الحديث ..... ٥٥
الحسدُ في شريعة اليهود ..... ٥٦
لماذا حسد اليهود المسلمين على التأمين والسلام ..... ٥٨
هل اليهود حسدونا فقط على السلام والتأمين؟ ..... ٥٩

من فوائد الحديث ..... ٦٠
الحديث السابع: اليهودُ يكتمون الحقَّ وهم يعلمون ..... ٦٢
مقدمة ..... ٦٢
شرح الحديث ..... ٦٣
حكم الزنا في التوراة ..... ٧٤
جرأة اليهود على الفاحشة ..... ٧٤
التوراة وحرمة الزنا بين اليهود ..... ٧٥
التلمود وإباحة زنا اليهود بغير اليهوديات ..... ٧٦
بداية الانحراف اليهودي باتجاه الشذوذ ..... ٧٦
الشذوذ الجنسي عند اليهود المعاصرين ..... ٧٧
مسؤولية اليهود في انتشار الشذوذ الجنسي ..... ٧٧
الاغتصاب الجنسي في سجون الاحتلال اليهودي ..... ٧٩
من فوائد الحديث ..... ٨١
الحديث الثامن: اليهودُ وتقليدُهم الأعمى لأحبارهم ..... ٨٢
مقدمة ..... ٨٢
شرح الحديث ..... ٨٢
إسلام بعض اليهود يؤرق الكيان الصهيوني ..... ٨٥
الأعداد الحقيقية أكثر من المعلنة ..... ٨٥
العودة إلى الفطرة ..... ٨٥
وجوب الدعوة إلى الله للناس كافة ..... ٨٦
جهود دعوية مباركة ومشكورة ..... ٨٦
النساء أكثر دخولاً في الإسلام ..... ٨٧
بشرى لكل يهودي أسلم ..... ٨٨
من فوائد الحديث ..... ٨٩

الحديث التاسع: تشدُّدُهُم في الدِّين ..... ٩٠
مقدمة ..... ٩٠
شرح الحديث ..... ٩٠
من فوائد الحديث ..... ٩٢
الحديث العاشر: اليهودُ قومٌ بُهُتٌ ..... ٩٣
مقدمة ..... ٩٤
شرح الحديث ..... ٩٤
وقيل: سبب كرههم لجبريل ..... ٩٥
عقيدة اليهود في الملائكة ..... ٩٥
صفات الملائكة وأسماؤهم وأشكالهم ..... ٩٧
من فوائد الحديث ..... ٩٩
الحديث الحادي عشر: اليهوديةُ مخالفةٌ للفطرةِ ..... ١٠٠
مقدمة ..... ١٠٠
شرح الحديث ..... ١٠٠
من فوائد الحديث ..... ١٠٥
الحديث الثاني عشر: ذم التشبه باليهود ..... ١٠٦
مقدمة ..... ١٠٦
شرح الحديث ..... ١٠٦
من نتائج ومخاطر التَّطبيعِ معَ العدُوِّ الصهيونيِّ ..... ١٠٩
من فوائد الحديث ..... ١١٠
الحديث الثالث عشر: الحذر من أخبار اليهود ..... ١١٢
مقدمة ..... ١١٢
شرح الحديث ..... ١١٢
إسرائيليات معاصرة لا تُصَدَّقُ ..... ١١٥

من فوائد الحديث ..... ١٢١
الحديث الرابع عشر: تواطؤ اليهود عَلى الكَذِبِ..... ١٢٣
مقدمة ..... ١٢٣
شرح الحديث..... ١٢٤
كيف نشأت عقيدة الاستعلاء عند اليهود .....١٢٧
من فوائد الحديث..... ١٢٨
الحديث الخامس عشر: الرسول ﷺ يأمر بتعلُّم لغةِ يهودَ حتى يُؤْمَنَ مكرُهم .... ١٢٩
مقدمة ..... ١٢٩
شرح الحديث..... ١٢٩
تعلم لغة العدو أمنٌ قومي .....١٣٢
الرسول ﷺ يأمر زيدا بتعلُّم السُّرْيانية .....١٣٣
ما الفرق بين اللغة العِبْرَانية والسُّريانية .....١٣٣
اللُّغة العبرية.....١٣٤
سبب تسميتها باللغة «العبرية» .....١٣٦
تآكل اللغة العبرية .....١٣٨
اللغة اليديشية .....١٣٩
من فوائد الحديث..... ١٣٩
الحديث السادس عشر: اليهود يفرِّقون بين الناس في تطبيق أحكام الدين. ١٤١
مقدمة ..... ١٤١
شرح الحديث..... ١٤١
شريعة اليهود وحكم السرقة .....١٤٥
من فوائد الحديث..... ١٤٧
الحديث السابع عشر: السِّحْرُ والشعوذة عند اليهود ..... ١٤٩
مقدمة ..... ١٤٩

**شرح الحديث ..... ١٥٠**
يهود يتَّهِمُون نبي الله سليمانَ بالسحر ..... ١٥٥
السحر وسيلة يهودية ..... ١٥٥
حكم السحر في شريعة التوراة ..... ١٥٦
**من فوائد الحديث ..... ١٥٦**
**الحديث الثامن عشر: يهودية تَغْدِرُ برسول الله ﷺ وتحاول قتلَه بالسُّمِّ ..... ١٥٨**
**مقدمة ..... ١٥٨**
**شرح الحديث ..... ١٥٩**
هل قتل النبي ﷺ هذه المرأة المُعْتَدِيَة ..... ١٦٠
هل كان للسُّمِّ أثرٌ في موت النبي ﷺ؟ ..... ١٦١
ومِن العلماء مَن يرى أن النبي ﷺ مات شهيدًا من هذا السم ..... ١٦٢
محاولةُ قتلِ النبيِّ ﷺ مؤامرة جماعيَّة وليست فرديَّة ..... ١٦٥
وثيقة أَرْمِنِيَّةٌ تثبت عملية تسميم النبي ﷺ ..... ١٦٦
النبي ﷺ يأخذ الحَيطة والحذر من أي طعام يُقَدَّمُ له ..... ١٦٨
نساءٌ يهودياتٌ على خُطَى زينبَ في حقدها ..... ١٦٨
**من فوائد الحديث ..... ١٦٩**
**الحديث التاسع عشر: حِيَلُ نسائهم في الإغراء والإغواء ..... ١٧١**
**مقدمة ..... ١٧١**
**شرح الحديث ..... ١٧١**
شرعنة الدعارة ..... ١٧٤
بنات نبي منحرفات وشاذات ..... ١٧٧
الحَمْوُ يزني بزوجة ابنه ..... ١٧٨
امرأة نبيٍّ كاذبةٌ ومخادعةٌ وزانية ..... ١٧٨
التوراة تَكْرَهُ النساء ..... ١٧٩
المرأةُ حمقاءُ وهي سبيلٌ الى الهاوية ..... ١٨٠

وصف المرأة بالخيانة ..... ١٨٠
الرب يعاقب داود بانتهاك عرض نسائه ..... ١٨٠
إفساد شباب المسلمين ..... ١٨٢
**من فوائد الحديث ..... ١٨٤**
**الحديث العشرون: هلاكُ بني إسرائيل بسبب وَصْلِ نسائهم شعورَهُنَّ ..... ١٨٦**
**مقدمة ..... ١٨٦**
**شرح الحديث ..... ١٨٦**
**من فوائد الحديث ..... ١٨٩**
**الحديث الحادي والعشرون: اليهود مُرَوِّجُو ثقافةِ العُرْيِ ..... ١٩١**
**مقدمة ..... ١٩١**
**شرح الحديث ..... ١٩٢**
تَفَحُّشُ اليهودِ في أنبيائهم ..... ١٩٦
**من فوائد الحديث ..... ١٩٨**
**الحديث الثاني والعشرون: اليهودُ يُعطُون الرّشوةَ ..... ٢٠٠**
**مقدمة ..... ٢٠٠**
**شرح الحديث ..... ٢٠٠**
اليهود قتلة الأنبياء ..... ٢٠٣
اليهود يكذبون على الله ..... ٢٠٦
**من فوائد الحديث ..... ٢٠٩**
**الحديث الثالث والعشرون: اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ ..... ٢١٠**
**مقدمة ..... ٢١٠**
**شرح الحديث ..... ٢١٠**
اليهود وعقدة النقص ..... ٢١٦
نوايا اليهود الحقيقية ..... ٢١٧

**من فوائد الحديث ..... ٢١٩**

**الحديث الرابع والعشرون: السبتُ شعارُ ضُلَّالِ اليهودِ ..... ٢٢٠**

**مقدمة ..... ٢٢٠**

**شرح الحديث ..... ٢٢٠**

المعنى العبري لكلمة السبت ..... ٢٢١

أحكام يوم السبت في التشريع اليهودي ..... ٢٢١

آخر أعمال يوم السبت ..... ٢٢٤

عطلة السبت في دولة الكيان اليهودي قرار رسمي ..... ٢٢٥

عقوبة انتهاك حرمة السبت عند اليهود ..... ٢٢٥

اعتقادهم بحرمة السبت مبعثه الكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ..... ٢٢٥

الواجب على اليهود فعله يوم السبت ..... ٢٢٦

طقوس وهرطقات يهودية ليلة السبت ويومها ..... ٢٢٧

ومن أعمال يوم السبت عند اليهود ..... ٢٢٧

أحكام يوم الجمعة في الإسلام ..... ٢٣٠

الجمعة أفضل أيام الأسبوع ..... ٢٣٠

فضل من يموت يوم الجمعة ..... ٢٣١

ساعة إجابة ليست في يوم سوى الجمعة ..... ٢٣١

الجمعة والعيدين اختيار الله للمسلمين ..... ٢٣١

حكم الإسلام في تعطيل الأعمال يوم الجمعة ديانة ..... ٢٣٣

شريعة الإسلام تنهى عن تعظيم يوم السبت ..... ٢٣٤

حرمة السبت شريعة منسوخة ..... ٢٣٥

إجازة السبت في بلاد المسلمين وما فيها من أخطاء ..... ٢٣٧

**من فوائد الحديث ..... ٢٤٠**

**الحديث الخامس والعشرون: اليهودُ يتحايلُونَ على الحَرَامِ ..... ٢٤١**

**مقدمة ..... ٢٤١**

شرح الحديث ..... ٢٤١
من فوائد الحديث ..... ٢٤٥
الحديث السادس والعشرون: اليهودُ وقتلُ الأطفالِ ..... ٢٤٦
مقدمة ..... ٢٤٦
شرح الحديث ..... ٢٤٦
استحلالهم دماء الناس من غير سبب ..... ٢٥١
فتاوى حاخاماتهم منهج مكمِّل ومعزِّز للعمل الإجرامي ..... ٢٥٢
الإسلام هو دين السلام الحقيقي ..... ٢٥٦
فلسفة القتل والإرهاب والمجازر الجماعية في العقلية اليهودية ..... ٢٥٧
من فوائد الحديث ..... ٢٥٨
الحديث السابع والعشرون: رفضُ اليهودِ القتالَ مع نبيِّهم ..... ٢٥٩
مقدمة ..... ٢٥٩
شرح الحديث ..... ٢٦٠
من فوائد الحديث ..... ٢٦٤
الحديث الثامن والعشرون: الرسولُ ﷺ يدعو على اليهودِ بالوباءِ ..... ٢٦٥
مقدمة ..... ٢٦٥
شرح الحديث ..... ٢٦٥
لماذا طلب النبي ﷺ نقل حمَّاها إلى الجُحْفة ..... ٢٦٨
لماذا كان يدعو الرسول ﷺ على اليهود ..... ٢٦٩
أثر دعاء النبي ﷺ ..... ٢٦٩
من فوائد الحديث ..... ٢٧٠
الحديث التاسع والعشرون: أولويةُ إكرامِ المسلمِ على اليهوديِّ ..... ٢٧٢
مقدمة ..... ٢٧٢
شرح الحديث ..... ٢٧٢

لماذا هذا الحكم الشديد والمذل لليهود ..... ٢٧٥
**من فوائد الحديث ..... ٢٧٦**

**الحديث الثلاثون: الرسولُ ﷺ يقاتلُ اليهودَ لنقضِهم العهدَ ..... ٢٧٧**
**مقدمة ..... ٢٧٧**
**شرح الحديث ..... ٢٧٨**
**من فوائد الحديث ..... ٢٨٠**

**الحديث الحادي والثلاثون: اليهودُ وسرقةُ الأرضِ ..... ٢٨١**
**مقدمة ..... ٢٨١**
**شرح الحديث ..... ٢٨٢**
نظرة في المناهج التعليمية الصهيونية ..... ٢٨٥
**من فوائد الحديث ..... ٢٨٨**

**الحديث الثاني والثلاثون: لا سلطانَ لليهودِ على الأرضِ ..... ٢٨٩**
**مقدمة ..... ٢٨٩**
**شرح الحديث ..... ٢٩٠**
اليهود ودعوى أرض الميعاد أنها لهم ..... ٢٩٣
نصوص توراتية على الوعد الرباني بالأرض المقدسة لليهود ..... ٢٩٤
أما حدود الأرض الموعودة لليهود كما في التوراة ..... ٢٩٥
هل يهودُ اليوم امتدادُ بني إسرائيل ..... ٢٩٨
**من فوائد الحديث ..... ٢٩٨**

**الحديث الثالث والثلاثون: الأمرُ بإخراجِ اليهودِ من جزيرةِ العربِ ..... ٣٠٠**
**مقدمة ..... ٣٠٠**
**شرح الحديث ..... ٣٠٠**
إستراتيجية إخراج اليهود من الديار اتبعها الغرب كما اتبعها المسلمون ..... ٣٠٤
**من فوائد الحديث ..... ٣١٢**

**الحديث الرابع والثلاثون: اليهودُ مغضوبٌ عليهم ..... ٣١٤**
**مقدمة ..... ٣١٤**
سورة الفاتحة ..... ٣١٥
**شرح الحديث ..... ٣١٥**
الحذر من تولي اليهود ..... ٣١٧
**من فوائد الحديث ..... ٣١٩**
**الحديث الخامس والثلاثون: أمةٌ من بني إسرائيلَ مُسخت فأرًا ..... ٣٢١**
**مقدمة ..... ٣٢١**
**شرح الحديث ..... ٣٢١**
لم يجعل الله تعالى للمسخ نسلًا ..... ٣٢٥
هل للمسخ مدة بقاء ..... ٣٢٦
هل انتهى زمن المسخ؟ ..... ٣٢٦
من أوجه المسخ اليهودي المعاصر ..... ٣٣٠
هل المسخ الذي أصاب اليهود كان سببًا في نشوء عقيدة جديدة بينهم؟ ..... ٣٣٢
عبادة العجل ..... ٣٣٧
عقوبات ربانية أخرى استحقها بنو إسرائيل ..... ٣٤١
**من فوائد الحديث ..... ٣٤٢**
**الحديث السادس والثلاثون: اليهودُ أتباعُ الدَّجالِ آخرَ الزمانِ ..... ٣٤٤**
**مقدمة ..... ٣٤٤**
**شرح الحديث ..... ٣٤٤**
دجال اليهود في توراتهم ..... ٣٤٥
الدجال في إنجيل النصارى ..... ٣٤٥
مسيح اليهود آخر الزمان ..... ٣٤٥
تدمير الأقصى سبب رئيس في تعجيل خروج مسيح اليهود ..... ٣٤٦
المسيح المنتظر عند اليهود ..... ٣٤٨

أماكن أخرى يمر عليها الدجال ..... ٣٤٩
الطيلسان / السيجان / الطاليت ..... ٣٥٠
طاقية اليهود ..... ٣٥١
الدجال في عقيدة اليهود ..... ٣٥٢
أحوال الدجال مع الناس ..... ٣٥٢
**من فوائد الحديث ..... ٣٥٤**

**الحديث السابع والثلاثون: الحربُ الكونيةُ آخرَ الزَّمانِ ضد اليهودِ ..... ٣٥٥**
**مقدمة ..... ٣٥٥**
**شرح الحديث ..... ٣٥٥**
توراة اليهود تعلن غضب الرب عليهم ..... ٣٥٧
**من فوائد الحديث ..... ٣٥٨**

**الحديث الثامن والثلاثون: اليهودُ يعذَّبونَ في قُبورِهِم ..... ٣٦٠**
**مقدمة ..... ٣٦٠**
**شرح الحديث ..... ٣٦٠**
عذاب القبر على اليهود وغيرهم ..... ٣٦٢
أسفار اليهود لم تولِ عناية في أحوال الآخرة ..... ٣٦٣
اليهود ينكرون خلودهم في النار ..... ٣٦٣
عقيدة اليهود قائمة على تقديس ذاتهم ..... ٣٦٤
من معجزات الرسول القدرة على سماع أصوات المعذَّبين في القبور ..... ٣٦٥
**من فوائد الحديث ..... ٣٦٦**

**الحديث التاسع والثلاثون اليهودُ من أهلِ النَّارِ ..... ٣٦٧**
**مقدمة ..... ٣٦٧**
**شرح الحديث ..... ٣٦٧**
اليهود واعتقادهم في النار ..... ٣٧٠

من فوائد الحديث ..... ٣٧٢
الحديث الأربعون: فداءُ المسلمِ من النَّارِ بيهوديٍّ ..... ٣٧٤
مقدمة ..... ٣٧٤
شرح الحديث ..... ٣٧٥
سيئات المسلمين تضاف في ميزان اليهود والنصارى ..... ٣٧٥
هل من العدل أن يضع الله ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى؟ ..... ٣٧٧
اعتقاد اليهود في عذاب البرزخ (القبر) ..... ٣٧٩
من فوائد الحديث ..... ٣٨١
المصادر والمراجع ..... ٣٨٢
محتويات الكتاب ..... ٣٨٤

تم بحمد الله

هيئة الأرض المقدسة

رؤية واعية... لأرض واعدة

**هذا الكتاب** محاولة جادة، وإسهام في نشر الوعي الجَمْعِيّ بين المسلمين لاستبانة طريق اليهود وفضح منهجهم وطرائقهم،

وفي السياق ذاته هو ضرب من ضروب الجهاد في سبيل الله، عسى الله أن يكتب لي به سهمًا، وأن يكون حجة لي يوم القيامة، على أمل أن تكون خاتمة حياتي في الدنيا شهادة في سبيل الله تعالى، اللهم آمين.

